



محمد الباز

أفكار ومشائخ

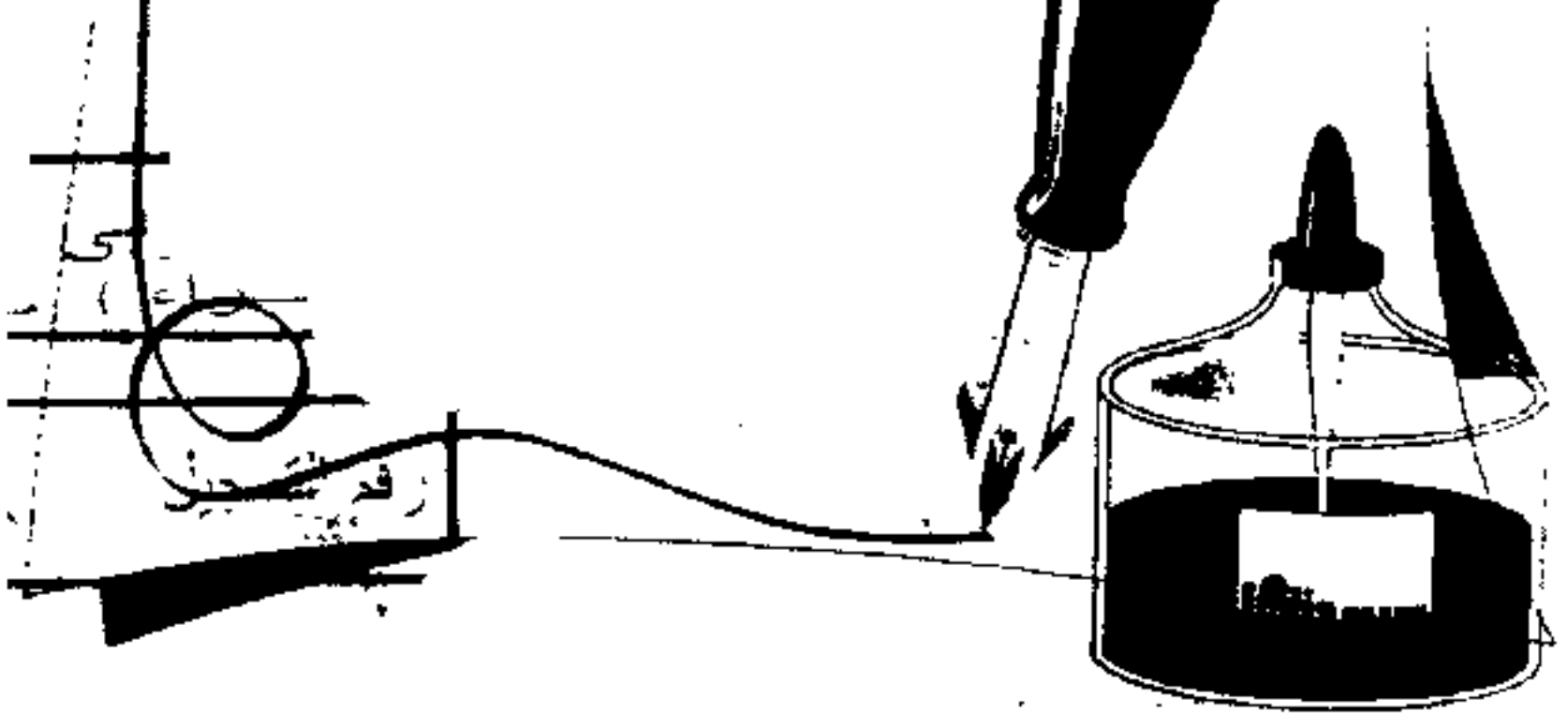


القارئ
للنشر والتوزيع



أفكار ومشائخ

محمد الباز



الفارس

للنشر والتوزيع



الكتاب : افكار ومشائق
المؤلف : محمد الباز
تصميم الغلاف: عمرو عطوة
جرافيك : صابر على صابر
رقم الأيداع : ٢٠٠٤/١٥٤٦٤

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الاولى
٢٠٠٤م

الناشر
القارس
للتشروالتوزيع

— ٢٦— ش محمد قاسم حدائق المعادى — القاهرة
فكس : ٥٧٢٢٢٧٩ — ت محمول ٠١٢٤٠٧٥٧٦١ — ٠١٠٥٠٩٨١٠٦

فأدخل كل منا بخره نبي وبخره شيطان.. ولما كان الأمر ليس
بأيدينا.. فنحن مساقون إلى مصير نجده.. نصبح أنبياء فنصلح
الكون بأفكارنا وأحلامنا وأعمالنا ونصبح شياطين فنضيق خلق الله
العذاب.. مرة باسم المال - ومرة باسم السلطة.. تسيطر علينا
الشهوات فنأخذ ما نريد مخالفين وراعنا أقواله جئمة.. ويطون
مبقورة.. وقلوب مكلومة.. وأرواح مهشمة ، فالمهم أن نسمع
حتى لو كان ذلك على حساب الآخرين فهذا الكتاب فيه بعض من
الأنبياء.. وكثير من الشياطين.. أبحث عن نفسك بين سطوره.. فقد
نجدها.

الباز

എറിയ

അയയയ

1

خريف عمرو موسى

ذهب عمرو موسى إلى قمة مجلس التعاون الخليجي معتقدا أنه يستطيع امتصاص الخلافات التي نشبت بين بعض دول الخليج وبين الجامعة العربية ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث .. لم ينته الأمر بالفشل فقط لكن أضيفت إليه إهانات شديدة لاندري لماذا يتحملها أمين عام جامعة الدول العربية؟! .. وهو الذي كان دائما صلبا لايلين .. لا يقبل الإهانة .. ولا يتحمل تعدى أحد عليه !

منذ سنوات كان وزير الخارجية الإسرائيلي في زيارة إلى القاهرة .. وبعد أن أنهى مفاوضاته مع عمرو موسى خرجا لعقد مؤتمر صحفى .. اتهمال الصحفيون على الوزير الإسرائيلي .. واجهوه بما فعله إسرائيل بالفلستينيين .. اتهموا حكومته بممارسة كل أشكال العنف ضد شعب أعزل .. كان الوزير الإسرائيلي صفيقا زيادة عما ينبغي .. فقال للصحفيين المجتمعين حوله: لماذا تسألون عما فعله بالفلستينيين؟ ولا تسألون وزيركم عما فعله به حكومتكم؟! .. لم ينتظر عمرو موسى .. ترك المؤتمر الصحفى محتجا على تطاول الوزير الإسرائيلي ، لم يلتفت للبروتوكول .. فقد أخطأ الوزير الإسرائيلي .. ولا بد أن يعرف أنه أخطأ .. تعدى على بلد تستضيفه .. ولا بد أن يعرف أنه تعدى ..

كانت هذه الحركات تخيل على الناس .. كانوا ينتظرون أن يطل عمرو موسى عليهم من شاشة التلفزيون .. كانوا يستمتعون بتصريحاته النارية أيام كان وزيرا

تريف عمرو موسى

للخارجية كانوا يعتبرونه وزيرا يسير خارج السرب حرا جريئا لا يخاف.. يعارض وينقد ويتحدث بحماس غير منقطع النظير ، ظل عمرو موسى وهو في الوزارة للنغمة الجميلة في أحاديث بسطاء هذا الوطن.. كان يعرضهم عن كم الخنوع والخضوع الذي يشاهدونه على الشاشات العربية .

في وسط الزفة التي كان يسير فيها عمرو موسى والتي توجهها المطرب الشعبي شعبان عبد الرحيم بأغنيته "باكره إسرائيل.. وباحب عمرو موسى" خرجت بعض الأصوات التي اعتبرت عمرو موسى مجرد ظاهرة صوتية.. شجاعته ليست إلا كلاما.. وحماسه ليس إلا دخانا سرعان ما يتبدد في الهواء.. جاعوا بكل ما قاله تعليقا على ما جرى على الأرض العربية فلم يجدوا فيه سوى الثلاثية العربية الشهيرة.. وهي الشجب والأدانة والاستنكار.. وكل الفارق.. أن عمرو موسى كان يشجب بصوت عال ويدين بحماس ويستنكر بغضب.. لم تلق هذه الأصوات أي اهتمام.. فقد كان عمر موسى يجيد التعامل مع الكاميرا.. كان يخطف الأضواء في أي مكان يوجد فيه ولذلك طالت فترة نجوميته .

خلال وجوده في وزارة الخارجية والتي قضى بها عشرة أعوام كاملة كانت كلمته هي الأعلى.. صوته هو الأوضح.. لكنه عندما انتقل من مبنى وزارته الهائل عام ٢٠٠١ إلى مبنى جامعة الدول العربية كأمين لها أصبح هو واسمه وتاريخه في مهب الريح.. دخل ثلاجة الجامعة العتيقة وجلس فيها يعاني من الفراغ السياسي والدبلوماسي.. حاول أن يقوم بدور ملموس.. لكن الخلافات العربية كانت أقوى منه.. بدا في كل مرة ضعيفا هزيلا.. للدرجة التي نصحه فيها محبوه أن يستقيل ويحفظ ماء وجهه.. ويحفظ ما تبقى من كرامته السياسية !

لم يسمع عمرو موسى لصوت العقل.. ولذلك جنى الأشواك وفي قمة مجلس التعاون الخليجي جرت مشاهد عبثية متتالية.. عقدت القمة في الكويت التي لم تهدأ نار خلافاتها مع عمرو موسى بعد - لم يستقبله أي "مسنول كبير في المطار

توبيخ عمرو موسى

مجرد موظف صغير ذهب ليمتقبله رغم أنه أمين عام الجامعة العربية.. ومن الوهلة الأولى كان يجب أن يعتذر عمرو موسى.. لكنه لم يفعل.. ربما لأنه لم يكن يريد أن يحيى نار الخلافات مرة أخرى بين الجامعة وبين الكويت.. بعد أن قال مؤخرا إن معارضة الغزو والاحتلال الاجنبي لا تعنى الانحياز ضد الكويت.. ولذلك أكمل زيارته ومشاركته في أعمال القمة .

بعد ساعات حدث ما هو أفضح.. ولا أدرى كيف استقبله عمرو موسى؟!.. ولا كيف ارتضاه بعد ذلك؟! سأل الصحفيون عبد الله بن زايد وزير الإعلام الاماراتى عن تطورات الخلاف بين الإمارات والجامعة العربية وأمينها العام السيد عمرو موسى؟ وبسرعة قال وزير الإعلام الاماراتى.. من.. أنا لا أعرف أحدا اسمه عمرو موسى.. ماذا يعمل؟ كان المعنى واضحا للغاية وكانت الإهانة مقصودة.. وكل من سمعها عرف أن الوزير الاماراتى كان يقصد ما يقوله.. فهو يعرف جيدا حجم وقيمة عمرو موسى.. لكنه أراد أن يهينه ويقلل من شأنه للدرجة التى يوحى فيها لمستمعيه أنه لا يعرفه من الأساس .

تصريح وزير الإعلام الاماراتى جاء على خليفة ما حدث فى مؤتمر القمة العربية الذى عقد فى شرم الشيخ فى مارس الماضى قبل احتلال العراق بأيام ، كان الشيخ زايد قد تقدم بمبادرة إلى القمة تقضى بأن يتخلى صدام حسين عن الحكم فى العراق مقابل أن يتم تأمينه وتأمين أسرته.. رغم أهمية المبادرة.. وحساسية التوقيت إلا أن عمرو موسى لم يلتفت لها ولم يدرجها فى جدول أعمال القمة.. فلم تتم مناقشتها.. اعتبر الاماراتيون أن ما حدث إهانة ضخمة موجهة إليهم عن عمد.. ليس هذا فقط.. فقد أغضب عمرو موسى الإمارات العربية عندما تجاوب مع الطلب الذى تقدمت به إيران للجامعة العربية لجعلها مراقبا كانت الإمارات تريد عمرو موسى أن يرفض الطلب بشكل نهائى.. لكن عمرو موسى كانت له وجهة نظر أخرى.. حيث سيعرض الطلب الايرانى على مجلس

تعريف عمرو موسى

وزراء الخارجية العرب وهم وحدهم لهم القول الفصل في قبول أو رفض هذا الطلب والبحث في جميع الأمور المتعلقة بالطلب الإيراني.. اعتراض الإمارات جاء لأن إيران مازالت تحتل بعض الجزر العربية.. فكيف يتم قبولها كمرآقب في جامعة الدول العربية؟!

قد يكون للإمارات حق فيما فعلته.. وللكويت قبل ذلك حق فيما قالته عن عمرو موسى فهما تعبران عن مصالحهما السياسية.. لكن من ليس له الحق في موقفه هو عمرو موسى ، لقد كان يتصرف حيال أية إهانة توجه إليه بقوة.. فلماذا يتحمل الآن الإهانة نلو الإهانة؟! وهو صامت لماذا أصبح رد فعله بطيئا للغاية؟!.. هل أثرت عليه الجامعة العربية ببلادتها القائلة؟! إن عمرو موسى لم يحاول حتى أن يلوم وزير الإعلام الإماراتي.. بل أصبح يردد اسطوانة مشروخة في كل مكان يصل إليه وهو أن الخلاف في الرأي جزء من طبيعة الحياة السياسية لكنه لا يفسد للود قضية .

أية قضية تلك التي يدافع عنها عمرو موسى.. وأي ود هذا الذي يقصده؟!.. إن عمرو موسى قامه هائلة وتاريخ في العمل الدبلوماسي بدأه منذ تخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٥٧ ، يحمل على كتفيه الآن سبعة وستين عاما من العمل والإنجاز.. ومن الأفضل له أن يحتفظ بما أنجره.. لا أن يفرط فيه ويشوّهه.. بعد أن جعل نفسه - وعفوا في التعبير - ملطشة ، إن الإهانات التي وجهت لعمرو موسى لن تكون الأخيرة إذا ظل على صمته.. وقبوله للإهانة لها ورضاه بها .

ليس مطلوبا من عمرو موسى أن يرد الإهانة .. فساعتها سيدخل نفسه في مهاترات لن تجدى ولن تفيد أحدا.. كل المطلوب منه أن يستقيل.. أن يعلن للعالم العربي أنه ليس مستعدا لتحمل آثار تمزقه وانشقاقه وانحطاطه.. لماذا لا يتفرغ للمشروع الذي أعلن عنه أكثر من مرة وهو رغبته في أن ينشئ مركزا للدراسات

توبيخ عمرو موسى

والبحوث السياسية والفكرية.. وهو للمركز الذي ينوي موسى أن يتخذ منه عملا خاصا يمثل اجتهاداته ولا يخضع لإشراف أية جهات رسمية لماذا لا يفعلها عمرو موسى الآن وليس غدا لماذا ينتظر حتى يغلق الستار عليه وهو واقف على مسرح انصرف عنه المشاهدون .

لقد تحمل عمرو موسى من الإهانات ما لم يتحمله بشر.. في كل مرة كنا نقف لمن يتهمون عليه.. لكننا الآن نسأله هو.. ما الذي يجبرك على أن تتحمل؟!.. هل تنتظر منصبا آخر يعطيك مالا وشهرة وجاها أكثر مما تملك؟!.. هل وعدك أحد بشيء لا تستطيع أن تحصل عليه بأفكارك وقدراتك الذاتية ولذلك تخضع؟!.. أم أنك تعتقد أنك نبي جديد جاء بسفينة نوح لينقذ هذه الأمة من الهلاك؟! نطمئنك يا سيدى العزيز أن الهلاك أصبح تاما ولا فرصة لآى نجاة فأنقذ نفسك .. قبل أن تفقدها إلى الأبد .

لم يعد أمام عمرو موسى إلا أن يحفظ ماء وجهه ويغلق الباب فى وجه كل الذين أهانوه.. ويرمى استقالته بكل قوته ويعتزل كل هذا "للحك" السياسى.. لكن الرجل الكبير لا يسمع للكلام فصوته دائما من رأسه.. قبل ذلك طرحت سؤالا على عمرو موسى قلت فيه: لماذا يتحمل كل هذه الإهانات التى تلقىها على رأسه الأقطار العربية الشقيقة؟! وبعد للنشر وجدت أمين عام للجامعة العربية على التليفون.. قال لى ببساطة إنه يتفق معى فى أن تصرفات بعض الدول العربية زادت على الحد.. وهدفهم فى النهاية أن يترك منصبه.. أن يستقيل لكنه لن يفعل ذلك لأنه يحمل أفكارا لإصلاح الجامعة العربية وإخراجها من موتها.. وسيتمسك بمنصبه مهما كلفه ذلك ، قلت له: الناس فى الشارع المصرى تطيدا يريدون أن يسمعوا هذه الأفكار ، يريدونك أن تبرر لهم تحملك لكل هذه الإهانات فقلت بالنسبة لهم نموذج سياسى نادر يفتقونه فى زمن بلا قيم.. وعدنى بأن يتكلم.. لكن يبدو أن انشغاله بإصلاح الجامعة (!!) حال دون أن نلتقى ولو لدقائق .

الآن ماذا يقول عمرو موسى؟.. وهل مازال عند رأيه؟.. قبل أيام من قمة تونس التي تم اغتيالها في مهدها قتل عمرو موسى إن للقمة العربية للمقبلة في تونس تشكل مفترق طرق حقيقياً وأن المرحلة للحالية سينة ودقيقة وخطيرة.. وسيكون أمام القادة العرب مقترحات محددة وفرصة إما أن يقوموا بإصلاح الجامعة لو يبقى الحال كما هو عليه.. الآن لم يبق الحال على ما هو عليه لكنه لزداد سوءاً وتدهوراً وتحطاطاً.. فماذا ينتظر عمرو موسى؟.. ألا يملك قراره؟.. إلا يستطيع أن يأخذ موقفاً يحسب عليه؟.. لقد استقال الشاذلي القليبي الأمين العام الأسبق للجامعة عندما رأى مؤتمر القمة للعربية الذي عقد في أغسطس ١٩٩٠ يخضع لأمريكا ويأخذ قراراً بمشاركة الجيوش العربية في قوات التحالف الأمريكية ، واستقال الأمين العام محمود رياض الذي سبق القليبي مباشرة احتجاجاً على زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة عام ١٩٧٧ ، فهل عمرو موسى أضعف من هؤلاء؟.. لا أعتقد ذلك .

قد يكون عمرو موسى رجلاً عنيداً للغاية.. تاريخ حياته يقول ذلك.. فهو من مواليد ٣ أكتوبر ١٩٣٦ ، قضى معظم سنوات عمره في دهاليز العمل الدبلوماسي المصري والعربي.. فبعد أن حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة بعام واحد وفي ١٩٥٨ التحق بالسلك الدبلوماسي ملحقاً في الخارجية المصرية.. في عام ١٩٧٧ أصبح مديراً لإدارة الهيئات الدولية بوزارة الخارجية ، وفي عام ١٩٨١ أصبح مندوباً لمصر لدى الأمم المتحدة.. ومن الأمم المتحدة سافر إلى الهند عام ١٩٨٣ سفيراً لمصر هناك.. وبعد ثلاث سنوات عاد مرة أخرى ليشغل منصبه الأول مديراً لإدارة الهيئة الدولية بوزارة الخارجية ، وفي عام ١٩٩٠ عمل مندوباً دائماً لمصر وهو المنصب الذي ظل فيه عشر سنوات.. ثم تركه ليتولى منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية عام ٢٠٠١ .

خريف عمرو موسى

رأى عمرو موسى خلال حياته المهنية الطويلة انتصارات وانكسارات.. فتوحات وهزائم.. مد وجذر.. وبدلاً من أن تأتيه الأيام بما يره.. قذفته بما يؤلمه.. لا أعرف في أي شيء يفكر أمين عام جامعة الدول العربية الآن.. لكنى أعتقد أنه ينظر خلفه بغضب.. ويتأمل ما هو فيه يتوتر.. كان يظن أن الأيام للقلمة ستساعده على تحقيق أحلامه.. لكنها كسرتة.. بعثرت كرامته.. أهانت تاريخه.. وتصوروا رجلاً بكل هذا من الاعتزاز بالنفس وبعد أن تأخذ تونس قرارها المنفرد بتأجيل القمة يطلب عمرو موسى ومعه عدد من وزراء الخارجية العرب مقابلة الرئيس التونسي.. لعله أراد أن يعرف أسباب ما حدث.. فقد كان القرار الذى صدر دون أن يعرف أو يخطر به مثل صفة موجهة له شخصياً.. لكن الرئيس التونسي رفض المقابلة بحجة أنه مصاب بأفلقونزا حادة.. كيف تحمل عمرو موسى هذا الموقف؟.. أم أنه لم يفكر من الأساس؟.. لقد تعجبت عندما سأل أحد المراسلين موسى بعد القرار قال له : هل تأجيل القمة سيجعلك تقدم استقالتك؟.. توقعت أن يقول عمرو موسى لقد استقلت بالفعل.. لكنه ويا للصدمة قال : لا تعليق .

لا تعليق على أي شيء يا سيادة الأمين العام.. على الاستهانة بمنصبك.. على خذلان الحكام العرب لشعوبهم.. على الخضوع الكامل للضغوط الخارجية.. أم أن هناك شيئاً لا نعرفه ولا تريد أن تفصح عنه؟.. إن عمرو موسى وكما قال لى فى اتصاله التليفونى لا ينتظر مالا أكثر من منصبه فليديه ما يكفي.. ولا يريد شهرة.. فشهرته أصبحت طاغية للدرجة التى جعلت فئات عديدة من المجتمع المصرى تطالبه بترشيح نفسه لمنصب الرئيس.. فماذا يريد بعد أن تحولت أحلامه إلى أوهام.. وأفكاره إلى سرايب.. ومشروعاته لإصلاح الجامعة إلى حطام؟..

إن الآلام التى يعيشها عمرو موسى الآن لا يعانيتها رغماً عنه.. فهو مسئول عنها بدرجة كبيرة.. وأخشى أن أقول إنه مستمتع بها ويطلب المزيد منها طمعاً

توبيخ عمرو موسى

فى أن يصبح مسيحا جديدا يقدم حياته لإنقاذ سفينة الأمة العربية لئلى تركها الجميع لتغرق ولم يبق فيها سوى الفئران واليوم والغربان.. ثم إن عمرو موسى لا يريد أن ينتهى هذه النهاية للمؤسفة.. فطول حياته لم يعرف الفضل.. فكيف يختم حياته بسقوط مدو على أيدى الحكام العرب؟.. وكيف يرفع الراية البيضاء ويستسلم تاركا الملاحة بدونه وهو الرجل الذى عاش حياته تتبعه الأضواء أينما حل وحيثما رحل؟ .

ببنى أصدق عمرو موسى عندما يقول إنه يعمل من أجل الصالح العام.. ولا أعطى لأنى كثيرا لمن يقولون إن الأمين العام ما هو إلا مشروع فردى يقوم وينام من أجل بناء وإعلاء جدرانته ولا يهمل بعد ذلك أن يهدم المعبد على رءوس ساكنيه ، وهذا ليس إلا من غطاء القول ومخافاته.. والمشاهد كثيرة.. كان عمرو موسى لا يزال وزيرا للخارجية.. وفى مدينة لوس أنجلوس دعا أبناء الجالية العربية ليلتقى بهم فى لقاء مفتوح.. نظمت اللقاء اللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز وجاءه العرب من كل مكان .

تحدث يومها عمرو موسى عن القضايا التى تشغل المواطن العربى فى كل مكان .. وجنح بحديثه إلى الإصلاح الإقتصادى فى مصر ودعا أبناء الجالية العربية إلى الاستثمار فيها .. ودعا الموجودين كذلك إلى تقوية اللوى العربى وليكن لنا وجود قوى يحمى مصالحنا فى كل مكان.. بعد ذلك توالت الأسئلة من العرب الغاضبين قالوا له: ماذا عن نصف لبنان؟ ولماذا للكلام لكم والفعل دائما لإسرائيل؟ وهل ما يقوم به العرب سلام أم مجرد استسلام؟ وماذا عن أطفال العراق؟ ولين دور مصر الحقيقى؟ وماذا عن الانفتاح السياسى والديمقراطية الحقيقية فى مصر؟ لم ينفعل عمرو موسى يومها رغم أن الأسئلة كان فيها كثير من الحدة .

توظيف عمرو عمرو

جاءت إجابات مزيجاً من الصراحة والديبلوماسية.. لأنه يعرف كيف يتحدث.. ومتى بصمت.. في هذا اللقاء قامت سيدة قبطية وتحدثت بقسوة عن التمييز العنصري والذي أدعت أن الحكومة المصرية تمارسه في الوظائف بين المسلمين والأقباط.. حاول عمرو موسى أن يرد عليها بالمعلومات وبهدوء لكنها لم تعطه الفرصة.. قال إن التوظيف له قوانين ولوائح.. لكن السيدة كالت له الشتائم وقتهته بأنه كاذب ومخادع.. ولم تصمت السيدة إلا بعد أن اضطر منظمو اللقاء أن ينهوه.

وضح للجالية العربية وقتها أن شعبية عمرو موسى التي وصلتهم عبر أخبار الصحف لم تكن من فراغ.. فهو وكما أثبت يمثل حالة خاصة لسياسي عربي يحاول أن يعمل من داخل النظام السياسي العربي لتحقيق حد أدنى من المكاسب التي يطمح إليها العرب محلياً داخل بلادهم وإقليمياً في المنطقة.. أثبت أنه سياسي يحاول أن يتحرك بأقصى قدر من التوازن في حقل ألغام السياسة العربية.. يحاول كذلك أن يتمسك بمبادئه وقيمه ومثله.. وفي الوقت نفسه لا يغفل الواقع العربي الذي أصبحت فيه الكرامة مثل فاكهة الصيف في عز الشتاء.. عمرو موسى كذلك مثقف من طراز رفيع في زمن يزهد فيه السياسيون في الثقافة باعتبارها مجرد رفاهية.. أو أنها جزء من ديكور يمكن الاستغناء عنه في أي وقت.

لقد كانت الفترة التي قضاها عمرو موسى في وزارة الخارجية فترة ازدهاره وتآلقه ولمعانه.. للدرجة التي لم يكن فيها نجماً سياسياً فقط لمواقفه وتصريحاته.. لكنه أصبح فارساً لأحلام البنات رغم أن ملامحه لا رومانسية فيها.. فلامحه جامدة للغاية، يجيد مخاطبة الكاميرا والاستعداد لها، نعم، لكن صورته تعكس جدية لا جدال فيها.. كان عمرو موسى حتى هذا الوقت هو الذي يوجه الضربات للجميع.. كان مزعجاً وأمريكاً وإسرائيل ولدوائر صنع القرار في مصر.. كان

الشعب المصري بكل فئاته وطبقاته معجباً به.. كنا نعرف أنه مجرد منفذ للسياسة المصرية.. لكنه كان ينفذها بكرامة وإيلاء.. يربح بهما إعجاب الجميع وتقديرهم.. لكن عندما شد الرحال إلى جامعة الدول العربية كأمين لها.. تغيرت الأحوال كثيراً.. كان يعلم أن الجامعة ليست إلا مقبرة للسياسيين.. وأنها أصبحت عاجزة لا تقوى حتى على الاعتراض.. وأن القادة العرب أسقطوها من حساباتهم.. وأن تاريخه السياسي يمكن أن ينتهي على أعتابها.. وأنه سيدخلها نجماً هائلاً وسيخرج منها مجرد حطام لا قيمة له.. لكنه قبل التحدي.. أقنع نفسه أنه يستطيع أن يفعل شيئاً.. وبالفعل بدأ في نفخ الروح في الشرايين اليابسة.. لم يهتم بالسياسة فقط.. لكنه لفت الانتباه إلى الاقتصاد.. فالعرب ليسوا كائنات سياسية فقط.. لكنهم معنيون بالاقتصاد كذلك.. كان يريد أن يحتل بالاقتصاد من غدر السياسة.. لكن السياسة قصمت ظهره!

جاءته الضربات والإهانات من حيث لا يدري.. وقف إلى جوار العراق فاتهمته الكويت بالعمالة لصدام حسين.. وعندما رفضت لجنة المتابعة العربية الاعتراف بمجلس الحكم العراقي بعد أن سقط صدام حسين شن إياد علاوي رئيس حركة الوفاق الوطني وعضو مجلس الحكم الانتقالي في العراق هجوماً مفرعاً على عمرو موسى.. قال عنه: إن هذا الرجل يمثل نفسه فقط وأن الدبلوماسية العراقية سوف تسعى إلى تنحيته من منصبه في أسرع وقت ممكن.. تحرك عمرو موسى في الموقفين من لرضية مسنوليته السياسية عن أنظمة مهترعة.. لكن لم يقدر أحد جهوده.. أصبح متهماً من الجانبين.. وفي الطريق مر عليه هجوم وزير الإعلام الإماراتي.. عندما قال باستخفاف: من عمرو موسى هذا!؟

مأساة عمرو موسى الحقيقية - التي أتمنى أن يدركها الآن وهو في رحلته المكوكية لإصلاح ما أفسده الحكام العرب - أنه رجل قوى في مكان ضعيف.. رجل صاحب رؤية في مكان لا يحترم أصحابه الأفكار ولا من يحملونها.. إن المكان الضعيف اعتبر أصحابه أن عمرو موسى مجرد موظف لديهم.. وماداموا

توبيخ عمرو موسى

يدفعون له راتب فليس من حقه أن يتكلم إلا إذا سمحوا له بذلك.. ولا يفكر إلا إذا أعطوه التصريح ليفعل ذلك.. وحتى إذا أراد أن يستقيل فليس هذا من حقه فالموظفون في وطننا العربي الكبير لا يستقيلون ولكن يقالون.. ويذهبون غير مأسوف عليهم .

كان عمرو موسى يدرك أن الجامعة العربية تعاني من مشكلات عديدة.. منها مثلا البطء الشديد في اللحاق بالتطورات الدولية.. فلا توجد مثلا منظمة تجارة عربية ولا يوجد بنك استثماري عربي ولا محكمة عربية ولا برلمان عربي.. وكان يدرك أن الجامعة العربية منظمة إقليمية لا تعمل في السياسة فقط.. وهناك أمانة عامة ومنظمات تعمل في مختلف التخصصات.. لكن جهودها الاقتصادية والاجتماعية ضاعته.. وكان يعرف أن هناك دولا عربية بعينها لا تريد أن تدفع حصصها المالية وقد تجلت له هذه الأزمة في الإعداد لمعرض فرانكفورت الدولي.. فقد امتنعت دول عديدة أو تلكأت في دفع حصصها بما يهدد بفضيحة مدوية في فرانكفورت.. ظل عمرو موسى يؤكد أن هذه المشكلات يمكن احتواؤها والتغلب عليها.. لكنه يصر أن يرفع الحطام عنه يجد أي شيء سليم أسفله وهو واهم فالقرار التونسي جاء على كل ما تبقى في الجامعة العربية .

إن عمرو موسى سياسي محترف.. لكنه يصر على أن يلعب في فريق ضعيف احتراف الهزيمة.. وأخشى أن تكون العشرة الطويلة التي اكتسبها عمرو موسى من عمله في أروقة السياسة العربية قد جعلته متخادلا وضعيفا ومتريدا وقابلا للإهانة.. فالمهم هو الكرسي الذي يجلس عليه.. يا سيد عمرو موسى فليذهب الكرسي إلى الجحيم.. كفاك تحملا.. وحملا لكل الخطايا العربية.. لماذا لا تخلع القفاز وتلقى به في وجه الجميع ، تقول كلمتك وتمضي؟ .

لقد حلمت الشعوب العربية أن تتخذ الجامعة.. وتعبّر بها بحلر الأزمات.. لكنك فشلت ويجب أن تعترف بذلك.. لم أنك فقدت الشجاعة حتى على الاعتراف بالخطأ؟.. لا نريد منك يا سيادة الأمين العام أن تفعل شيئا سوى أن تحفظ ماء

توبيخ عمرو موسى

وجهك وتحافظ على ما تبقى من كرامتك.. فلا شيء أكثر من أن نحفظ لك بصورة براءة ومحترمة.. لماذا تصر على أن تحرم الشعوب العربية من مثل يطمون بتكراره وللقضاء له؟.. لماذا تصر على تحطيم الصورة التي رسمها الناس لك؟.. لرحل حتى تريح نفسك وتريحنا.. خفف من أحمالك.. وانج بنفسك فقد هلك كل من كانوا قبلك .

لا أعرف ماذا يقول عمرو موسى لنفسه وهو يقف أمام المرأة.. ولا ماذا يقول لضميره وهو ذاهب إلى فراشة لينام.. هل هو راض عن نفسه.. عن موقفه.. عن صورته؟.. لقد أطاحت به الأنظمة العربية وكانت الضربة التي سقطت على رأسه كقيلة بأن تجعله يتراجع.. لكنه يصر على إكمال المشوار الذي انتهى من الأساس.. لا ندعوك للاستقالة لتتخلى عن دورك.. ولكن لعل استقالتك تقول للإخوة الأعداء إن هناك خطأ ما.. وأن الأمور ليست على ما يرام.. ابعث الأمل فينا وتخلي ولو للحظة عن أحلامك التي تحولت إلى لوهام وأثبت أن هناك قيمة يمكن أن يعيش الناس من أجلها.. للحظات كنت أشفق على عمرو موسى.. وأدعو الله أن يخفف عنه آلامه التي لا تتحملها حتى الجبال.. لكنى وفي لحظة صدق قلت إن عمرو موسى يستطيع أن يخلص نفسه من كل آلامه وبكلمة واحدة.. فلماذا لا يقلها؟.. للمرة الثانية.. هل تطمع في أن تعتقد أننا سنصدقك مرة أخرى إذا حدثنا عن مشروعك لإحياء الموتى في جامعة الفناء.. فالكل باطل.. وأنت تعلم ذلك جيداً.

مكايمة

من فيك

2

حكايات من هيكل

لم يترك هيكل كاتباً كبيراً ولا مثقفاً لامعاً ولا أدبياً مبدعاً.. إلا وضمهم جميعاً ليكتبوا عنده في الأهرام عندما تولى كافة أمورها منذ دخلها عام ١٩٥٧ وحتى لحظة خروجه منها عام ١٩٧٤.. كان هيكل يرفع شعار "إذا كان عندك الشجاعة أن تكتب فعندى الشجاعة أن أنشر" وبهذه القاعدة نشر توفيق الحكيم روايته بنك القلق التى انتقد فيها الثورة ورجالها ، وتوالت روايات نجيب محفوظ "ميرامار" و "ثرثرة فوق النيل" و "أولاد حارتنا" مسلسل على صفحات الأهرام.. وكان فيها هم للمعبد الهزيل الذى حاولت أن تبنيه الثورة ، بل إن يوسف إدريس حاول نشر قصته القصيرة "الخدعة" التى فسرها رجال ناصر بأنه المقصود بها شخصياً ، وقبل أن يغضب عبد الناصر نزع هيكل فتيل اللعنة وخرج إدريس من الأزمة سالماً .

لا يعطينى التاريخ فرصة تفسير ضم هيكل للكاتب الكبار إلى كتيبته فى الأهرام تفسيراً تأمرى ، كما أنتى لست من هواته.. لكن ما نقدر على قوله الآن على الأقل أن هيكل أراد أن يسبغ نقد الثورة بالرسمية.. فالنظام أراد أن يكون النقد خارجاً من جوفه يرعاه ويمد فى عمره.. بل ويقدمه للناس على جناح كتبه الأوحى الذى كان يشارك فى صنع الأحداث قبل أن يكتب عنها .

فى دفاتر هيكل حكايات مازالت تكتنفها الأسرار عما جرى للأدباء والمنقذين زمن عبد الناصر ، فتح هيكل دفاتره أكثر من مرة.. فى كتبه ومقالاته وأحاديثه

تمكيات من هيكلم

وجلساته الخاصة ومن بين ما نشر وما قدمه هيكلم قبل ذلك سنعرث على الكثير من الروايات.. هذه بعضها.. لا تتعجل بالتفسير.. ولا بالتحليل.. فقرأها أولاً.. ثم قل عنها بعد ذلك ما تشاء .

رقبة يوسف إدريس

فى إبريل ١٩٦٩ نشر يوسف إدريس قصته القصيرة "الخدعة" فى جريدة الأهرام كانت القصة ببساطة عن رأس جمل يظهر للناس فى كل مكان ، فى منازلهم فى الحمام فى غرف نومهم فى الأتوبيس ، سافر يوسف بعد النشر إلى الإسكندرية ، قضى هناك عشرة أيام ، وعندما عاد ذهب إلى الأهرام فوجد الجميع ينظرون إليه بدهشة ، ثم اقترب أحدهم وقال له: صحيح أنت أترفت يا د. يوسف؟ فقال له : أترفت إيه يا ابنى.. أنا يادوب لتعينت من أسبوع واحد .

دخل يوسف إدريس على هيكلم ساخراً قال له: تصور يا أستاذ هيكلم الناس العبط اللى بره قالوا لى إبنى أترفت من الأهرام ، فقال له هيكلم ببرود شديد ، أنت فعلاً أترفت ، سأل هيكلم يوسف بدهشة: ليه فرد ، هيكلم وهو يحتفظ بهدونه: الجماعة فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ذهبوا للرئيس جمال عبد الناصر وأفهموه أن قصة الخدعة بتاعتك كتبتا عليه شخصياً ، وأنه المقصود برأس الجمل الذى يظهر للناس فى كل مكان .

لم يملك يوسف إدريس نفسه فقال لهيكلم: يا نهار أسود ، طب وأنت قلت إيه؟ فقال له هيكلم: أنا قلت أن رأس الجمل معناه النكسة التى تظهر للناس فى كل مكان ، والناس غير قادرين على نسيانها.. هه إيه رأيك؟ على العموم بعد شهر كده هترجع الأهرام تانى ومرتبك ماشى.. واعتبر مفيش حاجة حصلت !

غمرت السعادة يوسف إدريس ، فقد أنقذه تفسير هيكلم من الهلاك ، فالقصة كانت أول عمل ينشر له على بلاطة ضد عبد الناصر وضد وجوده شديد الوضوح

تكايات من هيكل

فى الحياة ، كانت نهاية للقصة تقول: إلى أمامه يتطلع ولا يتحرك ولا يغضب ولا يرضى ولا يحفز ولا يثبط ، لا يفعل شيئاً أبداً إلا أن يطل.. مجرد يطل .

مشاغبات نجيب محفوظ

أعطى نجيب محفوظ روايته "أولاد حارتنا" إلى على حمدى الجمال مدير تحرير الأهرام ليقرأها كان ذلك عام ١٩٥٩ ، لم يقرأ الجمال الرواية.. لكنه قال لهيكل: إن نجيب محفوظ طلب منه أن يقرأها بعناية لأنه على ما يبدو أن فيها لغماً ، أخذ هيكل الرواية إلى بيته ليقرأها . لأن جو المكتب لم يكن ليساعده على قراءة الرواية ، أدرك منذ اللحظة الأولى مغزى تحذير نجيب محفوظ لعلى حمدى الجمال ، استقر رأيه على النشر ، وتصور فى البداية أن البعض سيحاول منع الرواية فقرر نشرها فى حلقات يومية . وكانت هذه هى المرة الأولى التى تنشر فيها الأهرام رواية يومية .

لم يستأذن هيكل عبد الناصر فى نشر الرواية ، لأنه كان يرى أن هذا عمله ، وبدأ النشر لم ينتبه أحد من رجال الدين للرواية إلا متأخراً ، فعندما نشرت الحلقة السابعة عشرة تحرك رجال الأزهر وأطلقوا نيرانهم على الرواية والروايات ، وقامت الضجة الهائلة ودخلت فيها الدولة ، وكانت الأهرام قد وصلت إلى الحلقة العشرين .

أصداء الأحداث جعلت عبد الناصر يسأل هيكل.. ليه حكاية الرواية.. فرد هيكل: أنا كنت مدركاً لكل المحاذير قبل النشر ، لكن هذه رواية لنجيب محفوظ ، وعلى أى حال سينتهى النشر خلال أيام ، جاء قرار الأزهر بعد ذلك وانطبق القرار على طبعها فى كتاب وليس على النشر مساملاً فى الأهرام التى لم تكن طرفاً فى قرار الأزهر ، ولم يكن لها صلة به ، بعد ذلك اتصل د. سيد أبو النجا

تمكيات مر هيكل

بنجيب محفوظ من أجل نشر الرواية في بيروت ، لأن دار المعارف كانت لها فرع هناك ، وكانت لها صلات بدور نشر كثيرة في بيروت ، وكانت تابعة للأهرام في ذلك الوقت .

بعد ذلك لم تنشر الأهرام روايات نجيب محفوظ . ففي عام ١٩٧١ نشرت له مجلة الأذاعة والتليفزيون راويا المرابا ، وفي عام ١٩٧٢ نشرت له مجلة الشباب التي كان يشرف عليها رجاء النقاش رواية الحب تحت المطر.. لكن هيكل يؤكد أن هذه الأعمال لم تعرض عليه مطلقا.. بل إنه لم يقرأها.. فهو لم يقرأ جميع أعمال نجيب الروائية.. لكنه قرأ ما اعتبره أهمها أو ما نشرته الأهرام له ، لكن هيكل كان قد نشر لنجيب محفوظ قبل النكسة روايته "ثرثرة فوق النيل" وهي الرواية التي تنبأت بهزيمة يونيو.. وكان هيكل يرى ضرورة فتح الطريق أمام نشر أي أعمال أدبية تنقد أحوال المجتمع المصري .

قلق توفيق الحكيم

كتب توفيق الحكيم روايته "بنك القلق" وانتقد فيها دور المخابرات .. وعلى الفور نشرها هيكل في الأهرام ، غضب عبد الحكم عامر بشدة واتصل بجمال عبد الناصر غاضبا واشتكى بشدة وقال له إن الرواية بها كلام غير معقول ، اتصل عبد الناصر بهيكل وقال له : أنا لم أقرأ الحلقة الأولى التي نشرت من بنك القلق.. وقال له إن عبد الحكيم عامر متضايق جدا من هذا النص ، وقد أتضح بعد ذلك أن صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات هو الذي قرأ الحلقة الأولى من بنك القلق، وتكلم مع عبد الحكيم عامر ، طلب عبد الناصر أن يذهب هيكل بالحلقة التي نشرت ولما قرأها لمح فيها من أول فقرة ما أشعل ثورة عامر ، أكمل القراءة لكنه توقف بعد عمود ونصف ونظر إلى عامر الذي كان حاضرا اللقاء وقال له متسانلا : إذا كان توفيق الحكيم قد نشر "يوميات نائب في الأرياف" وقت الملكية،

تساويات موهيكل

ألا يستطيع نشر بنك القلق فى وقت للجمهورىة ، هذا رأيه ومن حقه أن يقوله :
لأبد أن تنشر كاملة دون أى حذف .

كان توفيق الحكيم قد قدم روايته بنك القلق لهيكل وهو يتصور أنها لن تنشر
كان يجلس معه فى مجلس إدارة الأهرام وهو يتصور أنها لن تنشر ، أعطاهما
لهيكل وقال له خذ أقرأ دى ، بس دى مش للنشر أنا باجرب شىء معين فى
الكتابة، إنها كتابة لنفسى وليست للنشر أبداً ، قرأها هيكل وقال للحكيم سأنشرها ،
فقال له .. لا تنشرها ، وإياك أن تفكر فى ذلك .. فرفع هيكل شعاره الأثير فى
وجهه .. إن كانت عندك شجاعة الكتابة فستكون عندى شجاعة النشر .

الرئيس لطفى السيد

فى أوائل عام ١٩٥٥ طلب عبد الناصر من هيكل أن يذهب إلى أستاذ الجيل
أحمد لطفى السيد ويعرض عليه أن يتولى رئاسة الجمهورىة ، كان لطفى السيد
من الكتاب والسياسيين اللذين عرفهم هيكل وأحبهم بشدة ، كانت له رؤية محددة
وهى أن مستقبل تطور مصر مرهون بأمرين لا ثالث لهما هما البرلمان والجامعة
كان هيكل مباشراً قال للطفى السيد أنا قادم لك برسالة ، ونقل له ما أراد عبد
الناصر بأن يتولى لطفى السيد رئاسة الجمهورىة ، رد الرجل الكبير بوضوح
شديد قال لهيكل : كل واحد يتصدى لعمل ينبغى أن يتحمل مسئولياته ، وأنا رجل
فى نهاية عمرى ، ليست عندى الصحة للدخول فى عمل جديد وتجربة جديدة تبدأ
الآن بالكاد .

لم يطلب لطفى السيد فرصة للتفكير أو مشاورة من حوله .. بل أكد على كلمة
قال : أنا بدأت عمرى بتجربة دخلنا فيها كلنا ، وأنا الآن فى أواخر عمرى ولا
أستطيع أن أتصور نفسى بادنا ، وداخلا فى تجربة دخلنا فيها كلنا ، هذا أولاً ،

حكايات من هيكل

أما ثانياً فإن كل إنسان نهض بمسئولية عمل عام عنده هو وليس عند غيره تصور كيف يكملها .

كان محمد نجيب قد خرج من السلطة وعرف لطفى السيد ما جرى له .. بدلا من أن يمضى نصائح طلب من هيكل طلبا محددًا .. قال له أبلغ عبد الناصر ألا يتولّى وراء أحد بسبب سنه ، فلمصلحته أن يطلع ويظهر باسمه وذاته وبصفاته للناس وأن يواجههم ، وإن كان عنده تصور أن الناس غير مستعدة لتقبل شاب فى مثل سنه ، فهذا غير صحيح لأن للناس يمكن أن تتقبل شاب فى مثل هذا السن جداً، بشرط أن يقول لهم ماذا يفعل وماذا سيفعل، فلا بد أن يظهر البكباشى جمال عبد الناصر ويتحمل مسئوليته .

لم ينته طلب لطفى السيد قال لهيكل .. قل لعبد الناصر ألا يقلق من سنه . لأن العمر يحتاج إلى تجديد وإلى شباب وللناس ستمشى معه . وسنه لن يكون له اعتبار يؤثر فى تقدير الناس له ، لأن الناس ستمشى معه بمقدار ما يستطيع أن يطرح لهم من تصورات ومن رؤية كل ما فعله هيكل أنه نقل الطلب لجمال عبد الناصر وأعتبر أن الموضوع قد انتهى تماما .

أنت شيوعى يا دكتور سنهورى

بعد الثورة عرض الضباط الأحرار على سليمان حافظ أن يتولى الوزارة .. لكنه رفض تماما واقترح عليهم أن يستعينوا بالدكتور عبد الرازق السنهورى استاذ القانون الدستورى .. لكن جمال عبد الناصر قال للسنهورى يا دكتور سنهورى أنت وقعت بيان أنصار السلام ، ولذلك فالأمريكان يتهمونك بالشيوعية، وبالتالي لا أستطيع أن أجعلك رئيسا للوزارة لأنه معنى ذلك أننا نستجلب على أنفسنا عداة الأمريكان ونحن نريدهم معنا فى مواجهة الإنجليز ، قال عبد الناصر

دكايات من هيكل

ذلك للسنهورى فى وجهه.. ولم يكن للكلام سند من المعلومات، حيث يعتقد هيكل أن السياسيين والمتقنين الكبار فى مصر كانوا يدمون لبعضهم البعض ويستغلون فى هذا الدس هؤلاء الشبان الصغار الذين قاموا بالثورة .

كان السنهورى هو الذى اقترح أن يدخل محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة طرفا فى مجلس الوزراء لأنه كان يريد إخراج على ماهر منها ، وكان هو نفسه الذى حاول طرح اسمه رئيسا للوزارة من خلال سليمان حافظ ولكن التجربة لم تنجح .. معنى ذلك أنه كان فى نفسه غرض لكنه لم يتحقق له .

متدين أه .. إخوانى أشك

اقترب جمال عبد الناصر من جماعة الإخوان فى فترة مبكرة من حياته ، لكن كان ذلك فى إطار عمله الفدائى ، وقد تعرف على عبد المنعم عبد الرؤوف وعبد الرحمن السندى وبعض الذين كانوا فى الجهاز الخاص للإخوان وقد قرأ وقتها بعض أدبيات الإخوان المسلمين ، لكنها جميعا لم تكن مقنعة له ، حتى مقابلاته لحسن البنا وجها لوجه لم تترك أثرا عميقا فى حياته ، قد تكون تركت أثرا ما . لكنه لم يصل إلى الأعماق والترسب فيها ، وقد تكون الفكرة التى غزت عبد الناصر بعد لقاءه بالبنا هى فكرة المقاومة أى الطابع النضالى ضد المستعمر والمحتل ، وإن كان هيكل يصادر حتى هذا الأثر من حسن البنا حيث يقول إن فكرة إيمان عبد الناصر لم يكن لحسن البنا أى دخل فيها .

ومن شاطئ الإخوان إلى شاطئ الشيوعيين ، كان عبد الناصر معجبا جدا بعزير فهمى الذى كان يمثل اليسار الوفدى أو الطليعة الوفدية ، واهتم كذلك بما كان يكتبه محمد مندور وعزير فهمى وكانت هذه الكتابات تمثل له ثقافة اليسار عامة ، وقال ناصر لهيكل أكثر من مرة إن الشيوعيين عندهم أفكار جيدة لكنى اختلف معهم فى أمرين الأول موقفهم من الدين والثانى الأمية التى تتجاوز الوطنية .

حكايات من هيكل

علاقة عبد الناصر بالشيوعيين جعلت الإخوان يتهمونه بأنه لم يكن متدينا .. وهو كلام يرفضه هيكل ، فعبد للناصر عنده كان متدينا في غير مغالاة ، كان يقينه مستريحا وكان شديد الإعجاب بالشيخ محمود شلتوت وكان يستمع كثيرا للشيخ أحمد حسن الباقوري ، وعندما كان يجد من يتكلم في الدين بشكل جيد كان يحب أن ينصت إليه مهما كان الوقت الذي يستغرقه الكلام ، بشكل عام كان عنده احترام شديد للعقائد الدينية سواء الدين الإسلامي أو المسيحي أما لليهود فكانت تقف بينه وبينهم قضية فلسطين .

هذه مجرد حكايات .. تظهر منها بعض ملامح عصره بأكمله مازلنا نعيش في ظلاله وبأصدائه .. لا نستطيع أن نقول قولا فاصلا .. قد نقول إن كل ما قيل عن ديكتاتورية جمال عبد الناصر كلام فارغ .. فقد سمح بنشر كل الروايات والقصص التي تنتقده في عصره بل ودافع عن حقهم في التعبير عن آرائهم وأفكارهم فإذا كانوا قد كتبوا بحرية في العصر الملكي فكيف لا يكتبون بحرية أكبر في عصر الجمهورية .. وقد نقول إن للنظام من خلال هيكل الذي كان يده وعينه وعقله وقلبه أراد أن يستوعب كل طاقات الكتاب والمبدعين والمتقنين .. فالمعارضة من الداخل .. وتحت رعاية الحكومة تفقد بريقها ورونقها وتأثيرها .. ولم يكن عبد الناصر يريد أكثر من ذلك ..

رأيك في النهاية أنت حر فيه .. فالحكايات أمامك .. والتفاصيل مسنول عنها هيكل ومن عاصروه .. أعد قراءتها مرة أخرى .. ألقها على آخر نراعيك .. أرفضها تفاعل معها لكنها تظل في النهاية مرآة عصر نلعبه رغم أننا كنا نتمنى أن نعيش فيه .

تاريخ و تاريخ

3

نهاية وبداية

الذي يريد أن يعرف الفرق بين عظمة الحياة وانحطاط العدم ، بين حب الناس والتأمر عليهم ، بين الذين يعشقون النور والذين لا يعرفون غير لون الدم ، من يرغب في معرفة ذلك ينظر فقط وبدون تنظير ولا فلسفة إلى أخبار عمنا الكبير نجيب محفوظ والأخبار التي تأتينا عن عمر عبد الرحمن الذي غنت فتاواه اغتيال السادات ، ودعمت يد الشباب الجاهل الذي أمسك بالمسكين وأغمدتها في عنق نجيب محفوظ.. ومن الاغتيال إلى الاعتداء آلاف من الضحايا الذين راحوا ضحية فتوى عابثة أصر فيها عبد الرحمن على تكفير المجتمع .

لا جديد عن عبد الرحمن للقابع في أحد سجون أمريكا إلا ما نشر عن رفض السفارة الأمريكية بالقاهرة منح تأشيرة دخول لأمريكا لعائشة حسن لزيارة زوجها الدكتور عمر ولابنه عبد الله ، ولأن المرید يعيش في جناح وليه فقد أطلق أتباع عمر عبد الرحمن تحذيرات عنيفة للإدارة الأمريكية لكتوا فيها على أن جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية ستردان بعنف على ميليسية أمريكا العنصرية ضد الشيخ عمر ومحاولتها قتله في السجن بمنع الدواء عنه وسجنه في زنزقة مليئة بالبخار السام الناتج عن المغسلة المجاورة له .

أتباع الدكتور كانوا أكثر تحديداً عندما أعلنوا أنه على أمريكا أن تترك جيداً أن مصالحها وجميع منشأتها ستكون هدفاً لهم في جميع أنحاء العالم ولن يستطيع أحد السيطرة عليهم ، مرة أخرى يؤكد أتباع الرجل أنهم لا يجيدون سوى العنف لغة والتهديد وسيلة ، يغالطون أنفسهم فهم يدركون جيداً أن عبد الرحمن هو الذي

نهاية ومصاية

سعى لأمريكا يطلب رضاها وودها ، ومع ذلك يطالبون الحكومة المصرية بالتدخل لإنقاذه.. ونسوا أن عبد الرحمن لم يكن يريد تدمير الحكومة فقط.. ولكن تدمير الشعب نفسه .

أخبار الرجل بهذا الشكل طبيعية للغاية ، فقد أختار طريقاً لم يكن لينتهي به إلى ما انتهى إليه بالفعل المسجن والتعذيب في سجون أمريكا التي ذهب يستعين بها على أهله فأذاقوه آيات الإذلال والإهانة ، قد يرفض البعض هذه النهاية للدكتور عمر على اعتبار أنها تناقض كل مواثيق حقوق الإنسان ، وقد يسعد آخرون فالرجل الذي مات على يديه الآلاف يشقيه الله الآن بعذابهم ، ورغم اقتناعنا بأثر عمر عبد الرحمن التدميرية ، لكننا لم نسعد بنهايته نحن فقط نرصدها .

وبعيداً عن عمر عبد الرحمن الذي يتألم في سجنه بأمريكا يسعد نجيب محفوظ بأيامه في منزله على نيل العجوزة ، رجل يهتم به الجميع ويسعون إليه ، عاش حياته يدعو للحب والسلام والعدالة الاجتماعية والمحافظة على حقوق الإنسان والرحمة بالفقراء ، والضعفاء والمعنيين ، فأحبه الجميع وكرموه.. عظمة نجيب محفوظ ليست في إبداعه الروائي العظيم ولكن في مقاومته لكل أدوات الفناء والعدم ، ليست أدوات تشويه السمعة والتقارير والبلاغات إلى الأزهر وجهات الأمن ، ولكن نجيب قاوم الرصاص ، والسكين وواصل نجاحاته واهتمام العالم به ، فكل ضيوف القاهرة مفكرين وسياسيين يسألون عنه ويطلبون تحديد موعد لرؤيته ومقابلته والاطمئنان عليه .

قد يبدو الربط بين نجيب وعبد الرحمن غريباً.. لكنه منطقي للغاية ففي الوقت الذي ينتهي فيه عمر عبد الرحمن يبدأ نجيب محفوظ في طريق الخلود ، فالناس لا يذكرون إلا أصحاب الدعوة للحياة أما أعداء الحياة فلا يهتم بهم أحد.. لقد تسبب عمر عبد الرحمن بفتوى قالها في محاولة قتل نجيب محفوظ ، قال بعد أن كتب سلمان رشدي روايته "آيات شيطانية" ، لو كنا قتلنا نجيب محفوظ يوم كتب "أولاد حارتنا" لما فعل سلمان رشدي ما فعل ، كانت الكلمة صريحة وحادة ومحرضة.. ورفع شاب جاهل السكين على رقبة نجيب محفوظ تباركها فتوى عبد الرحمن ، لكنه فشل وبقي نجيب محفوظ ! .

نهاية ببصاية

وليس غريباً بعد ذلك أن تطل علينا روايته "أولاد حارتنا" من جديد تعلن عن نفسها وتطالب بحقها في النشر والانتشار ، خرجت هذه المرة في شكل مسلسل إذاعي مأخوذ عن جزء منها تطالب بالإفراج والمواقفة من الأزهر ، لقد طلب نجيب بنفسه موافقة الأزهر ومن المنتظر أن يرفض الأزهر.. لكن يبقى لنجيب محفوظ ولنا أمل أن يلقى يوم نتداول فيه "أولاد حارتنا" كما نتداول الصحف اليومية.. فهي رواية تنتصر للحياة.. ولا نعتقد أن هناك من لا يحب الحياة .

سيد قطب في أمريكا

يحاول الأمريكيان أن يكتشفوا الإسلام ، قد تفرح بهذا الكلام وتعتبره نصراً من الله وفتحاً مبيناً ، لكن المفاجأة أن الأمريكيان لا يعيدون النظر في الإسلام حتى يدخلوه لا سمح الله ، لكن ليعرفوه ، بعد أن هدد حياتهم وأرق منامهم وبعثر أحلامهم ، وهدم الدنيا على رؤوسهم ، يريد الأمريكيان أن يعرفوا السر وراء هؤلاء المسلمين الذين يقدمون على الموت دون أن تهتز لهم شعرة.. يرحبون بالموت وهم في راحة نفسية يحسدون عليها .

لا يدري الأمريكيان وهم في غمرة بحثهم عن الإسلام.. أنهم كانوا وراء صنع واحد تعتبره الجماعات المتطرفة أبا روحيا لها ، أعطت أمريكا لصيد قطب للدافع القوي للتمسك بالإسلام واعتباره المخلص الوحيد من حادثة تنزدي سي بعيسها للدول الإسلامية ومنها مصر بالطبع ، بعد أن عاد من أمريكا أصبح منظراً إسلامياً كبيراً رفض كل الحلول التي يطرحها السياسيون والمنقون والكتاب ووضع بنفسه الحل في كتابه "معالم في الطريق" الذي قاده في النهاية إلى حبل مشنقه مجرول !

لكن لماذا سافر قطب إلى أمريكا ، وماذا كان يعمل قبل سفره ، كان سيد موظفاً باللجنة الثقافية بوزارة التربية والتعليم ، وكان يكتب مقالات في النقد الأدبي في مجلة الرسالة ، فقد كان أول من قدم نجيب محفوظ ككاتب روائي ،

نهاية وبداية

عندما لوصى بأن تقرر روليتة رادوبيس على طلبة المدارس حتى يستفيدوا بها ، أصدر كذلك كتابين هما "التصوير للفنى فى القرآن" و"مشاهد القيامة فى القرآن" وكلاهما درس من دروس بلاغة التعبير فى القرآن ، كان يكتب كذلك عن فنانى عصره ومن أشهر مقالاته ما كتبه فى مجلة الرسالة تحت عنوان "نسخ بالكربون" عن سيدة الغناء أم كلثوم وعن الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وكيف أن أم كلثوم خامة صوتية كونية مدهشة لم تجد بعد للملحن الذى يحررها من طابع التطريب فى الأفراح والليالى الملاح ومجالس السمر ، وكيف أن من يحاولون تقليد أم كلثوم نسخ بالكربون ، لا ترقى إلى أصالة الأصل وبهائه ونصوعه .

عاش سيد قطب حياته بالطول والعرض ، ورغم أن حياته العاطفية لا تزال لغزا غامضا لكن من كتبوا عنه يؤكدون أنه عاش عاشقا مهزوما بعد تجربة أهنر لها كياته ، وأنه لم يتخلص من قسوة ما عاش إلا بعد أن حول للتجربة إلى أدب ، وصاغ ما جرى فى روية لا يكاد يمسها الخيال من بعيد أو قريب أسماها "أشواك" صدرت عام ١٩٤٧ ، وهو العام الذى سبق سفره إلى أمريكا . فقد سافر إليها عام ١٩٤٨ .

كانت لسيد قطب علاقات عديدة بأدباء ومفكرى عصره ، بل كان تلميذا مخلصا للعقاد ، لولا أن حدثت بينهما جفوة ، يحكى عنها سيد قطب لصديقه سليمان فياض قائلا: كنت للعقاد تلميذا محبا وكنت أقدم له كتبى فيثنى على ويقربنى منه حتى طالبت منه ذات يوم أن يكتب مقدمة لكتاب لى ، يقدمنى به للناس ، فلبى ذلك على نفسه وعلى وشعرت بالغیظ ، حين أثر أن يقدم لكتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" لخليفة التونسي ولا يقدم كتابى ، فجفوته وجفانى وهجرت مجلسه .

وبنفس الجرأة التى يعترف بها عن سبب هجره للعقاد ، أعترف وهو يلقى محاضرة فى قاعة "على مبارك" بكلية الآداب جامعة القاهرة ، أنه ظل ملحدا أحد عشر عاما من حياته ، وظل على هذا الحال حتى أخذ يكتب كتابه "العدالة

نهاية وبداية

الاجتماعية في الإسلام" فإذا به يعثر على الطريق إلى الله ويخرج من حيرة الإلحاد إلى طمأنينة الإيمان ، يومها أكد على عدم فصل الإسلام بين الدين والدنيا ، والمادة والروح والجسد والدولة مثلما تفعل حضارات الغرب والشرق .

كان سيد قطب قد أمسك ببداية الخيط.. لكنه كان في حاجة إلى دافع قوى ، وكان لابد أن يسافر إلى أمريكا ، كان قد قدم عددا من البحوث والمقترحات لإصلاح نظام التعليم لعدد من الوزراء من بينهم نجيب الهلالي وطه حسين ، كان ذلك من موقعه كموظف باللجنة الثقافية في وزارة المعارف ، لقيت أبحاثه ومقترحاته كلها الإهمال المتوقع.. وأغلب الظن أن هذه البحوث التي كانت تظهر في صورة مشاكسات كانت سببا في لختيار سيد قطب لإرساله في بعثة إلى أمريكا ، فلم يعلن عن هذه البعثة كالمعتاد ، كما أن سيد وقتها كان قد تجاوز الأربعين من عمره أي أنه تجاوز السن المناسبة للبعثات ، كما أنه كان موظفا لا يصلح لأن يكون طالب بعثة ، لكنه كان قد نقل إلى منصب في مكتب الوزير ليصبح مؤهلا للبعثة .

صدمة سيد قطب في أمريكا بدأت قبل أن ينزل على شاطئها ، فقد اعترف لرفيقه في السجن بعد ذلك أنه وقع تحت إغراء الأوساط الأمريكية بكل الوسائل ، ولكنه لم يسقط في شباك أي منها ، لم يحدد سيد قطب طبيعة هذه الإغراءات ولا مداها ، ولكن أغلب الظن أنها كانت إغراءات جنسية ، فعلى سطح السفينة التي حملت سيد إلى نيويورك ، صدمته امرأة ذهب الخمر بعقلها وهي نصف عارية ، فراودته عن نفسه ، لكنه قاومها وأستطاع أن يمسك نفسه ، ولابد أن اللعنات التي صبها سيد قطب على أمريكا لم تأت من امرأة واحدة روايته عن نفسه ، ولكن لابد أن هناك نساء كثيرات فعلم نفس الشيء ، لكنه عصم نفسه وقهر الشيطان وأغلق الباب في وجه الفتنة .

ترك سيد قطب نفسه للمجتمع الأمريكي كي يتعلم.. وتتلنا رسائله التي بعثها إلى أصدقائه ومقالاته التي كتبها عن رحلته بعد أن عاد إلى مصر على أن مظاهر الحياة الأمريكية جعلته يتمسك بما استقر عليه قبل سفره ، بل إنه وهو في أمريكا

نهاية البداية

حاول أن يوثق علاقته مع جماعة "الإخوان المسلمين" ، فقد كتب إلى صديقه "محمد جبر" الذي كان زميله في دار العلوم ، يطلب منه أن يكتب إليه بالتفصيل عن أحوال وأخبار وزلرة للمعارف ويقول "إنه يهمني أن أكون على تمام الصلة بالإخوان وبحركاتهم أولاً بأول مدة وجودي هنا .

أفزعته الحياة في أمريكا سيد قطب ، فقد رأى رجلاً عصر المصعد للكهرباني عنقه وتلقى لسانه ، والناس من حوله لا يرتجفون للمشهد ، وإنما يضحكون له ويقلدون تلى للسان من الفم المفتوح في العنق المعصور ، لقد شعر سيد قطب بموت الإنسانية في أمريكا وملأته الدهشة وهو يقول ساخراً لامرأة أمريكية جاورته على مائدة الطعام: إن الناس في الشرق يأكلون البطيخ وعليه الفلفل والشطة ، فتسارع بسكب الفلفل والشطة على البطيخ وتأكله وتتأذى وتصيح: أوه.. كم هم لذيذ ! .

عاد سيد قطب من أمريكا ساخطاً عليها ومهاجماً لحضارتها ، بل أكثر عداً لها مما كان عليه قبل السفر.. ولذلك أسبابه الكثيرة ، فقد رأى أن شيئاً واحداً ينقص الأمريكيين على حين تزخر أمريكا بكل شيء ، شيء واحد لا قيمة له عندهم.. الروح ، فهناك بحث يقدم للدكتوراه عن أفضل الطرق لغسل الأطباق ، أحب إليهم ألف مرة من رسالة عن الإنجيل ، إن لم يكن أهم من ذات الإنجيل ، لقد رأى سيد شايلاً أمريكا يثبت على صدره "سبعاً" ويجنم على ظهره "فيل" كان السبع رسماً يملأ فراغ رباط العنق ، والفيل رسم كذلك يملأ فراغ صدره ، رسم السبع باللون البرتقالي الفاقع على أرضية "أخضر زرعى" ورسم الفيل باللون الكحلي على أرضية "كرنبى" وهذا السبع مع رباط الرقبة مدلى فوق الصدرية لا تحتها حسب مزاج التقاليع .

أدرك سيد قطب كما قال في رسائله لأصدقائه أنه يمكن أن نستفيد من أمريكا في البعثات العلمية البحتة ، الميكانيكا والكهرباء والكيمياء والزراعة ، أما حين نحاول أن نستفيد من أمريكا في الدراسات النظرية ومنها طرق التدريس فإننا نخطئ أشد الخطأ وننساق وراء الطريقة الأمريكية في الإعلان ، لقد دفع هذا سيد

نهاية بمصداية

قطب لأن يقول: إن الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثون عن الأعاجيب السبع إنما يحاولون أن يستمدوا قيمة جديدة لأنفسهم من وراء هذا التحويل .

لقد تساءل سيد قطب بعد أن عاد من أمريكا عما تمثله هذه البلاد من قيمة قال: أمريكا هذه كلها ما الذي تساويه في ميزان القيم الإنسانية وما الذي أضافته إلى رصيد البشرية من القيم ، أو يبدو أنها ستضيفه إليه في نهاية المطاف؟.. أخشى - والكلام لسيد - ألا يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية في أمريكا وعظمة الإنسان الذي ينشئ هذه الحضارة ، وأخشى أن تمضى عجلة الحياة ، ويطوى سجل الزمن وأمريكا لم تضيف شيئاً - أو لم تضيف إلا اليسير الزهيد - إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم التي تميز بين الإنسان والشيء ، ثم بين الإنسان والحيوان .

اهتز سيد قطب لما رآه من السلوك الإنساني عند الأمريكان ، فقد اعترف أن شعب أمريكا يبلغ في عالم العمل والعلم قمة الارتقاء والنمو ، بينما في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى ، بل نقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك ، ويعلل سيد ذلك ، بأن الإنسان في أمريكا ولد على موائد العلم ، فأمن به وحده بل أمن بنوع خاص منه وهو العلم التطبيقي ، والأمريكي عند سيد قطب على الرغم من العلم المتقدم والعمل للمتن إلا أنه بدائي في نظرته إلى الحياة ومقوماتها الإنسانية الأخرى بشكل يدعو إلى الدهشة ، ولعل لهذا التناقض الواضح أثره في ظهور الأمريكان بمظهر الشعب غريب الأطوار - في نظر الأجانب الذين يراقبون حياة الشعب من بعيد ، ويعجزهم التوفيق بين هذه الحضارة الصناعية الفاتحة وذلك النظام الدقيق في إدارة الأعمال وإدارة الحياة وبين هذه البدائية في الشعور والسلوك ، تلك البدائية التي تذكر بعهود الغابات والكهوف .

لقد تعجب سيد قطب من عنف المجتمع الأمريكي ، فهو يصف الجماهير وهي تتابع مباريات كرة القدم ، التي لم تكن في حقيقة الأمر كرة قدم ولكنها لعبة

نهاية وبهاية

"اليسبول" الأمريكية الشهيرة بقوله: يحاول كل لاعب أن يخطف الكرة بين يديه ويجرى ليقتف بها إلى الهدف ، بينما يحاول لاعبو الفريق الآخر أن يعوقوه بكل وسيلة بما في ذلك للضرب في البطن وتهشيم الأذرع والسيقان بكل عنف وشراسة، منظر الجماهير وهي تتابع هذه اللعبة كان صدمة لسيد قطب ، فقد أخذته الدهشة وهو يسمع هتافات الجماهير للاعبين تحثهم على العنف: حطم رأسه ، دق عنقه ، هشم أضلاعه ، اعجنه عجننا ! .

هذا المشهد كان وراء اعتقاد سيد قطب الجازم بأن الجمهور الأمريكي يتابع بهذه الروح العنيفة القاسية صراع الجماعات والطوائف ، وصراع الأمم والشعوب الأخرى في كل أنحاء العالم ، ولهذا كان من حق سيد أن يتعجب كيف راجت في العالم وبخاصة في بلاد الشرق تلك الخرافة العجيبة التي تقول إن الشعب الأمريكي شعب محب للسلام ! .

ولأن سيد قطب أخذ حقه من الحب ومعرفة النساء قبل أن يسافر أمريكا ، كان طبيعياً أن يهتم بنساء وفتيات أمريكا ، يقول قطب: الفتاة الأمريكية تعرف جيداً موضع فتنتها الجسدية ، وتعرفها في الوجه ، في العين الهاتفة والشفة الظامنة ، وتعرفها في الجسم ، في الصدر الناهد والردف المليء وفي الفخذ اللقواء والساق الملساء ، وهي تبدو هذا كله ولا تخفيه ، وتعرفها في اللباس: في اللون الزاهي توظف به الحس البدائي ، وفي التفصيل الكاشف عن مفاتن الجسد، وهو بذاته في الأمريكية فتنة حية صاعقة في بعض الأحيان ، ثم تضيف إلى كل هذا للضحكة المثيرة والنظرة الجاهزة والحركة الجريئة ، ولا تغفل عن هذا لحظة لو تنمساء ، وينتقل سيد من الفتاة الأمريكية إلى الفتى الأمريكي الذي يعرف جيداً أن الصدر العريض والعضل المفتول هما الشفاعة التي لا ترد عند كل فتاة ، وأن أحلامها لا ترف على أحد كما ترف على رعاة البقر .

هذا الوصف الدقيق لمفاتن بنات أمريكا يؤكد لنا أنه لم يكن تبين معالم الطريق بعد ، فقد اهتم بكل التفاصيل اهتمام باحث وليس اهتمام داعية ، عاد سيد

نهاية وبداية

قطب إلى مصر عام ١٩٥١ وكان عمره وقتها ٤٥ سنة ، ويبدو أن اتصالاته المتعددة والقوية بجماعة الإخوان جعلت للبعض يعتقد أنه انضم إليها بعد فترة وجيزة من عودته ، ولكن سيد ينفي ذلك في مذكرة اعترافه التي كتبها بعد أحداث ١٩٦٥ قال فيها: استغرقت عام ١٩٥١ في صراع شديد بالقلم والخطابة والاجتماعات ضد الأوضاع الملكية القائمة بلا انضمام لحزب أو جماعة معينة وظل الحال كذلك إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ويبدو أن سيد قطب انضم إلى الإخوان على حد قوله عام ١٩٥٣ .

لا يهمننا التاريخ كثيرا فقد انضم سيد قطب إلى الإخوان بعد عودته من أمريكا.. لقد أدرك هناك أن ما تقدمه أمريكا للعالم لن يقدم الحل لمشاكله.. وأن الحل في الإسلام.. ولكن وعلى ما يبدو أن سيد قطب اقتنع أن الإصلاح لن يأتي إلا بالعنف الذي شهده في أمريكا.. فكان نبيا من أنبياء العنف - كفر المجتمع.. وصفحات كتابه "معالم في الطريق" تشهد بذلك فقد كتب على صفحة ٢١ منه "نحن اليوم جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية.. تصورات الناس وعقائدهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وأدابهم ، شرائعهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية - ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكير إسلاميا ، هو كذلك من صفة هذه الجاهلية".

لقد ذهب سيد قطب إلى أمريكا ليتعلم ، لكنه عاد ناقما عليها ، ورأى ملاميتها - كما قال ، فرمى نفسه في أحضان الإسلام الدين للروحي.. اتهم المجتمع كله بالجهل وحكم عليه بالإعدام فتم إعدامه هو للأسف ، لقد وضعت أمريكا دون أن تدري في سيد قطب بذرة العنف الذي أصبحت تعاني منه الآن!

فرج فودة.. الشهيد

عندما قتل فودة لم يحزن عليه أحد ، بل كان يوم الاثنين ٨ يونيو ١٩٩٢.. وهو اليوم الذي تلقى فيه رصاصة غادرة من شاب جاهل يركب دراجة بخارية

نهاية وبداية

يوم عيد عند الكثيرين ، فقد تخلص منه جميع الذين أفلق منامهم وأرق صحوهم.. وأخرجهم في مواقعهم بأرائه وأفكاره التي كان يطلقها دون حساب للمكسب والخسارة ، أو طلباً لرضا جهة تمنحه جائزة أو مكافأة .

ارتاحت الجماعات الإسلامية التي تصدى لأفكارها التي حاولت بها الاستيلاء على عقل الوطن والسيطرة على قلبه ، هدأت ثائرة شيوخ الأزهر الذين كشف زيف دعوتهم وهوان فتاويهم ، اطمأن الكتاب الكبار الذين يدعون وصلاً بالإسلام.. فقد كان يفند ما يكتبون ويقدمه للرأي العام وقد ظهر هزالهم وضحالة ثقافتهم وسخافة منطقتهم ، قالت الحكومة ألف بركة فقد تخلصت من الرجل الذي ينال منها.. ويطالبها بالحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والوقوف بقوة في وجه جماعات الإرهاب الديني والسياسي ، بل لن أكون مغالياً إذا قلت أن رفاق فرج فودة قد ارتاحوا بموته.. فقد مضى الرجل الذي كان يحرجهم بشجاعته بينما هم قابعون في جلساتهم الخاصة يجترون الأفكار والعبارات الضخمة - لكنهم لا يجاهرون بها خوفاً من رصاصة من جماعة عابثة أو أمر اعتقال من حكومة لاهية .

لم يساند أحد فرج فودة في معاركه.. تركه الجميع يواجه الإعصار وعندما قتل لم يتحسر عليه أحد صديق أو عدو.. وبعد عشر سنوات من اغتياله لم نقدم له شيئاً إلا ندوة بلا جمهور عقدت في مقر حزب التجمع.. وكحال الندوات في مصر فقد عقدت وانتهت دون أثر حتى أنني عندما أستعرض المشهد كاملاً أتمتع أن فرج فودة دفع حياته بلا ثمن .. فقد ضحى من أجلنا جميعاً .. لكننا وقبل أن يسدل الستار على حياته أعطينا ظهورنا ونمنا قريري العين .

في مطلع عام ١٩٩٢ أخبرت وزارة الداخلية فرج فودة أنه موضوع على قائمة الاغتيالات التي وضعتها الجماعات الإسلامية ، أسابيع قليلة وضعت فيها حراسة مشددة على بيت د. فرج فودة وأمام مقر عمله.. بالإضافة إلى حارس شخصي ، لكنه طلب رفع هذه الحراسة.. لأنه لا يستطيع أن يعيش بحارس يقيده.. ويعرقل حريته.. ويملحه أن يتنفس كما يريد.. ويعيش كما يريد..

نهاية وبداية

بعد أيام قليلة من رفع الحراسة وقعت الواقعة.. شاب عابر يركب دراجة بخارية وأمام مكتب د. فرج أطلق عليه الرصاص.. وحاول أن يفر هاربا لكنه فشل.. بعد أن ساعد المارة سائق الدكتور في القبض عليه.. كان اسمه عبد الشافي أحمد رمضان.. حياته لم يكن لها معنى ووجوده لم يكن له أهمية.. كان طالبا فاشلا مفصولا من المعهد الفنى الصناعى بالمطرية.. عمل ميكانيكى كهرباء.. وانضم فى مرحلة لاحقة إلى تنظيم الجهاد.. ألقى للقبض عليه ضمن مجموعات الجهاد.. لكنه أفرج عنه.. حاول أن يستقر فى حياته فتزوج وأقام بالزاوية الحمراء.

أيام الاستقرار لم تدم طويلا.. فقد قرر عبد الشافي أن يخلص العالم من فرج فودة، قرر ذلك دون أن يعرف عن الرجل ولا عن أفكاره شيئا يذكر.. كل ما كان يعرفه وذكره فى تحقيقات النيابة.. أنه قرأ بيانا أصدره علماء الأزهر قالوا فيه أن فودة يلعب بورقة الأقباط فى مصر، ويجعل من نفسه حاميا لحماهم.. كما أنه من أتباع اتجاه لا دينى !! .

التحريض كان سافرا.. حمل عبد الشافي بيان علماء الأزهر، وعقد محاكمة قال عنها شرعية.. كان حكمها هو إهدار دم فرج فودة.. والسبب أنه ينفذ سياسة أمريكا فى مصر، قبض على عبد الشافي.. لكن جماعته كانت حرة طليقة.. أصدرت بيانا مستغزا قالت فيه: "لقد قتلنا فرج فودة الكافر المحارب للإسلام.. ليس قمعا لحرية الفكر ولكن وفقا لحرية الكفر.. ولأن الحكومة ظلت صامتا.. كان لابد أن تسخر جماعة عبد الشافي منها، ولذلك أضاف البيان.. "لقد قتلنا فرج فودة وقتلنا المحجوب ونجا من بين أيدينا زكى بدر وعبد الحليم موسى.. فالיום فرج وأمس المحجوب.. وغدا آخر لا يعلمه إلا الله".

اغتيال فرج فودة جعل للمفكرين والكتاب والصحفيين والمتقنين والأدباء يحجمون عن الكلام، أثروا السلامة.. وفضلوا أن يسيروا ليس جانب الحائط ولكن فى داخله.. حتى يحافظوا على أكل عيشهم ويربوا أولادهم، لكن الحكومة

نهاية وبمهاية

انتبهت أخيراً.. فخرجت لتجفيف المنابع وتضرب الجماعات الإسلامية في سويداء القلب .. فقد كانت تهديدات الجماعات صريحة للدرجة التي تجبر الحكومة على الحركة وسرعة التصرف.. جولات متعددة خاضتها الحكومة مع الجماعات الإسلامية انكسرت في بعضها.. لكنها انتصرت عليها في النهاية.. ولعل مشهد قيادات الجماعة الإسلامية وهم يعلنون توبتهم وإقلاعهم عما فعلوا.. وليعتنرون عما فعلوه من أخطاء في المجتمع.. دليل على أن الحكومة سحقت الجماعات الإسلامية وجعلت منها كيانا هشا.. يسعى فقط وراء حق الحياة.. هذه النتيجة التي وصلنا إليها.. كان مقتل فرج فودة عاملاً مساعداً ودافعاً للوصول إليها.. فلولا اغتياله ما تنبّهت الحكومة للخطر الذي يستهدفها.. ورغم أهمية هذا الرجل.. وأهمية أفكاره.. لكنه لم يكرم لا في حياته ولا بعد موته .

في حياته تركه رفاقه وليمة لشيوخ الأزهر ولقادة التيار الإسلامي.. فشوهوا سمعته ونالوا من علمه وأفكاره.. جريدة الوفد ومن بعدها جريدة الأحرار شككتا في درجته العلمية وقالتا أنه غير حاصل على شهادة الدكتوراه ولا حتى من جامعة "بخ بخ" وتجرات جريدة الشعب لنتهمه بأنه نصاب ، أدعى لقباً علمياً لم يحصل على شهادته .

كان الموقف غريباً.. ففرج فودة لم يدع أنه حاصل على دكتوراه في فلسفة الاقتصاد الزراعي ، فهو خريج زراعة من جامعة عين شمس.. وعليه فلا علاقة لهذه الشهادة بموقفه من الإرهاب الديني والسياسي.. ولذلك كان غريباً جداً أن يطالب خصومه أن يثبت أنه حاصل على الدكتوراه ، كان الاتهام قاسياً.. وكان لابد لفرج فودة أن يرد ، في حوار له مع مجلة "آخر ساعة" .. اضطر لنشر صورة من شهادة الدكتوراه.. وفي نفس الحوار حمد فرج فودة الله أنه حاصل عليها من جامعة عين شمس المصرية حتى لا يتهمه أحد بشرائها من الخارج .

وعندما فشل التشكيك في شهادة الدكتوراه العلمية.. والتي لم يكن لها أهمية في حوارهم ومعاركهم الفكرية.. تحولت دفة الاتهامات إلى الادعاء بعلاقة فرج فودة

نهاية وبصاية

مع إسرائيل.. وتعاون مجموعته الاستثمارية مع رجال أعمال مصريين ، في حياته قال فرج فودة إن الذين يتهمونه بالتعاون مع إسرائيل لم يقدموا بيّنة أو دليلاً على ما يقولون.. لكن اتهامى بذلك يتسق مع التخلف والتطرف ، وهما مترادفان.. وفيهما محاولة استدراج البسطاء بعيداً عن المعركة الأساسية وبعد موته تؤكد السيدة راوية فودة شقيقته أن أخاها لم يسافر إلى إسرائيل.. فجواز سفره لا يحمل تأشيرة إسرائيل.. فكيف سافر إليها إذن، وقد رفض د. فرج فودة استقبال وفد إسرائيلي ذهب له في مكتبه حتى يقنعه بإنشاء مشروع مشترك بين شركته التي كانت متخصصة في المشروعات الزراعية وبعض الجهات الإسرائيلية .

لم تسلم عائلة فرج فودة من التشهير.. فقد نالتها سهام الافتراء ، في حياته قالوا أنه زوج ابنته للسفير الإسرائيلي.. مع أن ابنته وقتها كانت طالبة في المدرسة الثانوية ، الضربة التي كانت أقوى لأسرة فودة عندما كتب الشيخ صلاح أبو إسماعيل في جريدة الأحرار.. أن فرج فودة يدعو في كتابه "قبل السقوط" إلى إباحة الزنى.. ولذلك فهو يطلب منه أن يأتيه بزوجه وأهله.. فإذا فعل ذلك فلا كرامة له ، وإذا لم يفعل فإنه - أي فرج - أناني" .

من الصعب أن أصف هذا التشهير.. لكنى أتعجب أنه خرج ممن ادعوا أنهم دعاة إسلام وأتباع للرسول.. د. فرج فسر في مقدمة كتابه "حوار حول العلمانية".. دوافع هذا الهجوم المتدنئ.. فخصومه شعروا بالعجز عن المواجهة والفشل في الرد والقصور في التصدي.. فحاولوا تشويه صورته.. وخداع الناس باستدراجهم إلى غثاء لا نفع فيه وتطاول لا رد عليه ! .

بعد مقتله كانت الضربات أوجع.. تبرا منه الجميع.. حتى كتبه التي كان من بينها.. "قبل السقوط" و "الحقيقة الغائبة" و "حوار حول العلمانية" و "الملعوب والإرهاب والطائفية إلى أين".. كلها توارت ودخلت في المساحة الباهتة من اهتمامات الناس.. وأصبح اقتناؤك كتاب لفرج فودة أو تصفحك له جريمة يحاكمك عليها من حولك حتى لو لم يكونوا على دلرية بأفكار الرجل وتوجهاته ! .

نهاية بصاية

ذهبت السيدة راوية شقيقة د. فرج فودة إلى نقابة الأطباء بعد وفاة أخيها لاستخراج أوراق خاصة بزوجها للطبيب ، وإذا بها أمام شخص طويل اللحية.. أخذ يتابعها بنظراته وهو يتصفح أوراقها ، وفجأة سألها أنت تقريى للرجل الذى اسمه " فرج فودة" تسمرت راوية فى مكانها وأجلبته دون تردد.. لا.. لا أعرفه! هذا الموقف يصور باختصار محزن حالة عائلة فرج فودة بعد مقتله.. فقد ترك خلفه زوجته وابنتين وولدين توفى أحدهما.. وبعد أن كان الرجل كل حياتهم.. يوفر لهم مستوى مرتفعاً من المعيشة وجدوا أنفسهم أيتاماً فى الحياة.. أصبحوا يكرهون الكتب والفكر والنظريات حتى التى كان يقولها أبوهم.. فقد كانت السبب من وجهة نظرهم فى حرمانهم منه وإلى الأبد.. وباليتم استقلوا شيئاً.. فكل ما فعلته الحكومة أنها خصصت لهم معاشاً شهرياً قدرة خمسمائة جنيه تصرفها لهم وزارة الشؤون الاجتماعية.. وهو مبلغ ضئيل لا يضمن ولا يغنى من جوع .

لم يكن غريباً أن نفعل مع أبناء فرج فودة ذلك .. فقد فعلنا فى أفكاره ما هو أشد وأوقح.. تم تصوير الرجل فى الشارع المصرى على أنه ملحد لا يؤمن بالله.. جعل كل همه هدم الإسلام والقضاء عليه.. وبتز جنوره .

تركنا عملاء الإسلام يصورونه للناس على أنه الكافر الذى يساند إسرائيل ويريد أن تصبح مصر دولة لا دينية .. مع أن أفكاره الحقيقية.. لا تقول ذلك.. فقد كان فرج فودة يريد الإصلاح.. لأمتة ولشعبه وأهله الذين تركوه يقتل على قارعة الطريق.. دون أن يشعروا بواخزة واحدة فى ضمائرهم وهم يسمعون خصومه الذين ما زالوا ينتفسون الحرية بيننا يردون عنه.. أن فرج فودة وقف حياته على حرب الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية فى أى صورة من الصور وبأى وسيلة من الوسائل.. وقد أعلن ذلك فى مختلف كتبه ولقاءاته الفكرية .

نهاية وبداية

هذا رأى الخصوم.. لكن ما هي حقيقة أفكار فرج فودة.. لم يكن يختلف على الإسلام.. لأنه لا يجوز الاختلاف عليه.. لكنه كان يفرق بين الإسلام الدين والإسلام الدولة، كان الإسلام للدين عنده في أعلى عليين.. أما الإسلام الدولة فهو كيان سياسى وكيان اقتصادى وكيان اجتماعى يلزمه برنامج تفصيلى يحدد أسلوب الحكم ! .

لم يكن د. فرج فودة يلقى رأيه هذا على عواهنه ويمضى.. ولكنه كان يستند لما يقوله أنصار الدولة الإسلامية.. بل وقدم عدة حجج لرفضه لها:
الحجة الأولى: عند د. فرج فودة جاءت فى مجلة لواء الإسلام الصادر فى ٧ فبراير ١٩٨٧، فقد سنل مأمون الهضيبى.. أنتم متهمون بأنكم لا تقدمون برنامجاً تفصيلياً لحل المشكلات التى تواجهها البلاد وتكتفون بالشعارات الفضفاضة والمبادئ العامة، فرد الهضيبى بقوله: إننى أقول للذين يطالبون الإخوان ببرامج تفصيلية أقول لهم الأولى بكم أن تطالبوا السلطات بكف يدها العنيفة عن الدعاة إلى الإسلام حتى يتاح المناخ الصالح للدراسات والأبحاث والابتكارات، ويضيف د. فرج فودة أن باقى من أجابوا عن مثل هذا السؤال لم يخرجوا عن هذا الإطار فى الإجابة .

الحجة الثانية: أخذها فودة مما كتبه الشيخ محمد الغزالي فى جريدة الوفد فى ٢ فبراير ١٩٨٩ عن أن دولة الخلافة الراشدة قامت على شورى صحيحة أما دول الخلافة الأخرى بقية الألف وثلاثمائة سنة عدا ثلاثين سنة، فقد فقدت صفة الرشد، وأصبحت خلافة فقط لأن الشورى فيها غائبة أو مشوهة وصاحب السلطة فيها يستطيع أن يفتنت على الشعب ويلغى إرادته، بعد الخلافة الراشدة كان حكم الخلافة الأموية أكثر من تسعين سنة، ويسأل فرج فودة.. فأين الفترة التى حكم فيها بالدين الصحيح؟ سنتان ونصف السنة فقط هي عمر خلافة عمر بن عبد العزيز..

نهاية وبصاية

الحجة الثالثة: استند فيها فرج فودة إلى الواقع الذي يعيشه الناس.. وقال بصراحة للإسلاميين.. الدولة الدينية ليست وهما ولا حلماً.. فهناك دول بجانبنا تحاول أن تجرب هذا النموذج.. أعطونا المثال هل هي الدولة التي تطبق ذلك في الجزيرة العربية ، هل هي الدولة التي تطبق ذلك في إيران؟ هل هو حكم النميري في السودان؟.. ويأخذ فرج فودة الإسلاميين من أيديهم ويضعهم في مواجهة مع الشيخ الغزالي .. حيث يقول لهم إن الشيخ الغزالي قال في مجلة صباح الخير يوم ١٢ إبريل ١٩٨٩ إن الإسلاميين منشغلون بتغيير الحكم أو للوصول إلى الحكم دون أن يعدوا أنفسهم لذلك .

حجة الرفض الرابعة للدولة الإسلامية صاغها فرج فودة بما يشاهده من الإسلاميين وقبل أن يدخلوا إلى الدولة الدينية.. فهو لم ير إلا إسالة الدماء وتمزيق الأشلاء والسطو على المحلات العامة وتهديد القانون وتمزيق الوطن بالفتن.. فإذا كان هذا ما يحدث وهم على البر.. فماذا يمكن أن يحدث لهذا الوطن إذا حكمت الجماعات الإسلامية.. وإذا كانت هذه هي البدايات فبنس الخواتيم .

أراد فرج فودة بدعوته إلى رفض الدولة الدينية أن ينزه الإسلام عن ممارسات السياسة.. ويضرب فودة المثل.. ففي مؤتمر عقد في جدة جعلوا صدام حسين في أسفل سافلين بالإسلام ، وكان هناك في الوقت نفسه مؤتمر في بغداد جعلوا صدام في أعلى عليين بالإسلام أيضاً.. فمن الذي نزل بالإسلام إلى هذا المنزلق غير المزايدات السياسية.. وهنا في مصر.. كان لدينا من الإسلاميين من ارتفعوا بالسلام وبمن صنعه إلى أعلى عليين بالفتوى ، ومنهم من طالب بقتله بالفتوى أيضاً.. فالإسلام لنزه من ذلك .

من هذا المنطق كان فرج فودة يتحدث دائماً.. يملك المعلومات والأفكار والمنهج الصحيح.. وعندما كان يعجز خصومه عن الرد عليه.. كانوا يهربون من المناقشات إلى السباب والشتائم والافتراء.. ويبدو أن الشيخ الغزالي كان ناقماً على فرج فودة لأنه كان يحاربه بكلامه وتصريحاته المعلنة.. ولهذا كان طبيعياً أن

نهاية ببداية

يفتى الشيخ الغزالي بحل دم فرج فودة فى المحكمة . وهو ما كان غريباً على الشيخ الغزالي.. لأن ذلك كان يناقض ما يعلنه عن نفسه من آيات السماح وملاحح الاعتدال .

كان د. فرج فودة هدفاً للانتقام لأنه كان يواجهه بون مواربة.. كان يصب هجومه على الأشخاص وليس الأفكار المطلقة.. تعرض لأحاديث الشعراوى فى التلفزيون.. واعتبر أنها واحدة من أخطاء التوجه الإعلامى المصرى.. أصبح الشعراوى قوة لدرجة أنه عندما مست أحاديثه عقيدة الأقباط ومشاعرهم أكثر من مرة لم يستطيع التلفزيون أن يفعل شيئاً ، وترتب على محاوله حصر برنامجيه فى وقت أكثر محدودية أن ثار المشاهدون وعبروا عن ثورتهم بسيل من الخطابات.. وجد المشرفون على التلفزيون أنفسهم فى مأزق بسببها فابقوا على البرنامج فى موعده ، لم يكن فرج فودة يوافق لو يهان.. أو يمسك العصا من المنتصف.. ولذلك قتلوه هو.. وتركوا غيره .

لم يفعل د. فرج فودة ذلك.. لأنه كان رجلاً خارقاً للعادة.. لو عبقرياً أكثر من الآخرين.. ولكنه فعله لأنه أدرك منذ البداية أنه صاحب رسالة ، ولد فى مدينة الزرقا بمحافظة دمياط فى ٢٠ أغسطس عام ١٩٤٥.. حصل على بكالوريوس الزراعة فى يونيو ١٩٦٧ ، بعدها حصل على ماجستير العلوم الزراعية فى أبريل ١٩٧٥ من جامعة عين شمس ، ثم حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد الزراعى عام ١٩٨١ من نفس الجامعة ، عمل معيداً بكلية الزراعة جامعة عين شمس ثم مدرساً بزراعة بغداد ثم خبيراً اقتصادياً فى بعض بيوت الخبرة العالمية.. وبعد أن استقر فى القاهرة أسس مجموعة فودة الاستشارية المتخصصة فى دراسات تقييم المشروعات .

ظل عضواً بحزب الوفد.. وألف كتاباً عن المستقبل فى ظل الحزب منحه اسم "الوفد والمستقبل" عام ١٩٨٢ ، لكنه أعلن استقالته من الحزب بعد تحالف الوفد

نهاية وبصاية

مع جماعة الإخوان عام ١٩٨٤.. حيث اعتبر ذلك من قبيل الردة السياسية والتخلي عن المبادئ الأساسية التي قام عليها الحزب ، بعدها سعى د. فرج فودة لتأسيس حزب "المستقبل" لكنه لم يتمكن من ذلك حتى تم اغتياله .

حياة الرجل كانت عادية بئذ.. لكن الذي لم يكن عاديا هو إصراره على موقفه وتقديمه حياته ثمنا لأفكاره وآرائه.. كان فودة مفكرا جديرا بالاحترام على الأقل.. ظل صلبا حتى لحظة مقتله.. لم يتراجع رغم الضغوط الشخصية ومحاولات النيل منه وتشويه صورته.. لقد رأيت مرة واحدة .. في المناظرة التي عقدت بينه وبين عدد من العلماء والمفكرين منهم الشيخ الغزالي و د. محمد عمارة والمستشار للمأمون الهضيبي.. جرت أحداث الندوة في معرض الكتاب وأدارها د. سمير سرحان.. كان د. محمد خلف الله يجلس إلى جوار د. فرج فودة في خندق واحد.. لكني شعرت أن د. فرج كان الأشد صلابة وضرلوة وهجوما وانتقاضا.. حضر أكثر من ثلاثين ألف شاب المناظرة وعلت أصوات أغلبهم بالتكبير والتهليل أكثر من مرة .. لكن هذا لم يرهب د. فرج فودة الذي اعتبره لنا شهيدا من شهداء الإسلام.. لولا أن يحافظ على الثوب النقي من الشوائب التي تعلق به من أيدي من يدعون أنهم يدافعون عنه ! .

ضالقت الحياة بأسرة فرج فودة بعد ما حدث لكبيرهم.. وبعد ما رأوا الجميع يتخلون عنه.. خافوا من أفكاره بعض الوقت.. لكنهم علاوا إليها مرة أخرى.. وعندما صدرت طبعات جديدة من بعض كتبه.. أعلن ورثته أنهم على استعداد لتلقى رسائل القراء المعارضة أو المؤيدة لأفكار الدكتور فودة.. ووضعوا إلى جوار الإعلان رقم الصندوق البريدي والعنوان حيث يقيمون بمصر الجديدة.. فهم في شوق إلى عطر عائلهم حتى لو كان العطر مجرد مناقشة لأفكاره.. !

الأساليب التجريبية

4

اعترافات عارية

هل تريدون الصراحة؟ نحن لا نكف عن الكلام فى الجنس.. على المقاهى فى المدن وعلى النواصى فى الريف.. فى الحجرات الخاصة المغلقة وفى مكاتب الموظفين العامة ، وفى أتوبيسات الفقراء المزحمة وفى أتوبيسات الأثرياء المكيفة ، فى سهرات المساطيل التى تتصاعد فيها أنفاس الحشيش والبانجو وفى جلسات المتقنين الذين يتعاطون للكلام فى الفكر وفنون الغرام ، الكل يتحدث عن الجنس ، المتعة والعذاب - المرأة المثيرة والمرأة الباردة الوضع المريح والوضع المرهق ، رجال يرون لأصدقائهم تفاصيل لياليهم الحمراء ، ونساء يعترفن بفحولة لو خيبة رجالهن.. الكل يتحدث والكل يسمع ، وعندما تستوقفنا الأحداث الكبيرة ، نطويها صفحة من كتاب حياتنا ، ثم نمضى فى ممارسة علاقتنا الأثيرة فى تعاطى الجنس ممارسة وحديثا ، حتى ضحايا الكوارث والحروب لن يحصلوا منا إلا على بعض كلمات وقراءة الفاتحة ، وبعد ذلك سنعود وربما عدنا إلى القراءة فى كتاب الجنس .

ورغم أن هذا صحيح لكننا لا نعترف به.. نخفيه ونعتبر التصريح به عيبا وكأنه رجس من عمل الشيطان ، نلحن إحسان عبد القدوس بسبب ما يشاع عن أنه كاتب جنسى ، ونشهر بايناس الدغيدى بسبب عرايا أفلامها ، ونعتبر كل من يكتب أو يتحدث عن الجنس قليل الأدب ، رغم أن كل تفكيرنا فيه ولا نستطيع أن نقاوم مقالا أو كتابا يتحدث عن العلاقة الخاصة بين الرجال والنساء ، عدد كبير من أدبائنا الكبار كسروا الحاجز واعترفوا ببساطة عن أسرار حياتهم الجنسية.. البعض أشار على استحياء.. لكن منهم من للقى بالقفز فى وجه الجميع وكتب دون حرج.. وهل تريدون الصراحة مرة أخرى بعد أن نقرا هذه الاعترافات.. سنقول رغم اهتمامنا الشديد بما نقرأه.. إيه قلة الأدب دى.. !

اعترافات عارية

قد تتصور أن إحسان عبد القدوس هو أكثر الأدباء حديثا واعترافا عن حياته الجنسية الخاصة ، لأن الصورة المرسومة له عند الجميع أنه رجل متحرر أكثر من اللازم ، نساء روياته يمارسن الجنس مع أى رجل وفى أى وقت ومكان ، وبنات قصصه يبحثن عن الحرية بمعناها الجنسى قبل أى معنى آخر ، المفاجأة أن إحسان عبد القدوس كان شيئا آخر تماما عن كل ما تعتقده أو تظنه .

كان إحسان شخصية محافظة للغاية ، لدرجة أن شخصيته تتناقض مع كتاباته، فالبيئة التى تربي فيها جعلت منه إنسانا صعبا للغاية ، فقد كان ملتزما بالمعنى الاجتماعى ، فلم يكن يسمح لزوجته "لولا" بأن تخرج من البيت بمفردها، وعندما يكون مسافرا يطلب منها ألا تخرج ، بل وترفض كل الدعوات التى توجه إليها مهما كانت ، بل إنه كان صعبا معها فى موضوع الملابس ، لدرجة أنه كان يشترط عليها أن تكون كل ملابسها محتشمة لا تصف ولا تشف .

بلغ من محافظة إحسان والتزامه أن أمه السيدة روزا اليوسف أرسلت أخته إليه التى كانت أكثر تحررا كى يعاقبها بنفسه ، فقد كانت أخته تتركب "اليسكلتة" مع ابن الجيران ، فأرادت والدته أن تضع حدا لشقاوتها مع ابن الجيران ، فأرسلتها إلى أخيها لتعيش معه فى العباسية ، هذا التكوين الاجتماعى منع إحسان عبد القدوس من الاعتراف بأسراره الخاصة ، فلم يعترف إلا بعلاقته النسائية الأولى يقول: للحب الأول فى حياتى كان لبنت الجيران ، كانت صديقة لابنة عمتى ، وكان حبا اعتبره من أرقى وأنظف وأعمق أنواع الحب الذى يجمع بين صبي وصبية ، كان عمري وقتها ١٤ عاما وهى ١٣ عاما ، وكان حبا قويا بالنسبة لى شخصيا ، وكان لا يتجاوز أنها تزور ابنة عمتى وأجلس معها كما كانت التقاليد ، كان شيئا راقيا فى معناه، وكنت أنتظرها على محطة الترام وأركب معها لأوصلها إلى مدرستها "السنية" ثم أعود على قدمى بعد ذلك إلى مدرستى فؤاد الأول ، وكل الذى كان يجمع بينى وبينها لا يعدو أكثر من أن أمسك يديها وكان ذلك منتهى الرومانسية .

هذا المدخل يمكن أن تعتبره باردا لموضوع عن الاعترافات الجنسية لأشهر الأدباء والكتاب العرب ، لكنها كانت مهمة لنفض الاشتباك حول ما يثار عن

اعترافات عارية

إحسان عبد القدوس ، فالتناس يظنونه كاتباً متحرراً من كل التقاليد والأعراف الاجتماعية ، مع أنه ملكى أكثر من الملك ، بل وتصلح نهايات أبطاله الذين يبغون الحرية للتدريس وأخذ العظة والعبرة .

إدوارد سعيد

المفكر العربى الكبير إدوارد سعيد الذى ولد عام ١٩٣٥ فى القدس ، وكان يعمل قبل موته بروفيسور شرف فى اللغة الإنجليزية والأدب المقارن فى جامعة كولومبيا فى نيويورك ، أخرج حياته الشخصية فى كتاب منحه اسم " خارج المكان" يقدم الكتاب لسيرته الذاتية التى لم يحجب فيها اعترافه عن حياته الجنسية، حتى الخامسة عشرة من عمره ، كان لا يزال متبتلاً كلياً ومعاشرته الجنسية للفتيات كانت معدومة ، يقول إدوارد: لم يكن توجد مجلات جنسية أو أفلام فيديو إباحية متوافرة علناً بالنسبة لى ، ثم إن المدارس التى ارتدتها فى مصر والولايات المتحدة إلى حين بلوغى السابعة عشرة والنصف كانت تمنع كل شيء وتترع عنه كل صفة جنسية ، وينطبق الأمر نفسه على جامعة برينستون حيث درست إلى حين بلوغى الحادية والعشرين .

كان الجنس ممنوعاً لإدوارد سعيد فى كل مكان بما فى ذلك الكتب ، ومع ذلك فقد تمكن من قراءة وصف يتضمن التفاصيل الوافية عن العملية الجنسية فى مذكرات "ويلفرد ده سانت ماندى" يقول سعيد: صار ويلفرد واحداً من رفاقى مراهقتى الصامتين السريين ، لكن أهلى كانوا قد أبعدونى عن كل ما من شأنه إثارة الغريزة الجنسية لدى ، لكن حاجتى العارمة إلى المعرفة والاختيار هى التى خرقت قيود الأهل ، إلى أن حدثت مواجهة علنية ما تزال أرتعد لذكرها بعد مضى ست وأربعين سنة عليها .

دخل عليه أبوه وأمه فى غرفته بعد ظهر يوم أحد قارس البرد فى أواخر نوفمبر عام ١٩٤٩ ، فتش أبوه فى ملابسه وقال له : أنا وأمك لا حظنا أنك لم تستحم وهذا يعنى أنك تعبت بجسدك ، كان الوالدين قد حدثا ابنيهما عن مخاطر العيب بالجسد ، رغم أن أباه لم يكلمه أبداً عن ممارسة الحب الذى هو الجنس ،

اعترافات عارية

كان إدوارد قد طرح سؤالاً على أبيه عن كيفية ولادة الأطفال ، فكان للجواب أقرب إلى ترسيمة جاهزة ، يقول سعيد: إن حمل أمي المتكرر وخصوصاً انتفاخ بطنها بطريقة تنذر بالخطر خلاله ، لم يسهم في الإجابة عن السؤال عن الحمل والوضع، كانت الإجابة كل مرة هي "كتبنا رسالة مرة إلى يسوع فبعث إلينا بطفل" ، أما ما قاله لبي بعد تحذيره الصارم من العبث بالجسد فكلمات شحيحة عن كيفية وضع الرجل "أعضاء الحميمة" في "الأعضاء الحميمة الخاصة بالمرأة" ، لا شيء عن النقوشة أو القذف أو عن موضع تلك الأعضاء الحميمة من الجسم .

سأل إدوارد أباه ذات مرة : كيف يعلم المرء أنه قد استحلّم ، فقال له بسرعة تعلم ذلك في الصباح ، عاد إدوارد ليسأله وهل هو مثل البيبي ، فرد الأب للمرة الثانية نعم أنه يشبه البول إلى حد ما لكنه دبق أكثر من البول ويعلق على منامتك أي وسادتك .

لم يتعرف إدوارد سعيد على الاستمناء بنفسه ولكنه شاهده صوتاً وصورة يقول: كنت أتسكع في غرفة تبديل الثياب في نادي المعادي ، وكنت بخجلي للمعهود أدخل الغرفة لارتداء المايوه ، اقتحم الغرفة عصابة من الفتيان يكبرونني سناً ، يرشحون ماء من السباحة يتقدمهم إيهاب ، كان ثرياً مطمئناً ومستقراً في مكانه ، طلب منه أصدقاؤه أن يفعلها ، قالوا له افعلها يا إيهاب ، أنزل الشاب سرواله واعتلى للمقعد ، وفيما هو يتلصص من فوق للجدار على منطقة الشمس حول حوض السباحة ، بدأ يستمني ، سمعني تنقلت مني كلمات "افعلها على نية كوايت" ، وكوايت هذه كانت فتاة عشرينية جذابة جنسيا ترتدي مايوها أسود ، وكانت تنعم على بحضور طيفها لوهامي الجنسية ، لم يلاحظ أحد ذلك ، فالجميع كان يراقب إيهاب وهو يستمني ببطء إلى أن قذف وبيطء أيضاً ، مطلقاً ضحكة مغرورة وكأنه فاز بكأس في مباراة رياضية .

عبد الله الطوشي

وإذا كان إدوارد سعيد قد تعرف على عالم الجنس من حولياته الدائمة مع أبيه ، فإن عبد الله الطوشي الكاتب الراحل الكبير تعرف على الجنس في طفولته

اعترافات عارية

بمفرده، فذات يوم من أيام الصيف في قريته التابعة لمدينة المنصورة ، كانت القرية كلها ساكنة ، هرب الأهالي من جبروت الشمس والحر يقول الطوخي: ظلت أمشي وحدي ، كنت حافياً أحسست بلسعة التراب في قدمي ، لمحت لإحدى الأشجار الباسقة الملاصقة لإحدى للزرائب ، ذهبت إليها وجلست على مصطبة للزريبة في ظلها ، كان السكون يخيم على البلاد ، فلا صوت عصفور أو يمامة أو غراب ، فجأة سمعت صوتاً أدركت أنه من داخل الزريبة ، لم يكن صوتاً ، بل حركة وقدرت أنه حركة لأقدام بهائم ، لكنها كانت حركة غريبة وغير عادية في نفس الوقت .

نهض الطوخي من جلسته في حذر ، ونظر إلى داخل الزريبة ، وإذا بمنظر جعله يجرى ويجري حتى صعد الجسر وبلغ نهر النيل وجلس في ظل شجرة ، استرد أنفاسه واسترجع المنظر . أحد أفراد القرية يمسك البقرة من خلفيتها وهو في شدة هياجه والبقرة لا تريد أن تستسلم له ، يقول الطوخي ، كان ممسوساً بالرغبة ومنهمكا في محاولة تحقيقها ، فلم ير هذا الذي ينظر من الطاقة عليه ، حمداً لله أنه لم يرني ، إذ خيل لي لو أنه كان قد رآني وأنا أراه مع البقرة لأمسك بي وخنفتي دون أن يراني أحد ثم تاواني تحت الأرض حتى لا أمشي في البلاد وأنا أعرف سره أو عاره .

واقعة البقرة لم تكن الوحيدة في حياة للطوخي يقول: بينما أنا جالس ذات ظهر في ظل شجرة ، تحت ضريح مشهور عندنا هو ضريح سيدي حسن البادي، إذ بي أسمع وأرى شابين من أقبائنا يخططان في السر للحصول على حمارة واتيئتها ، لم تكن للحمارة من قريتنا ، بل جاءت يركبها صاحبها الذي حل ضيفا على والد واحد منهما ، أدركت من فرحتهما السرية بوصول الحمارة ما ينويان عليه ، فثار فضولي وأردت أن أتيقن ، فظللت أراقب حركتهما من مكمنى تحت الشجرة دون أن يراني ، حتى رأيت ابن المضيف وقد تسلم الحمارة من صاحبها ليذهب بها إلى الدوار ، وقفلا الباب خلفهما ، فنهضت من مكمنى واتجهت إلى الدوار دون أن ألفت نظر أحد إلى أن شينا يحدث ، كان باب الدوار الخشبي قديما وبه شقوق

اعترافات عارية

رفيعة يمكن للنظر من خلالها ، واقتربت على أطراف أصابعي ونظرت فإذا بي أرى أحدهما يعدل من وضع الحملرة لكي يسهل للثاني إتيانها .
اعتراف الطوخي لم يكن على الآخرين فقط.. ولكنه اعترف على نفسه أيضا، فقد كان يريد أن يتعرف على متعة الجنس دون أن يقع في الزنا يقول: لم تكن فكرة قتل الجنس تشغلي في صباى بل الذي يشغلي هو أن أحظى به لولا ، وأجرب متعته السحرية التي يتحدث عنها الأولاد الكبار هامسين ، وقد فتحت أمامي طاقة أمل مبهجة وسعيدة ، حين عرفت أن بعض الأولاد يشعرون بهذه المتعة دون أن يلجأوا إلى الزنا ، بل تأتيهم وهم نيام يستحلمون، بدا لي الاستحلام أمرا سحريا يؤكد لي أنني كبرت وأحس أحاسيس الرجال ، دون أن أتى شيئا في الحرام ، وكنت أنام على أمل أن يحدث لي ذلك ، لكنني كنت أحزن ، إذ أصحو فأجد ملايمي جافة لا أثر فيها لذلك السائل السحري .

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ رغم هدونه الظاهر ، فإن اعترافه عن علاقته النسائية ونكرياته الجنسية يثير الصخب ، كانت نظرة نجيب محفوظ للمرأة جنسية بحتة يقول: عشت في العباسية أول قصة حب حقيقية في حياتي ، وهي قصة غريبة ما زلت أشعر بالدهشة لغرابيتها ، كنت أيامها على أعتاب فترة المراهقة، وقبل أن أدخل هذه التجربة كانت علاقتي بالبنات لا تزيد على مداعبات تتجاوز الحد أحيانا، وكانت هذه التجاوزات البريئة تصطدم بالإحساس الديني ، لدرجة أنني كنت أتوجه إلى الله يوميا ، أعيش في عذاب مستمر من تأنيب الضمير .
كانت الفتاة التي أحبها نجيب تكبره سنا ، كانت في العشرين من عمرها وهو في الثالثة عشرة من عمره ، جذبها إليه بالإضافة إلى جمالها أنها كانت مختلفة عن كل البنات اللاتي عرفهن قبلها ، فلم تكن فتاة تقليدية مثل بنات العباسية ، بل كانت تميل إلى الطابع الأوروبي في مظهرها وتحركاتها .

ويعترف نجيب محفوظ ببساطة يقول: في الفترة التي سبقت زواجي عشت حياة عربية كاملة ، كنت من رواد دور البغاء الرسمية والسرية ، ومن رواد

اعترافات عارية

الصالات والكباريهات ، ومن يرانى فى ذلك الوقت لا يمكن أن يتصور أبداً أن شخصاً يعيش مثل هذه الحياة المضطربة وتستطيع أن تصفه بأنه حيوان جنسى ، يمكن أن يعرف الحب والزواج ، كانت نظرتى للمرأة فى ذلك الحين جنسية بحتة ، ليس فيها أى نور للعواطف أو المشاعر ، وإن كان يشوبها أحيانا شيء من الاحترام ، ثم تطورت هذه النظرة وأخذت فى الاعتدال بعدما فكرت فى الزواج والاستقرار .

ردوف مسعد

هذه الاعترافات تظل مهذبة ، تسبح فى العالم الجنسى للأدباء وكبار للكتاب ، لكنها لا تصرح بل تلمح ، تقضح لكن دون تفاصيل ، التفاصيل نجدها عند آخرين ، منهم مثلاً الكاتب والأديب رءوف مسعد الذى ولد فى السودان عام ١٩٣٧ .. ويستقر الآن فى هولندا منذ العام ١٩٩٠ ، فى سيرته الذاتية التى أعطاها اسم بيضة النعامة "صال وصال فى ذكرياته الجنسية ، فى حكايته الأولى يقول: أسند الخادم مكنسته المصنوعة من زعف النخيل على الكرسي ، ووقف خلف الولد الذى كان منحنيا لم يحس به الولد ، التصق الخادم زنقه بين فخديه واضعا يده على فمه يسده والأخرى ترفع جلابية الولد ، وهكذا حسم الخادم الموقف الذى كان يتنامى بينهما خلال أسبوع طويل من المطاردة ، الخادم لا يتجاوز عمره السابعة عشرة ، يعمل فى البيت من حوالى أسبوعين ، أم الولد مشغولة فى أرجاء البيت اللواسع وهى تحاول أن تضع الولد دائما تحت مراقبتها ، ولكنه كان يهرب منها ، تنادى عليه فلا يجيبها ، كانت أحيانا ترسل الخادم للبحث عنه ، حينما يجده يتمسك إليه من الخلف ويحتضنه ، أحيانا كان الولد يرفضه ويخمش وجهه ، أحيانا أخرى كان يتجاهله فيظل الخادم يحتضنه ساحبا إياه ببطء باتجاه صوت الأم المنادى ، حينئذ يتركه ويراقب الموقف عن كئيب هل سيشتكيه للولد الآن ؟ لكن الولد لم يشكه أبداً ، هناك ذلك للتواطؤ الصامت بينهما ، الخادم يكشف مكانه يحتضنه ، يجلسه أحيانا على حجره ، للولد يتصرف فى هذه الأحوال كأن شيئا لم يحدث ، لكنه يسحب نفسه فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن يضطر للاعتراف لعقله

اعترافات عاروية

الصغير بما يحدث ، حينما كلن الخادم يفقد الأمل منه ، ويتعد لبضعة أيام كان للولد يحس بالترك ويبدأ فى مناخسته ، يحتك به يخبى أشياءه ويلاحقه فى أرجاء البيت ، حتى هذا اليوم الذى حسم فيه للخادم الموقف وأحسن للحظات قصيرة بأنه السيد .

سهيل إدريس

هذا الاعتراف عن شنوذ الطفولة ينافس اعترافا آخر صاحبه هذه المرة سهيل إدريس صاحب مجلة الآداب البيروتية ، فى سيرة حياته التى كتبها تحت عنوان "نكريات الألب والحب" اعترف سهيل بشنوذ والده الجنسى ، لقد أخذ البعض على سهيل هذا الاعتراف لكنه يقول: لقد أخذ على البعض ما نكرته عن سلوك أبى من شنوذ جنسى، ولكنهم لا يستطيعون أن يشعروا بما كنت أشعر به شخصيا، حين كتبت ما كتبت ، لم يكونوا ليشعروا بالخجل الذى عاينته من سلوك أبى ، وهذا شيء إنسانى وطبيعى ، ومن المفروض أن أتحدث عنه كما أشعر بالخجل من أى سلوك يكون فيه الكذب هو الطاغى والتزوير والتضليل هما الأساس .

نعود إلى اعترافات صاحب بيضة النعامة مرة أخرى لنسمع إلى سؤاله الذى يقول: هل يمكن السير فى مظاهرة بدون ملاحظة أرداف من أمامك من البنات؟ يقول: ثمة مظاهرة للاحتجاج على اتفاقية كامب ديفيد التى وقعها أنور السادات ، سرنا جمعيا باتجاه السفارة المصرية ، المصريون الذى يعملون فى العراق ، والطلاب الذين يدرسون هناك ، رأيتها.. رأيت أولا الردفين وقد تكورا خلف البنطل الرمادى ، كنت على بعد خطوات من مؤخرتها ، فاقتربت أكثر لأرى وجه صاحبة الردفين ، إنها يمامة التى تدرس فى كلية الطب ، أعرف والدها على خفيف ، سألت نفسى مؤنبا لماذا لم أهتم بها من قبل ، الردفان يقبلان ويدبران يتلاطمان ويتراعشان ، قلت لنفسى لو لم تكن تمتلك يمامة شينا سواهما لشفعا لها . ويواصل رءوف اعترافه : انتهت المظاهرة كما قدر لها ، وضعت نذبتى فى مجال جسدها ، تبادلنا بعض الملاحظات ، وجهها الخفيف السمرة يتضرج انفعالا

اعترافات عارية

وينضح عرقا يتجمع فوق شفتها العليا التي تبرز قليلا فوق السفلى وينحدر فوق رقبتها ويلصق بلوزتها للبيضاء الخفيفة على صدرها الصغير بالنسبة إلى الردفين، القدم صغيرة متناسقة مع الكف، الفخذان معقولا للطول، للخصر نحيل متماسك، الظهر منسجم بانسياب ورائحة جسدها نظيفة ممتزجة برائحة انفعالها وتوترها وعرقها.

هذا الوصف غير البرئ لملاح أنثى ناضجة فواره يقود رعوف مسعد من بغداد إلى القاهرة يقول: في بدروم صغير في حي جاردن سيتي في القاهرة وفي سنتي للجامعية الأولى وفي الشقة التي يسكن فيها أصدقائي الطلاب السودانيون، سألت المرأة التي صدناها من شارع قصر النيل والتي كانت في منتصف العمر خلاص؟ فأجابت: طبعا هي شغلانة؟ أرتدى ثيابي وكنت ما أزال مشغولا بالسؤال الأبدى الذكوري: هل أنا رجل بما فيه الكفاية؟ وما هو التكنيك الصحيح الذي يسعد المرأة؟ وهل للحجم علاقة بكل ذلك؟ أجلس في الصالة أدخن سيجارة بينما يلغظ الآخرون ويضحكون بتوتر، أسير إلى ميدان التحرير، الباص إلى شقتنا في الضاهر، أختي الكبرى تسألني مسترربة كنت فين، فأتلعثم، تقول دون أن تنظر إلى، ريحتك غريبة أذهب إلى الحمام، أدعك جسديك بالليفة والصابونة.

محمد شكري

نصل إلى المحطة الأخيرة الأكثر شراسة وسخونة وإثارة وفضيحة، تلك هي محطة محمد شكري، الكاتب المغربي صاحب رواية "الخبز الحافي" التي صدرت لأول مرة باللغة الإنجليزية عام 1973. الفصل الثالث من الرواية ليس اعترافا مكشوفاً عن عالم شكري الجنسي، ولكنه اعتراف يصل إلى حدود الفضح، يصف فيه شكري لقاءاته الجنسية الأولى وصفا كاملا، يحكى عن المرأة الأولى التي أختبر معها رجولته يقول: فنقلنا إلى حي الطرانكات، أعين أمي في بيع الخضر والفواكه، أنادى بصوت صاخب على المشتريين بالأسبانية، كل مساء أخذ لنفسى دون علم أمي النقود لشراء معجون الحشيش والكيف والجلوس

اعترافات عارية

لم يكذ شكري أن ينتهي حتى قالت له المرأة: هيا.. إنك انتهيت.. لقد أتى نور رفيقك دفعتني عنها ، وقبل أن ينسحب حذرته المرأة ، ليس هكذا ثلوث لي الفراش انتظر حتى أريك كيف ينبغي لك أن تنسحب ، لم يجد شكري تعليقا على هذه النهاية المهينة إلا أن يقول: أنها حمقاء هذه المرأة: أليست هي التي أمرتني أن أقوم من فوقها؟ تدير لي ظهرها انتهى مؤخرتها أيضا ، فكرت أنها معلمة الجماع كما قيل لنا ، لكنها تشكو كثيرا .

تعود محمد شكري وصديقة التفرمى أن يتردد ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع ليكتشفا امرأة جديدة تقبل أن تدخل معهما ، يقول شكري : بعضهم يرفضن ، كلهن تقريبا يتشابهن في الفراش (هيا .. لنته بسرعة) كنا نعود عند اللواتي يعطيننا شفاهن ونهودهن ويتركنا نعمل الحب معهن على مهل ، قلت للتفرمى : الفعاس مع امرأة بلا تقبيل الشفتين وضم النهدين باليدين ليس نعاسا كاملا .

هذه النظرية التي وضعها الصعلوك المغربي "تقبيل الشفتين وضم النهدين باليدين" كان لابد من تحويلها إلى واقع مرئي ومسموع وملموس - ذهب شكري إلى الأسبانيات .. المرأة هذه المرة كان اسمها ايريس فورتى يقول شكري : تعرت من كل ثيابها ، تمددت على الفراش رافعة ساقها ضامة فخديها ، ثدياها صارا مثل خبزتين صغيرتين مدورتين ، لم تقبض على بمقصها ، تمددت مثل تونة كبيرة ، ثبتت ساقها تحت الساق الأخرى ، نظرت إلى انفراج ساقها وضع غريب على ، تركنتي أقبليها في فمها بلطف ، فمها حلو وحر ورائحة عطر تتبعث من خلف أنفيها ، تألمت قالت : لحظة سأغير وضعي ، هذا الوضع يبدو أنه لا يلائمك ، ربما يلائمك هذا ، غيرت وضعها ، خفت ألا تتركني أدخل فيها مرة أخرى ، اعجبني الوضعان تركنتي لمس نهدتها برفق ، حينما ملأت فمي بنهدتها ولساني يدغدغ حلمتها قاومت رغبة قوية حتى لا أعضها .

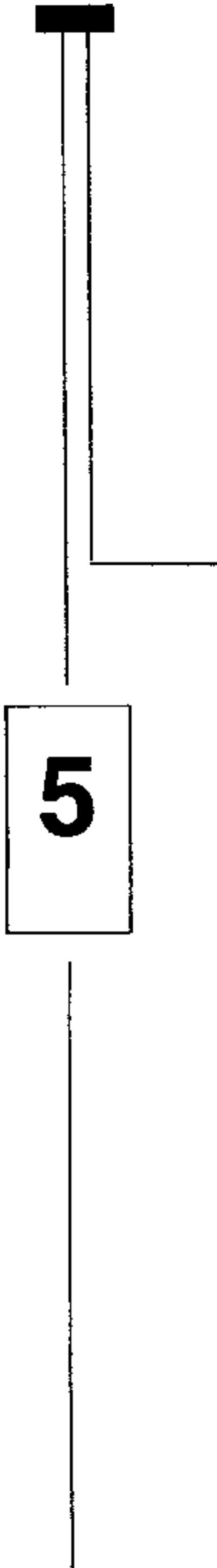
بعد أن انتهى شكري سأله رفيقة كيف هي ؟ فقال له : أحسن من كل الأخريات ، تعطي جسمها كله ، نظيفة ومعطرة وليست مستعجلة مثل الأخريات ،

اعترافات عارية

سترى بنفسك وأتمنى أن أموت فوق جسد امرأة مثلها ، وفي الليل حلمت أنى لرضع نهد امرأة ، حليبها يفور فى وجهى حتى كنت لأختق ، غرق محمد شكرى فى الجنس لدرجة أنه عندما مات أخوه ، لم يحزن على موته ، لأنه كان غارقا فى همومه وتشرده فى عالم المذات ، فقد أصبح ينفق كل ما يربحه وصديقه على شرب الخمر والنوم مع نساء حى الساقية .

لم يفضح محمد شكرى حياته الجنسية الخاصة به وحده ، لكنه ألقى بصورة للعلاقة الخاصة بين أبيه وأمه فى وجوه قرانه يقول : كان أبى يغيب يوما أو يومين ، وحين يعود يتشاجر هو وأمى ، غالبا ما كان يدميها ، لكننى فى الليل أسمعها فى الفراش يتصاحكان ويتأوهان بلذة ، بدأت أعرف ما كانا يفعلان ، إنهما ينامان عاريين ويتعانقان هذا ما يصلحهما إنن ، عندما أكبر ستكون امرأة سأخاصمها فى النهار بالضرب والشتم وأصالحها فى الليل بالعرى والعناق ، إنها لعبة جميلة ومسلية بين الرجل والمرأة .

اعترافات محمد شكرى تظل هى الأكثر صراحة وفضحا وإيلاما من الآخرين ، ليس لأنه أشجع منهم ، ولا أكثر قيمة أدبية أو ثقافية ، فهو لم يتعلم القراءة والكتابة حتى العشرين من عمره ، ولم تكن حياته التى قضاها فى الجنس بالطول والعرض تعبيراً عن فكره ، بقدر ما كانت تعبيراً عن القهر الذى عاشه فى ظل أب يكره أولاده ، فقد قتل الأب العايب أحد أبنائه فى لحظة غضب ، ظل محمد شكرى شريراً فى أزقة مظلمة وخطرة بحثاً عن قليل من الطعام أو زاوية لينام فيها ، هذه للتجربة الحياتية القاسية قادتة للتعرف على دنيا السارقين والمدمنين للخمر ، ولذلك كان طبيعياً أن يفضح نفسه قبل أن يفضح مجتمعه ، ولما كان هذا المجتمع لا يخاف إلا من الفضيحة الجنسية فقد ضربه على رأسه بالحذاء وأخرج لسانه - وربما أشياء أخرى ليقول له "طظ فيك" .



السي

أبجد

نساء فى غربه

كنت فى زياره زميل لى يسكن احدى قرى الصعيد ، وبينما كنا نجلس نتبادل القفشات دخلت علينا جدته ، جاءت تسلم على زملاء حفيدها.. واذا بها تسلم عليه اولا وتقبل يده.. وعندما جاء على الدور فى السلام بادرت انا وقبلت يد السيدة الكبيره ، وقعت فى حيره ، سألت زميلى.. لماذا تترك جدتك تقبل يدك والمفروض ان تفعل انت ذلك.. رد على ببساطه مازلت احسده عليها.. إنها تفعل ذلك احتراماً لى !

وفى قريتى الصغيره الساكنه على نيل دمياط ، أنهت احدى قريباتى خطبتها لأن السيد خطيبها وكان من قرية مجاوره قال لها.. عندما تأتين بيتنا وعندما تسلمى على أى رجل فى العائله يجب أن تقبلى يده.. ولما سألته مستكبره ، ليه يعنى.. قال لها ببساطه تماثل بساطه زميلى الصعيدى: لأنك مرة !

وجدت صدى لهذه الأحداث فى ذاكرتى بعد أن انتهيت من قراءة الكتاب الذى أعدته د. إيمان بيبرس وأعطته عنواناً دالاً هو "بطلات وضحايا.. النساء والرفاهه وانحياز الدوله فى مصر" .. الكتاب فى أصله رساله نكتوراه أعدتها د. إيمان خلال عشرين شهراً فى سبع مناطق فى مدن مصر وقراها ، قابلت خلالها سيدات مصريةات وجدن أنفسهن فجأة بدون عائل وبدون مهارات وبدون تعليم ، وكان عليهن أن يواجهن الحياه بمفردهن تقف فى طريقهن أشباح لقمه العيش والخوف على البنات ، والخوف من الولد وعليه والتحرشات الجنسيه من رجال يرغبون فى المتعة بلا ثمن .

عبر الدراسه الجاده التى قدمتھا د.إيمان بيبرس للمجلس الأعلى للثقافه وصدرت فى كتاب تضع يدك على أسباب قهر النساء فى مصر.. فالمرأة مقهوره

نساء فلا غربة

على الدوام ، عندما تولى وجهها شطر الدولة لا تستطيع ان تحصل على حقها ، وعندما تضع مصيرها في يد الدين تصبح أسيرة.. تتكلم بحساب لأن صوتها عورة ، ولا تخرج من بيتها إلا بحساب.. لأن خروجها حرام ، ولا تعمل إلا بشرط حتى لو كانت عائلة لأولادها وزوجها ، وتتفق عليهم ، وعندما تركز ظهرها على حائط المجتمع تجده قاسياً ينظر لها برؤية شديدة.. فهي إما معقدة نفسياً.. لو عاهرة تخرج لاصطياد الرجال .

في دولة عبد الناصر التي قدمت نفسها كأداة اجتماعية واقتصادية للتغيير، ضمنت الدولة التعليم المجاني والخدمات الصحية المجانية وفرص العمل للرجال في الحضر والريف ، وعلى يد عبد الناصر كانت مجانية التعليم فرصة حقيقية للنساء ، حيث ضمنت لهن وظيفة مضمونة ووفرت لهن دخلاً ثابتاً ومنتظماً حتى ولو كان محدوداً ، وكان ذلك طبيعياً بعد أن أقر دستوراً ١٩٥٦ و ١٩٦٣ المساواة بين جميع الأفراد بغض النظر عن الجنس ورفض التمييز بين الجنسين على أي أساس كان .

في هذه الفترة سعت الدولة إلى توفير فرص العمل لجميع خريجي الجامعات والمدارس الثانوية وأسست مراكز لرعاية الطفل ، وسنت قوانين عمل متعاطفة مع ظروف النساء ، ومن ثم وفرت الدولة للنساء إمكانية اختيار العمل بأجر.. وبالتالي فقد أصبح عمل المرأة موضوعاً يهم للرأي العام .

في دولة السادات اختلف وضع المرأة شيء ما ، فقد أفرز تحرير الاقتصاد وسياسات الانفتاح أشكالاً جديدة من الإدارة ، كان لها أثرها على معدلات الطلب على عمل المرأة، مما أدى إلى انخفاض فرصها في العمل ، تجاهلت قوانين السادات القوانين التقدمية التي صدرت في الخمسينيات والستينيات ، وظهر التمييز في فرص التشغيل في سوق العمل بشكل واضح ، كان أبرز ما فيه الإعلان عن وظائف للذكور فقط في القطاع الخاص .

الآن.. وبعد أن أصبحت سياسة الخصخصة هي السائدة.. أصبح القطاع غير الرسمي والزراعي المصدرين الأساسيين للدخل بالنسبة للنساء ، في القطاع غير الرسمي تعمل النساء دون تمثيل نقابي أو أي حماية قانونية و لا يتمتعن بأي

نساء في غربة

حقوق للعمل مثل الأجازات مدفوعة الأجر أو ساعات عمل ثابتة أو رعاية صحية أو حضانات لأبنائهن ، وعليه فإن الأمر لا يقتصر على انخفاض مشاركة النساء في سوق العمل العام والرسمي وحسب، وإنما يرتبط خروجهن إلى القطاع غير الرسمي بحرمانهن من العديد من المنافع الاجتماعية اللاتي كن يتمتعن بها.

نتحدث حتى الآن عن نساء متعلمات.. لديهن القدرة على العمل والمقاومة.. لكن ما بال من لم تتعلم ليس لديها قدرة على العمل.. لا تعرف من الرجال إلا زوجها ولا تعرف من الحياة إلا أنها أمرت فيجب أن تطيع ، ومثل هذه المرأة كثيرات للغاية بين سطور البطولات والضحايا .

فالمجتمع لا يرحم المطلقات ، السيد عنتر من مساكن الإيواء يقول بقسوة: لية اللي يخلي الست تسيب جوزها ، إلا إذا كانت حاطه عينها على راجل تاتي واعدتها بمال أكثر ، المطلقة دي ست طماعة ، يا إما عاوزة فلوس أكثر ، إما بتدور على متعة جنسية في الحرام ، علشان كده لازم العين تبقى عليها طول الوقت" ، الغريب أنك قد تفهم تحامل عنتر فهو رجل.. لكن أم تفيده من سكان منطقة المقابر كانت أكثر قسوة قالت : الواحدة لازم تتحمل ، علشان كده إحنا ستات ، إذا الواحدة منا تمردت على الحال ، يبقى لازم فيه حاجة لنيمة في بالها ، أنا شخصيا عمري ما أصاحب مطلقة ، أكيد هتبقى عينها من جوز الواحدة" .

هذا التعامل العنيف مع المطلقات ولو نظرياً.. جعل هند تتزوج أول عابر بعد أن طلقت دون أن تسأل عن أى شيء.. نقول من بيتها في منطقة المقابر: ما كان سهل إني أكون مطلقة ، كنت صغيرة ، وحلوة وكل الستات اللي في الشارع بطلوا يتعاملوا معايا ، كان إحساس وحش قوى . وكنت حاسمة إني لوحدى وإني مهملة ، وكان نفسي أموت نفسي ، وبعد كده اتجوزت أول واحد أتقدم لي ورضيت بنصيبي ، على رأى المثل ، ضل راجل ولا ضل حيطه الراجل برضه بيحميك" .. نبذ المطلقات جعل النساء يصبرن على للضيم والقهر ولا يرجبن بالانفصال، ست البنات إحدى نساء مساكن الإيواء قالت:كنت كارهة حياتي معاه ، وكنت كثير باسرح وأحلم إني أخذ حرיתי لكن كنت بخاف أطلبها ، لكن هو طلقني علشان واحدة تانية ، يومها عيطت وحسيت إني خليفة قوى ، أهلى فقرا وعاشين في قرية في الصعيد.. وأنا هنا لوحدى خالص .

نساء في غربة

ولأن الناس لا يرحم فإن المرأة ترجع صاغرة إلى بيت زوجها بعد أن يطلقها، حدث هذا مع هاتم.. التي تسكن في الأخرى في مساكن الإيواء تقول: جوزي اتجوز على لأن كل خلقتي بنات ، غضبت ورجحت أعيش مع أبويا ، طلقني عشان يعاقبني ، الناس كانت يتكلم على ، خفت على سمعتي وسمعة بنتي، رجعت له وقبالت كل شروطه.. ده نصيبي ما أقدرش اغيره .

ولا تبعد حكاية أمل كثيرا ، بل ربما تكون جارة هاتم في مساكن الإيواء ، تقول: جوزي كان بيضربني وكان وحش لوى معايا ومع ولادي.. فهربت ، بس بعد يومين رجعت له تاني واستحملت كل الإهانة والضرب ، مالفقتش حتة أروحها، ماحدث رضى يأجر لي لوضة صغيرة ، وماعرفتش اشتغل لأن ما حدثش كان عايز الولاد معايا في مكان الشغل و ما عنديش مكان أسيبهم فيه .

قهر المرأة المطلقة يجعلها تتمنى الموت لزوجها .. فإن تعيش أرملة أرحم من أن تعيش مطلقة ، أم أشرف أرملة بلغت من العمر ٥٠ عاما ولديها خمسة أطفال ، تزوجت في عمر ١٥ سنة وبعد ٢٠ سنة من الزواج أراد زوجها أن يتزوج بأخرى ، تقول: أنا ارتحت لما عرفت إنه عاوز يتجوز الست الثانية دي ، ماكنتش عاوزه أعاشره خلاص ، وكنت عاوزه ينشغل بحد تاني ، كلنا عشنا مع بعض في نفس البيت لما مات فرحت وحسيت إني قوية ، وإن حياتي رجعت تاني بقت في أيدي ، بقيت متحكمة في حياتي وفي روعي ، ما حدثش يقدر يجيب سيرتي لأني ست كويسة ، وعاوزة الحق ، أنا ما يهمنيش ، أنا عارفة روعي وأنا مبسوطه من غير راجل .

ليس لقسوة المجتمع حدود.. فالمرأة التي تطلق تصادر منها الحياة.. تفعل الدولة ذلك.. والحالة هذه المرة لمريم ٤٥ سنة مطلقة من منطقة إعادة التوطين تقول: لما اتطلقت جوزي طردني من البيت لأنني ما خلفتش ، وعشان كده القانون ما بيدنيش الحق في بيت الزوجية ، ما عرفتش أروح فين ، بعت كل ذهبي واستلفت من إخوانتي وقدمت على برنامج الإسكان للمدعوم بتاع الحكومة ، لكن هم رفضوا يكتبوا السكن الجديد باسمي ، وطلبوا أخويا أو أبويا أو جوزي ، أنا مش مالية عين الحكومة لأنني واحدة ست .

نساء فى غربة

ومرة تصادر الحياة من قبل الجمعيات التى تدعى العمل لصالح للنساء بعيداً عن الحكومة.. قابلت د.إيمان أحد أعضاء الجمعية الشرعية قال لها: لا.. إحنا بندى إعانات بس للأرامل مش للمطلقات ، كان مفروض يفضلوا فى بيوتهم ويحافظوا على عائلاتهم ، الست اللى ما تعرفش تحافظ على جوزها ست فاشلة.. والنتيجة فى جميع الحالات واحدة .. ضياع امرأة وانحرافها .

وإذا كان المجتمع لم يرحم جزءاً منه وهو النساء .. فإن الدولة كتبت لشد قسوة وأصلب قلباً وأغبى عقلاً، أحد المسئولين بوزارة الشؤون الاجتماعية قال لإيمان بيبرس عندما سألته .. لماذا لا يساعد امرأة طلبت إعانة والكلام بالنص : أنا سبق قبل كده ابنى رفضت أساعد الست دى ، وأنا مصمم ابنى ما أساعدهاش علشان كده من فضلك ما تتدخليش ، دى واحدة ست سايبية ، اتجوزت مرتين وفى كل مرة كانت بتتطلق ، وجاية دلوقتى تطلب مساعدة ، مين سمع عن كده الست دى جت قبل كده ، وأنا قلت لها إتيا واحدة ست بتاعة مشاكل وأنها مش عايزة تعيش زى الستات المحترمين وعلشان كده الحكومة مش هتساعدها .

الكلام بلا ديكور.. يعبر بصراحة تصل إلى درجة الصفاقة أن الدولة لا تساعد إلا بشروط.. ومن بينها أن تكون الست مؤدبة ومهذبة وليست بتاعة مشاكل ولأن المرأة مطلقة.. فلا بد أنها ليست محترمة ولذلك فهى لا تستحق المساعدة والشارع أولى بها.

المفارقة أن الدولة ليست وحدها هى التى ترفض مساعدة النساء الفقيرات العائلات لأسرهن ، فعلتها مريم - ٣٩ سنة - رفضت أن تذهب لوزارة الشؤون تطلب المساعدة لأنها تخشى الفضيحة تقول : اتجوزت لمدة ١٤ سنة ، وعشت معاه فى الفيوم ، خلفت أربع مرات ، وجم كلهم بنات ، علشان كده راح اتجوز واحدة تانية علشان يجيب الولد ، أنا رضيت بالوضع الجديد لأن ماليش حنة أروحها ، لكن أول ما جابت له الولد طلبت منه إنه يطلقنى ، راح طاردنى من البيت ومن ساعتها جيت أعيش مع أختى فى إسكندرية ، إحنا قلنا للجيران إن جوزى فى ليبيا، أنا عندى أربع بنات وعائشة مع أختى الأرملة ، إذا الناس عرفوا إن أنا متطلقة هنخسر سمعتنا وسط للناس ، أنا سمعت عن المساعدات اللى

نساء فرعونية

بتقدمها الشئون بس ما قدمش عليها سمعت إنهم بيتكخلوا فى الحكايات وبييجوا يسألوا عن الواحد فى الحنة بتاعته وكمان ما بيحفظوش سر وممكن ينموا على الواحد منا ، أنا مش عاوزة وجع دماغ وما لآخرش لجازف ، أنا مش عاوزة حد يعرف حقيقة حكايتى !

الدولة لا تساعد إنن إلا إذا فضحت.. ولدينا فى مصر نساء فقيرات لكنهن عفيفات.. يمتن جوعا ولا بهتك سر حاجتهن لكن القانون المصرى لا يقدر فهو يعيش بصمم مزمن ، فى قانون رقم ٧٩ لعام ١٩٧٥ يحق للمطالبة الحصول على معاش زوجها إذا توافرت فيها عدة شروط: ألا تكون هى من طلبت الطلاق وأن يكون الطلاق قد حدث ضد رغبتها "فالقانون يعاقب المرأة التى تطلب الطلاق دون للنظر لأسبابها التى دعته لذلك" ، وأن تكون قد تزوجت المتوفى لمدة عشرين سنة على الأقل ، وألا تكون قد تزوجت مرة أخرى بعد طلاقها ، وألا يكون لديها مصدر آخر للدخل .

وإذا كان قلب القانون صلبا، فإن قلب موظفى الشئون الاجتماعية أصلب.. وهذا حوار دار بين سيدة وموظف قال لها: أنت ليه عاوزة التامين؟ مش هتاخدى إلا ٦٠ جنيه فى الشهر وبتى دلوقتى بتكسبى أكثر من كده ، ردت الست : عندى ثلاث أولاد وجوزى مات من ٥ سنين ، الأولاد محتاجين كل مليم علشان المدرسة والواحد بيكبر ما بيصغرش ، فرد الموظف بسخافة: ولية توديههم المدارس؟ الشغالات اللى زيك بينضفوا البيوت وبيكسبوا كثير من غير ما يوجعوا دماغهم بالمدارس والكلام ده كله ، وعلى ما يبدو أن موظفا آخر كان يسمع الحوار فاشترك معهما قائلا: ده غير لللى بيكسبوه على جنب عن طريق السرقة ، أنا كان عندى شغالة سرقت الحلق الذهب بتاع بنتى ، عمرهم ما بيقدروا أد ليه إحنا كويسين معاهم وفى الآخر دايما يخونوا.. تأثرت الست من الاتهامات الظالمة فردت عليهما: أنا مش حرامية وكل لللى أنا عاوزاه ابنى أقدم على التامين الاجتماعى ، نهرها الموظف الأول الذى لم يعجبه دفاعها عن نفسها قال: إياكى نعلى صوتك ، ولوعى تتسمى بنتى مين ، وعلى كل حال ما عندناش استمارات تأمين النهارده.. لبقى عدى فى وقت تانى .

نساء فلا غربة

ليس هذا جزءاً من حوار تضمنه مسلسل تليفزيونى ممل ، ولكنه نموذج لكيفية تعامل الموظفين مع السيدات اللاتي يعتبرونهم أقل منهم فى المكانة والقيمة ومن ثم يدفعونهن بعيداً عن الخدمة ، إن موقف موظفى الحكومة من الفقراء عموماً والنساء على وجه الخصوص هو موقف السيد المتعالى ، ينظرون إلى النساء اللاتي بلا رجال على أنه لا حول لهن ولا قوة.. وهذا مسنول يعبر عن وجهة نظرة يقول: إحنا بنحاول اللي نقدر عليه علشان الأرامل الغلابة دول ، بيبقوا لا حول لهم ولا قوة بعد ما يموت الراجل اللي كان بيصرف عليهم .

صدرت الحكومة للفقراء الطرشة فوقعن فى يد جماعات لا ترحم.. تأخذ من الدين ستارا لتحقيق أغراضها فى السيطرة على القاعدة الشعبية من الناس ، وفى كلام أم سلامة أرملة تسكن للمقابر ما يكفى قالت: أنا قلت لبنتى تروح لأم هيثم فى الجامع ، الست فى وزارة الشئون الاجتماعية ست وحشة ، هى بتأخذ مرتب علشان تخدمنا لكن هى رأيها إننا ناس لمامة ، أنا لا يمكن أروح للحكومة علشان أى خدمة ، الموظفين اللي هناك دول مناخيرهم فى السماء ومش عاوزين يساعدونا ، أصلهم لو إبونا فلوس مرتباتهم هم مش هتزيد ، وتلاحق منى من العشوائيات كلام أم سلامة تقول: أم هيثم بتاعة الجامع وأصحابها جم لبيتى وشربوا شاي معليا ومع ولادى ، جت علشان تتأكد أن أنا فقيرة بطريقة مؤدبة، البيت الخايبة بتاعة الشئون ما تعبتش نفسها حتى أنها تدخل البيت وسألت عنى فى الحتة وسألت عنى الجيران عملت لى فضيحة ، أنا رفضت أخذ منها فلوس "الحكومة تفضح.. أما بتوع الجامع فيسترون" .

ما يدهشك أن ما تريد الحكومة أن تتجاهله فضحته أم خالد من مساكن الإيواء وهى تشير إلى أفراد الجماعات الإسلامية والإخوان المسلمين قالت: السنة دول ماليين للدنيا هنا ، وعاوزين ياخدوا الشباب معاهم ، إذا قيلت منهم المساعدة هيبندوا بحطو شروطهم ويحاولوا ياخدوا ابني معاهم ، أنا مش عاوزة مشاكل مع الحكومة ، أم صابر زوجة أرزوقى وتسكن فى مساكن الإيواء كانت أكثر صراحة قالت: إذا أخذنا فلوسهم هيطلبوا منا نصلى ونلبس الحجاب ، واحنا مش عاوزين كده.. إحنا عاوزين حريتنا .

نساء في غربه

هل تريدون ما هو أكثر وأفضل.. يوجد المزيد ، والكلام هذه المرة لصباح
عمرها ٣٣ سنة أرملة وتمكن للمقابر تقول: السنة دول بييعتوا للمستات المحجبة
بس ، دول اللي لابسين أسود في أسود ، لو رمادي في رمادي ، ومش بييصوا لنا
خالص ، أنا لابسة المنديل بتاع الفلاحين على رأسي ومش عاوزة ألبس الحجاب ،
وعلشان كده بيعلقوني وما ياخدوش الطلب بتاعي ، يخلوني استنى وخالص .

لا نجد عند نساء إيماء بيبرس ما يسر.. كلهن بقسات أحوجتهن الأيام في
مجتمع لا يرحم.. ودولة ترى بعين واحدة.. وجماعات لا تتورع عن استخدام
الدين في استغلال حاجات الفقراء.. لقد وضعت دراسة د. إيمان أعينا على فئة
من النساء في مصر.. لا تطالب بالمساواة مع الرجال.. لا يشغلها كثيرا إن كانت
المرأة ستصل إلى كرسى القضاء أم لا . لا تعرف شيئا عن نوال السعداوى
واهتمامها بحرية المرأة الجنسية.. لم تسمع عن المجلس القومي للمرأة الذي لا
يكف عن الندوات والمؤتمرات والصحيات التي تتبدد في الهواء.. لكنها فئة تبحث
عن الحق في الحياة.. يبحثن عن لقمة العيش وتربية الأولاد.. لكن لا أحد
يساعدهن على ذلك .

وصلت دراسة "بطلات وضحايا" في محطاتها الأخيرة إلى أن كل برامج
المساعدة الاجتماعية التي تقدمها الدولة أو حتى أية جمعيات أخرى ، لم تكن
متعاطفة مع النساء ، وكانت قواعدها ولوائحها تقمع وتهمش النساء المحدودات
الدخل والعائلات لأسرهن ، كانت إيمان بيبرس تعرض ذلك قبل أن تبدأ في
دراساتها. كما يعرفه الممنولون في الدولة.. وكما يعرف أفراد الجماعات
الإسلامية .. وكما تدرك كافة الجمعيات الأهلية التي تعمل من أجل المساعدة في
توفير حياة ولو شبه كريمة.. ولكنها تكتفي أحيانا بعقد المؤتمرات والندوات
واللقاءات وطبع للكتيبات وكان مشاكل النساء الفقيرات ستحل بهذه الوسائل.. فلا
للدولة تفعل شيئا حقيقيا.. ولا الجمعيات الأهلية تفعل شيئا ملموسا.. وهذا طبيعي
ومنطقي فإذا حلت الدولة جميع المشاكل فلا داعي لوجودها.. وإذا أصبح الفقراء
من الرجال والنساء أغنياء فلا حاجة للجمعيات الأهلية التي ترفع شعار المساعدة
منهاجا لها.. ولما كانت الدولة لا تريد أن تزول.. وكانت الجمعيات الأهلية لا تريد
أن تغلق أبوابها.. فإن المشاكل ستظل قائمة.. ولا عزاء لفقيرات مساكن الإيواء
والمقابر والعشوائيات !



6

۷۲

يٰۤاَيُّهَا

اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا

بيكار.. أبانا الذي في الزمالة

قبل أن يموت حسين بيكار بعدة أيام داعبه أحد أصدقائه المقربين قائلاً عازين نحتفل بعيد ميلادك للتسعين يا عم بيكار ، فرد عليه هامساً الحمد لله.. كفاية قوى كده ، كان تلاميذ بيكار يتعشمون في وجه القدر ان يترك لهم أستاذهم ، الذي كان سيتم عامه التسعين في ٢ يناير ٢٠٠٣ لكن الأستاذ كان على ما يبدو قد شبع من الحياة التي أرهقها وأرهقته .

لم ينصت القدر لخفقات قلب المريرين . فخطف الولي الذي كان فناناً وحفاراً ورساماً وموسيقياً وناقداً وشاعراً ، ولأنه لم يكن فناناً تقليدياً فقد اختار أصدقاءه ان يكون تأبينه متمرداً ، فقد أقيم العزاء في نقابة التشكيليين ، وجاء القارئ للطبيب أحمد نعينع لتساب منه آيات القرآن نوراً ورحمة ، أراد أن يقرأ من خلال مكبر صوت لكن القائمين على العزاء رفضوا فقد أرادوه عزاء هادئاً.. وطبيعياً لم يحضر مندوب من الرئاسة لتقديم واجب العزاء ، رغم أن بيكار حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٠ وحصل على جائزة مبارك للتفوق عام ٢٠٠٠ ، لم يفتعل أصدقاء وتلاميذ بيكار بعدم حضور مندوب رسمي للعزاء ، فقد كان الفقيد عزيزاً والفقء مؤلماً .

بيكار واحد من أبناء الإسكندرية الذين أعطتهم عبقريتها وشموخها بعد تخرجه في قسم التصوير في مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٢٨ تدرج في وظائف التدريس بالمدارس الثانوية ، وفي عام ١٩٤٢ انتقل بيكار إلى كلية الفنون الجميلة التي أصبح رئيساً لقسم التصوير بها .

حمل عام ١٩٤٤ مفاجأة لبيكار ، فقد أرادت وزارة المعارف طبع كتاب "الأيام" لطفه حسين عرضت الوزارة على بيكار ان يقدم الرسوم للتوضيحية فكانت سعادته لا توصف لأنه لأول مرة ستخرج أعماله لجمهور يتجاوز دوائر الفنانين

بيكار.. أبانا المنذر في الزمان

والأصدقاء إلى جمهور أوسع ، بعد أيام طه حسين طلب على أمين من رشاد منسي أن يرشح له رسالاً يثق فيه ليعمل معه في أخبار اليوم .

ظل بيكار يجمع بين عمله للحكومي في كلية الفنون وعمله الصحفي في أخبار اليوم طوال خمسة عشر عاماً كان بيكار يشعر أنه يجمع بين زوجتين وفي عام ١٩٥٩ قالها له على أمين صريحة يا بيكار ليس من مبادئنا تعدد الزوجات وعليك أن تطلق زوجتك الحكومية فوراً وتتفرغ للصحافة ، إن مكانك هنا في أخبار اليوم .

طلب بيكار مهلة أسبوعاً ليفكر.. فالقرار صعب فكيف يهجر زوجته الحكومية التي قضى معها ثلاثين عاماً دون سبب ، كان على أمين يعرف مقدر بيكار جيداً لم ينتظر أسبوعاً ثلاثة أيام فقط طلب "على" بيكار وقدم له ورقة عليها إمضاه وقال له اكتب شروطك وفي اليوم التالي كانت استقالة رئيس قسم التصوير أمام عميد كلية الفنون الجميلة .

وإذا كان على أمين هو الذي حول مصير بيكار من العمل الأكاديمي إلى العمل للصحفي فإن محمد حسنين هيكل هو الذي اكتشفه منذ البداية فعندما كان هيكل رئيساً لتحرير آخر ساعة قال له: يا بيكار نفسي في فنان يكتب.. أنا عايزك تكتب يا بيكار عايز تلقائية للفنان.. وتحت إلهام هيكل كتب بيكار قصة ورسمها كان اسمها "المصباح الأحمر" .

رحلة طويلة قضاها بيكار في العمل الصحفي حصل خلالها على عدد كبير من الجوائز أقام معارض لا تعد ولا تحصى شارك في مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بكلية الفنون الجميلة والتربية الفنية بالقاهرة أصدر كتباً ووضع آلاف المقالات حضر مئات المعارض احتضن عشرات الفنانين الشباب كل هذا يعرف عنه الذين يتابعون أعماله لكن بيكار الإنسان.. الهادئ الصاخب.. الشامخ المتواضع.. المبدع الخلاق ظل مجهولاً .

وإذا أردت الخلاصة عن بيكار فهي في نصف كلمة كتبها الكاتب الساخر أحمد رجب عنه في بيكار عنده فنان مهذب جداً إذا ألقى التحية على أحد قال له من

بيكار.. أبانا الذي في الزمالة

فضلك صباح الخير ، وإذا رد للتحية على أحد قال: من فضلكم للسلام عليكم ورحمة الله . ويقال وهي رواية غير مؤكدة أنه تترفض في المرة الأولى في حياته من ٢١ سنة ولكن صوته لم يرتفع ولم يفقد ابتسامته الهادئة ولكنه قال للشخص الذي استغزه من فضلك عيب كده ، إن عيب كده - كما كتب أحمد رجب - هي أكبر شتمه في قاموس بيقار ، وحينما سمعت بعض الصحفيات هذه العبارة منه "عيب كده" غطين وجوههن وقلن.. إياه !

لا يستطيع أحد ممن يريدون أن يتحدثوا عن بيقار أن يخرجوا عما كتبه أحمد رجب فقد أعطانا بيقار الإنسان في كلمات قليلة لكن الفنان والكايب الكبير إبراهيم عبد الملاك قفز فوق جميع محبي بيقار عندما وضعه في مكانة الأب الكبير.. فهو لا يكتب ولا يتحدث عنه إلا بقوله "بيكار.. أبانا الذي في الزمالة" فقد كان بيقار يعيش في الزمالة منذ انتقل إليها من مصر الجديدة عام ٦٥ .

عبد الملاك قال لي إن رفعه بيقار إلى هذه الدرجة جعل الكثيرين يغضبون منه لكنه لم يلتفت إليهم فهو لم يقصد المعنى الدينى من الكلمة.. لكنه كان يعنى المعنى الإنسانى الراقى الذي يصبح معه الإنسان ملاكاً يمشى على الأرض وقد كان بيقار كذلك كان متواضعا لدرجة تخرج الآخرين يوجه ملاحظاته بأستانية لاحظها الحاج إبراهيم عبد الرحمن صاحب قاعة بيكاسو التى كان يعرض بيقار فيها معظم أعماله منذ عام ٩٦ فعندما كان يقيم فنان صغير معرض ويدعو بيقار كان يحضر إلى القاعة قبل الافتتاح بفترة كان يبدى إعجابه باللوحات في البداية ويقول للفنان: نفسى أتعلم ده منك.. أنت عملتها ازاي.. وعندما يأتى للنقد يقول له لوحاتك يمكن أن تكون أفضل لو عملت الجزئية الفلانية بيقار نفسه حكى أنه زار مرسم إحدى الفنانات الواعدات وكان تعليقه الأول على لوحاتها أنها لوضعت داخل إطارات أفضل لبدت أجمل مما هي عليه وفعلا عملت الفنانة بالنصيحة وكسبت لوحاتها الشيء الكثير .

بيكار.. أبانا المنوف في الزمان

لم يكن بيكار يهتم بالفلوس فلم يبالغ في أسعار لوحاته فأغلى لوحة باعها وكان مقاسها ٦٠x٨٠ سم كانت بثمانيه آلاف جنيه وأقل لوحة كانت بـ ٢٠٠ جنيه وكانت عبارة عن بوستر ضم أهم أعماله وعليها توقيعيه وقد كان يبيع لوحاته الصحفية بـ ٣٠٠ جنيه فقط وما يؤكد أن الفلوس لم تكن تعني شيئا لديه أنه عندما حصل على جائزة مبارك للتفوق وكان قيمتها مائة ألف جنيه قال لأصدقائه أنا لم أعود على مسك الفلوس الكثيره لا أعرف كيف أعدها وكان طبيعيا بعد ذلك أن يتبرع بقيمة الجائزة للأطفال مرضى السرطان .

اهتم بيكار بشئ آخر فبعد إعلان للجائزة سيطرت عليه فكرة كانت تورقه فقد كرمته الدولة هذا صحيح لكن ماذا يقول عنه الناس كان يقول: المبدع يخاف موت لو لم يعجب الناس فلو أم كلثوم نزلت مرة ووجدت الصالة خالية لانتحرت لان عدد المقاعد المشغولة هي النجاح فما يخيفني فعلا هو حب الناس وتقبلهم عملي ، فأنا عندي تقدير ورقة رسمية ولا أحد يكتنبا فيه لكن لو قلت الناس ينجبوا وراضيين بما قدمته .. فكيف نثبت هذا ؟

الخوف من رأى الناس وضع بيكار في حالة قلق مستمر فقد كان ينكر على الفنانين تفكيرهم في الاعتزال فذات يوم أعلن المثال مصطفى نجيب أنه سيحطم جميع تماثيله التي في حوزته وأنه لن يعود إلى صناعة الأصنام على حد تعبيره بعد ذلك وذات يوم آخر وقف المثال جمال السجيني على شاطئ النيل أمام داره بالزمالك وأعلن أنه سيلقى بجميع تماثيله في أعماق النهر بعد أن ضاق نرعا بأشباحها الحجرية التي تزلحمه الهواء الذي يستشقه وتحملق فيه بغباء وكانما تطالبه بأن يطلق سراحها كي ترى النور وذات يوم ثالث أعلن الفنان السكندري عصمت داوستشى أنه سوف يختفى عن الأنظار إلى الأبد.. لم يقتنع بيكار بكل ذلك .. اعتبر ما قالوه مجرد يأس وأصوات انتحارية تعلو في الفضاء ثم تتبدد كما تتبدد أصوات انفجارات القنابل عقب خروجها من فوهات المدافع فالفنان لا يستطيع ان يعتزل فنه لأنه بذلك يعتزل للحياة .

بيكار.. أبانا الصوفي الزمالي

ولأن الفن كان خلقا كاملا عند بيكار فقد كان يرى أن محمود مختار نبيا في النحت الحديث وأن أزميله له يبعث للحياة في الحجر والصخر هذا الإحساس للفنى جعل علاقته بالله أشبه بعلاقات الصوفيين بوجه ربهم كان يردد أن الله يغفر للذنوب جميعا والحسنات يذهب للسينات وأن العدل هو قانون السماء ولكن هل تسرى عدالة السماء فوق هذا الكوكب المظلم للظالم ؟

هذا الإحساس الصوفي جعل عملية الإبداع عند بيكار أشبه بالصلاة فاللوحة بالنسبة له كانت لقاء قمة ، يدخل إليها برهبة وكأنه داخل إلى معبد لهذا كان عمله كله طقوسا ، كان يشعر بالمسئولية والقداسة وللصفاء الروحاني كان يشعر وكأنه متوضى للصلاة لا يخامرهُ أى شعور بالعبث .

هذه الظلال الإيمانية جعلت بيكار ينسج علاقة خاصة بالله .. وقد استاء للغاية عندما نشرت الصحف - وكان في مقدمتها الأهرام والأخبار - أن بيكار "بهائى" وأن بطاقته الشخصية تحمل في خانة الديانة "البهائية" وليس الإسلام أخذ بيكار قرارا بالا يرسم لجريدة الأخبار وألا يكتب لها لشعاره فقد اعتبر ما فعلته الصحافة تدخلا سخيلا في حياته وعقيدته فهو حر طالما لم يروج لأرائه وأفكاره . لم يكن بيكار متعصبا .. ولكنه كان يعيش كمسلم في خانة الدين المعاملة وهي الخاتة التى تعنى بالسلوك وفيها كان بيكار صادقا مع نفسه فقد كان متسامحا لأقصى مدى .

لم يكن يحب أن يستغل الناس ، فى أول معرض أقامه فى قاعة بيكاسو كانت هناك لوحة بألفيا جنيه أراد الحاج إبراهيم أن يبيعهما بألفين وخمسمائة لكن بيكار اعترض وقال له ، الخمسمائة التى ستزيد خذها منى أنا فرغبتى الأولى أن يتمتع للناس بفنى .

لم يكن بيكار يتحدث عن كونه بهائيا وعندما كان يجرجه أحد إلى الكلام عن هجوم الصحف عليه كان يؤكد أن البهائية التى يعتقها لا ضرر منها مطلقا وأنها فى النهاية مثل الصوفية فهو كان صوفيا ولكن على طريقته كان يتحدث فى الدين بوعى شديد وفهم عميق .. وكان يكره التطرف .. لأنه كان يراه ضد الحياة ذاتها .

بيكار.. أبانا المنوف في الزمان

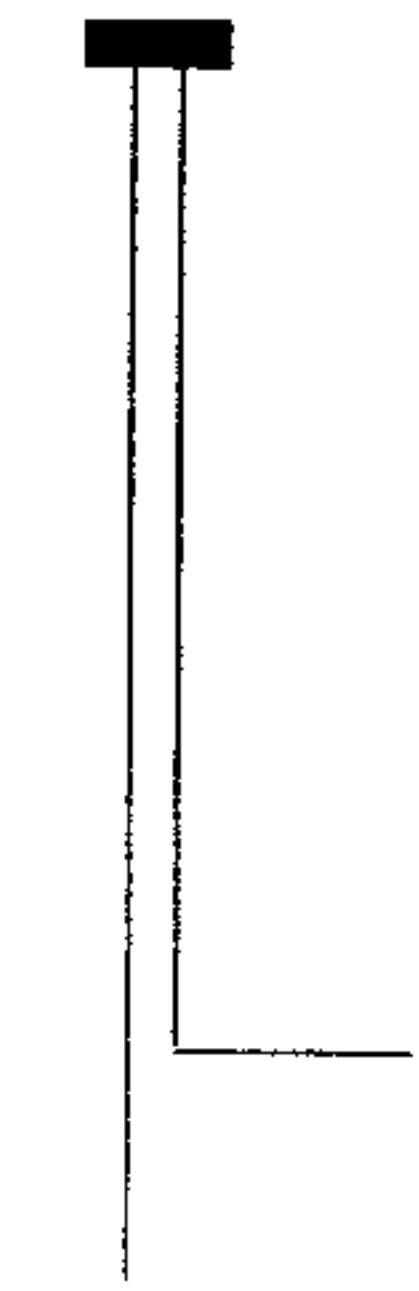
صفاء بيكار الروحي جعله لا يشكو مطلقا لم يكن يتحدث عن أوجاعه حتى لو تكاثرت عليه ، كان مثل البلم لاصدقائه الذين ظلوا حتى آخر يوم في حياته يحرصون على سماع صوته ، كان بينه وبين د . ثروت عكاشة تليفون أسبوعي يوم الجمعة يطمئن كل واحد منهما على الآخر ، لصوات اصدقائه نعم الباز وحسن سليمان وصلاح طاهر وأبو صالح الالفى وتوفيق صالح وعللى رزق الله وتحية حلیم للتى كان يحب أن يناديها بتوحة .. لم تنقطع عنه أصواتهم حتى أسلم روحه لخالقها فانقطع عنهم دفنه وإحساسه وحبه للحياة .

الفقد فى بيوت اصدقاء بيكار موجه لكن الفقد فى بيته هو ولدى زوجته قاسمة يكاد يكون مميتا كان بيكار يحفظ تاريخ زواجه ولا يحفظ تاريخ ميلاده ، تزوج فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٥ وظل طوال عمره يردد أن زواجه كان عقلا نيا عمل حسبة ودراسة جنوى قل أنا مش عايز واحدة فى غاية الجمال ولا مليونيرة ولا معاهما دكتوراه ولا من العائلة المالكة لكن عايز واحدة على مقاسى تمنحنى الراحة والأعمال بالنيات وبالطبع لم يكن ذلك بشكل حسابى وإنما عن اقتناع داخلى لأنه من غير ذلك لا أجد النصف الاسطورى الآخر المكمل لى .

وكما كان يتحدث عن زواجه بحب كان يتحدث عن زوجته بامتنان شديد فهى وكما قال بعد أن حصل على جائزة التفوق بن زوجته لها نصف النجاح والتقدير والجائزة فان لم تكن الزوجة نراع الفنان اليمنى واليسرى معا فشل فى حياته وأنا كل عملى فى البيت رسم أو كتابة تحت عينيها ورعايتها وتتوالد الأعمال من بين مشاعرنا معا لذلك فهى تملك النصف لأنها تحملتنى وفهمتتى وساندتنى .

أعلم أن للفقد الشديد لكنه حدث بعد سنوات من المرض لم يغلق فيها بيكار باب بيته ولا نوافذ قلبه ولذلك لم يحزن آلاف عشاقه على وداع الفنان والشاعر والموسيقى والناقد فيه فقط ولكنهم بكوا فيه الإنسان الذى لم يعط أحدا فرصة ليكرهه لو يحقد عليه .. لأنه فى حياته لم يكره أحدا .. ولم يحقد على أحد فقط أحب الحياة كما هى .. بحلوها ومرها .. لم يطمع فيها .. حتى عندما اقتربت أيامه لم يفرع صفت روحه وسمت .. وردد هامسا الحمد لله .. كده كفاية قوى .

فارس آخر الزمان



7



فارس آخر الزمان

لا أحد يعرف على وجه التحديد هل مازال أيمن الظواهري حياً أم حصده الطائرات الأمريكية التي ذهبت لتحارب ما أسمته الإرهاب في أفغانستان فقضت على الأخضر واليابس ، هل مازال هاربا مع رفيقه أسامة بن لادن ، أم تخلى عنه دون أن يعرف إلى أين المصير ، حتى أميمة عزام نفت بمرارة أن يكون ابنها قد اتصل بها مؤخراً ، فهي لم تسمع صوته ولا تعرف شيئاً لا عن أخباره ولا عن مصير أسرته !

الخبر الوحيد المؤكد عن أيمن الظواهري هو كتابه الأخير الذي أعطاه عنواناً دالاً وهو "فرسان تحت راية النبي" ، فهو ورغم كل ما في عقله من قتل وتدمير وترويع للأمنيين وانتقام من المسالمين ، كما أعترف بنفسه في كتابه ، يعتبر نفسه فارساً من فرسان النبي للذين جاءوا ليكملوا رسالته ، جريدة الشرق الأوسط السعودية التي نشرت الكتابة على حلقات أراحت نفسها من دلالة العنوان ، واختارت أن تنشره تحت عنوان "الوصية الأخيرة" رغم أن ما جاء في سطور الكتاب لم يكن وصية بقدر ما كان تشفياً في أعداء الظاهري وفضحاً لجماعة الأخوان المسلمين وشماتة في القتل المصريين بداية من جمال عبد الناصر ، ومروراً بضحايا حادث الأقصر الشهير ونهاية بقتلى السفارة المصرية في باكستان.

قصة حصول " الشرق الأوسط " على الكتاب مريبة ، فقد أكد للظواهري في مقدمة كتابه أنه يتوقع ألا ينشره ناشر ولا يوزعه موزع ، وكل ما حدث أنه تم تهريبه مع أصولي مصري من أعوان الظواهري المقربين رمزت له الجريدة بـ "ع . ص" خرج به من أحد كهوف أفغانستان بمنطقة قندهار إلى مدينة بيشاور الحدودية ، ثم إلى لندن حيث تلقفته الجريدة ، وقامت بنشره.

جماعة الجهاد التي يتولى أيمن الظواهري قيادتها وضعت الكتاب على عدة مواقع على شبكة الإنترنت منها المرابطون والبيان ، وظل الكتاب موجوداً بالفعل لعدة أيام ، وفجأة رفع للكتاب ، ولا أحد يعرف حتى الآن من الذين رفعوه ، هل فعلها أعوان الظواهري ، أم أن أمريكا أرادت ألا يقرأ ما كتبه الظواهري عنها فرفعت الكتاب خاصة وهو يقول صراحة "أردت بهذا للكتاب أن أوضح بعضاً من معالم الملحمة للدائرة بين الأمريكان والمجاهدين في أفغانستان ، وأن ينبه قراء الكتاب إلى الأعداء المتولرين والظاهرين ذئابهم وثعالبيهم حتى لا يفتنه بهم قطاع الطرق" !

كتاب الظواهري يقع في ثلاثة أجزاء ويحمل عنواناً فرعياً هو " تأملات في الحركة الجهادية ، ويتكون من ٢١ فصلاً تحدث في بعضها عن زملائه القدامى ، خصوصاً يحيى هاشم وكيل النيابة الذي ألقع الظواهري في النصف الثاني من عقد الستينيات بالانضمام إلى خليته الجهادية التي كانوا يطلقون عليها "الخلية للنائمة" ، وخصص فصلاً كاملاً لرفيقه السابق عصام القمري ضابط المدرعات الذي قتل عقب اغتيال السادات بعدما تمكن من الفرار من سجن طره ، وكل من تابع نشأة وتطور الحركات الإسلامية يعرف الصلة الوثيقة التي كانت تربط الاثنين الظواهري والقمري .

اهتم الظواهري كذلك بذكر تفاصيل العملية التي قادها عناصر الجهاد في تفجير السفارة المصرية في إسلام آباد ، وتعتبر هذه الرواية هي الاعتراف الأول والمباشر عن تفاصيل انتقام جماعة الجهاد من الحكومة المصرية بتفجير السفارة المصرية في باكستان التي كانت الأجمل والأروع تصميماً بين سفارات مصر في الخارج.

يعترف الظواهري ، فيعد حملة مطاردة المجاهدين العرب في باكستان بدأت للحكومة المصرية تستأسد في باكستان ، مستندة إلى الدعم الذي تقدمه لها الولايات المتحدة بنفوذها القوي لدى الحكومة الباكستانية ، وذلك لأن علاقة الحكومة المصرية كانت - منذ الخمسينيات - سيئة مع الحكومة الباكستانية بسبب موقف الحكومة المصرية المساند للهند في قضية كشمير ، واعتبار الحكومة المصرية منذ عهد عبد الناصر كشمير مشكلة داخلية هندية.

فأمر آخر الزمار

بدأت الحكومة المصرية في تعقب من تبقى من العرب والمصريين خاصة في باكستان ، ووصل الأمر إلى ترحيل الطلاب المقيمين قانونياً من الجامعة الإسلامية في إسلام آباد ، تم القبض على مصريين يحملان الجنسية الباكستانية لزواجهما من باكستانيين ، ووصل استسلام الحكومة للباكستانية لدرجة أنها سلمت الشخصين الحاصلين على الجنسية الباكستانية إلى الحكومة المصرية أثناء نظر القضاء في تظلمهما نون اعتبار للدستور أو للقانون الباكستاني.

كان لابد من رد لتوسيع الحكومة المصرية لحماتها المعادية للأصوليين في مصر ونقلها للمعركة إلى خارجها ، ولذا قرر الظواهري أن يكون الرد منصبا على هدف يؤلم التحالف الخبيث بين أمريكا ومصر ، وبعد الدراسة تقرر تشكيل مجموعة للرد على النحو التالي: أولاً ضرب السفارة الأمريكية في إسلام آباد ، فإن لم يتيسر فليضرب أحد الأهداف الأمريكية في باكستان ، فإن لم يتيسر فلتضرب سفارة دولة غربية مشهورة بعداها التاريخي للإسلام ، فإن لم يتيسر فلتضرب السفارة المصرية.

ويبدو أن الخيارات الثلاثة الأولى لم تكن متاحة ، فبعد الاستطلاع المكثف والمفصل تبين أن ضرب السفارة الأمريكية فوق إمكانات المجموعة المكلفة ، وتم استطلاع أحد الأهداف الأمريكية في إسلام آباد فتبين أن به عدداً قليلاً جداً من الموظفين الأمريكيين ، وأن الإصابات ستلحق معظمها بالباكستانيين ، كذلك تبين أن ضرب السفارة الغربية الأخرى فوق إمكانات المجموعة المكلفة ، فاستقر الأمر على ضرب السفارة المصرية في إسلام آباد ، التي لم تكن فقط تدبير حملة المطاردة للعرب في باكستان ، بل كانت أيضاً تقوم بدور تجسسي خطير على المجاهدين العرب ، بالإضافة إلى ما اكتشفته أجهزة الأمن الباكستانية في مبنى السفارة المدمرة من وثائق تكشف عن التعاون الهندي - المصري في مجال التجسس .

ويؤكد الظواهري أنه قبيل التفجيرات أرسلت المجموعة المنفذة له تخبره عن إمكانها القيام بضرب السفارة الأمريكية والمصرية معاً إذا دبر لها مبلغ إضافياً ، لكنه كان قد قدم كل ما معه ، ولم يكن يستطع تدبير المزيد ، وهكذا ركزت

فارس آخر الزمان

المجموعة على نفس السفارة المصرية وتركت رسالة بلغة المعنى واضحة البيان .

ما كتبه الظواهري في كتبه واستشهاده بكثير من المؤلفات التاريخية والوثائق البريطانية ، بالإضافة إلى كتاب محمد حسنين هيكل "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل" ، وكذلك ما نشره الصحافة المصرية والعربية عبر إطلاعه على الإنترنت ، كل ذلك يؤكد أن زعيم الجهاد المصري وهو قابع في كهوف أفغانستان لم يكن بعيداً عن مجريات الحياة اليومية في الشرق الأوسط، فقد عرف أيمن محمد ربيع الظواهري نجل عميد كلية الصيدلة السابق وخريج كلية الطب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ هدفه منذ البداية ، كل خطواته تؤكد ذلك . فقد انضم الظواهري إلى إحدى جماعات الجهاد عام ١٩٦٦ بمنطقة المعادي التي ضمت رائد سلاح المدرعات عصام القمري ، الذي هرب من الخدمة العسكرية في أبريل عام ١٩٨١ ، عقب اعتقال سلطات الأمن المصرية لعدد من الضباط العسكريين ، ظل الظواهري يواصل طريقه حتى أصبح الطبيب الشخصي لأسامة بن لادن، وكان الاثنان قد التقيا في مطلع الثمانينيات حين انطلق الجهاد الأفغاني ضد الغزو السوفيتي ، وكان عبد الله عزام البروفيسور الفلسطيني هو وسيلة تقاربهما ، وقد كان الظواهري قد غادر مصر أواسط الثمانينيات بعد أن أمضى عقوبة السجن ثلاثة أعوام بسب تورطه في مقتل السادات ، وتنقل الظواهري بين السعودية والسودان والولايات المتحدة قبل أن يستقر في أفغانستان مع بن لادن .

كتاب أيمن الظواهري " فرسان تحت راية النبي" ليس كتابه الوحيد ، فقد ألف عدة قبل ذلك أشهرها " الحصاد المر " الذي يتعرض فيه لعلاقة الإخوان المسلمين بالسلطة خلال عهد الملك فاروق وعبد الناصر والسادات ، وفيه نقد مرير لرموز حركة الإخوان المسلمين و "الكتاب الأسود" و"كتاب ثالث بعنوان" شفاء صدور المؤمنين ، ويتعرض فيه للحكم الشرعي في العمليات الاستشهادية ، ولم يفت الظواهري في كتابه أن يعلق على موقف الحركات الأصولية الأخرى غير الجهاد مثل الجماعة الإسلامية التي أحدثت تحولاً استراتيجياً حين أصدرت في مارس ١٩٩٩ قراراً تاريخياً بوقف شامل للعمليات العسكرية داخل مصر

فأمر أذر الزمان

وخارجها، استجابة لمبادرة سلمية كان للقادة الثائريخون للتنظيم أطلقوها في يوليو ١٩٩٧.

الأمر الذي ليس مفاجأة على الإطلاق ، أن أيمن الظواهري كان متسفياً لأقصى درجة وهو يكتب عن أعدائه ، وقد يكون هذا طبيعياً ، فقد انتهى من كتابه، وهو محاصراً مطلوباً حياً أو ميتاً ، يصف ما حدث في اغتيال الرئيس للسادات باستمتاع يقول: دارت أحداث تمرد أكتوبر ١٩٨١ في مصر على محورين ، الأول: الهجوم على السادات وأركان حكمه خلال العرض العسكري يوم ٦ أكتوبر ، في محاولة لقتل عدد من رؤوس الحكم ، وما صاحب هذا الهجوم من محاولة للاستيلاء على الإذاعة ، والثاني: للقيام بانتفاضة مسلحة في مدينة أسيوط للاستيلاء عليها.

جاءت انتفاضة جماعة الجهاد بعد اغتيال الرئيس للسادات بيومين ، أي بعد أن نجح الجيش في السيطرة على البلاد وتأمين النظام ، وقد نجحت هذه الانتفاضة - كما يسميها الظواهري - في الاستيلاء على بعض مراكز الشرطة ، ولكن الحكومة استدعت القوات الخاصة التي بدأت في ذلك مواقع مقاومة الجهاد ، فاضطر الشباب إلى ترك هذه المراكز لما نفذت ذخائرهم.

لقد كان محكوماً على تمرد أسيوط المسلح بالفشل ، فقد كان الظواهري يرى أن الانتفاضة كانت عاطفية ذات نصيب متواضع من التخطيط ، فقد جاءت متأخرة عن قتل السادات بيومين ، كما كانت تستند إلى خطة غير واقعية تهدف إلى السيطرة على مدينة أسيوط ثم التقدم شمالاً نحو القاهرة لفتحها ، متناسية أية أرقام عن وقوع العدو وعتاده ، لكن قائد تنظيم الجهاد يرى أن الأمر يجب ألا ينظر إليه بنظرة محدودة تتعلق بمسارح هذه الأحداث الضيقة ، بل يجب أن ينظر إلى تلك الانتفاضة بنظرة أوسع تتعدى مكانها وتمتد إلى آثارها التي تبعثها والحقائق التي أثبتتها ومنها شجاعة الأصوليين الذين هاجموا قوات تتفوق عليهم مضاعفة في العدد والعتاد والخبرة العسكرية ، أظهرت الأحداث كذلك الطبيعة الهجومية للحركة الأصولية التي قررت أن تهاجم النظام في محاولة للقضاء على رؤوسه في وسط جموعه وحشوده، الانتفاضة أكدت للجهاد أيضاً أن تغيير النظام

فارس آخر الزمان

البعيد عن الإسلام أصبح الفكرة المحورية التي تشغل بال الإسلاميين متخطين بذلك مناهج الإصلاح الجزئي وأساليب الترقيع ووسائل تلوين وجه النظام القبيح ببعض الإجراءات الإصلاحية ، وصل الإسلاميون كذلك إلى فكرة للعمل من خلال القوانين الحكومية والخضوع للمستور العلماني المفروض بالاستفتاءات والاعتراف بشرعية الحكومة أصبحت أفكاراً بالية ، ولذلك قرروا حمل السلاح ليدافعوا عن العقيدة المغيبة وللشريعة الممنوعة وحرمتهم للمستباحة ووطنهم المحتل بالاستعمار الدولي الجديد ، ومقتساتهم التي باعها لتفقيت الاستسلام مع إسرائيل!

لكن أهم ما ظهر للظواهرى بعد اغتيال السادات وانتفاضة لسيوط أن أجهزة الأمن المصرية لم تكن على علم بأن البلد يموج بالتيار الجهادى الذى استطاع اختراق القوات المسلحة ، وأخرج منها كميات من الأسلحة واستطاع الوصول إلى أرض العرض العسكرى رغم إجراءات الأمن الطويلة لتأمين ذلك العرض.

التشفي الذى أظهره أيمن الظواهرى فى الجميع كان له جذوره ، تحديداً منذ العام ١٩٦٦ عندما انضم أيمن إلى جماعة الجهاد التى بدأت عملها فى مصر - كما يقول الظواهرى - بعد منتصف الستينيات ، عندما قام عبد الناصر بحملته فى عام ١٩٦٥ ضد الإخوان المسلمين ، ولودع السجن سبعة عشر ألفاً ، وتم إعدام سيد قطب أبرز مفكرى الإخوان واثنين من رفاقه ، ظن عبد الناصر أنه قضى بذلك على عناصر الجهاد بغير رجعة ، ولكن يبدو أن حملته تلك كانت بداية الشرارة التى بعدها انطلقت نيران الجهاد.

فبعد أن أعدم عبد الناصر سيد قطب اكتسبت كلمات الأخير بعداً لم يكتسبه كثيراً من كلام غيره ، فقد أصبحت كلماته فى نظر الشباب المسلم معالم الطريق ، وأتضح لهم مدى فزع للحكم الناصرى وحلفائه الشيوعيين من دعوة سيد قطب ، فقد أصبح قطب عند الظواهرى نموذجاً للصدق فى القول وقنوة للثبات على الحق ، فقد نطق بالحق فى وجه الطاغية ودفع حياته ثمناً لذلك ، وزاد من قيمة كلماته موقفه العظيم عندما رفض التقدم بطلب للعفو من جمال عبد الناصر ، وقال كلمته المشهورة "إن إصبع السبابة التى تشهد لله بالتوحيد فى كل صلاة تأبى أن تكتب استرحاماً لظالم".

ଆମର ଶିକ୍ଷା

ମାନବ ସମ୍ବଳ

8

اعترافات صافي ناز كاظم

لم تختلف صورة "صافي ناز كاظم" التي رسمتها في أوراقى الخاصة ، عن صورتها التي رأيتها عليها وأنا جالس إليها فى بيتها لمدة ثلاث ساعات ، أجرى معها حواراً طويلاً عن سنوات عمرها الخمسة والستين ، كاتبة صاخبة عنيدة.. تطلق آراءها - الكلمة الأدق - سهامها فى كل اتجاه.. تقول رأيها وأجرها على الله.. تدافع عن أفكارها بحماس شديد ، وكأنها مازالت شابة تدخل معترك الحياة وتقرر أن تنتصر ، عندما تكرك تقول لك فى وجهك أنا أكرهك.. وعندما تغضب منك.. تتذرك.. ثم تصفر لك وابن لم تتراجع تضربك بظهر يدها على وجهك.. لكنها فى كل الحالات ضاحكة.. بشوشة وبنيت نكتة.. قد تكون النكتة عليك.. لكنك لا تستطيع أن تمنع نفسك من الضحك ! .

أكثر ما لفت انتباهى بعد أن أنهيت حديثى مع صافي ناز أنها لم تتغير.. وحتى أؤكد ذلك فلا بد لى من شهادة واحد من أهم أساتذتها ، إنه أحمد بهاء الدين.. تعرف عليها عام ١٩٥٩ ، كانت وقتها كما يقول بهاء: الفتاة المتخرجة من قسم الصحافة ذات الضجيج العالى فى ردهات "أخبار اليوم" بطوايقها الأحد عشر ، وكانت عائدة من أول رحلة لها ، قامت على طريقة "Auto stop" متاعها القليل - كالكشفة - على ظهرها - تطوف أوروبا بينظلون خشن وقروش قليلة ، تعمل لتأكل وتكتب إلى مجلة الجيل الجديد "حلقات رحلتها المثيرة" ، وفى عام ١٩٧٠ قدم بهاء لكتاب صافي "رومانتيكات" قال: صافي ناز هي للمسافرة أبداً على الطبيعة أو على الورق ، ولقوى ما يشعر به من يعرف صافي ناز هو أن رحلتها لم تتم ، إنها لم تصل بعد إلى ذلك المرقأ الذى يهدأ داخله للموج ، ولا تصبح

العواصف فيه غير أصوات تأتي من بعيد ، فيمكن إلقاء المرساة والاطمئنان إلى السكون ، صافي دائماً على سفر في الناس وفي الفن وفي الزمان والمكان.. أبت رحلتها لا تتم أبداً.. لبيتها لا تفقد شبابها.

تمنى أحمد بهاء الدين.. وقد تحقق له ما تمنى.. فمازالت صافي ناز كاظم على سفر.. ومازالت رحلتها لم تتم.. ومازالت تحتفظ بشبابها.. وليس أدل على ذلك من كتاباتها المشاغبة ومعاركها الصحفية التي تدخلها مدافعة عن أفكارها.. لا يهمها أن تتجح أو تفشل.. تهتم فقط بأن تقول ما تعتقد أنه صواب.. لمور كثيرة اختلف فيها مع "صافي ناز".. وأمور أكثر تختلف فيها معي ، لكن هذا لم يمنع أن أذهب إليها في مساكن أعضاء هيئة تدريس جامعة عين شمس.. ليمتد حوار نقله كما جرى..

قبل أن أبدأ الكلام بدائه هي قالت لي: أنا مش محتجة على أنك زعلان إن فرج فوده قتل ، لأنى لرى أنه ليس كل واحد كافر نقتله ، لأن الله كان يقدر ينسف الشيطان تماماً ، وهذا ما أقوله للمتحمسين ضد ما تكتبه أحياناً.. فالقرآن قال للنبي محمد: "ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر". وهناك فرصة باستمرار للإنسان الضال المعادى للإسلام.. إنه في يوم من الأيام يؤمن ، وأنا كنت أرى أن فرج فوده - وخصوصاً إنه كان برج الأسد - كان يمكن أن يرجع عن غيه ، لأنه كان في غي شديد للأسف ، وإنه يتوب ، يعنى اللي خلى الأخت سحر حمدى تتوب عن طريق الضلال تماماً ، وتبقى معتزة إن الطريحة اللي كانت على وسطها تبقى على رأسها ، لماذا لا يجعل أى أحد يرجع إلى الإسلام .

كان لابد أن أتدخل لأقول لها إن فرج فوده لم يكن كافراً قالت: أنا معك إن فرج فوده كان يجب ألا يقتل.. لأن مفيش حكم صدر.. لا من جماعة مسلمين.. ولا من جماعة رأى عام ولا من سلطة شرعية بحكم قتل فوده ، لكنى ضد اعتزالك بأنه كان أول من نادى بتجفيف الينابيع.. لأنه في إطار هذه الكلمة حدث ظلم كبير جداً.. فقد تم اعتقال آلاف من الشباب لم يفعلوا شيئاً وتم إلقائهم في السجون مدة طويلة بلا ذنب..

اعترافات صافي ناز كاظم

حملت صافي ناز فرج فوده مسؤولية ما حدث للشباب.. فسألتها؟ وهل معنى ان يطلق مفكر دعوة فتستخدمها السلطة استخداماً مغلوطاً ان يقتل هذا المفكر؟ قالت: إلى حد ما يتحمل المفكر جزءاً من المسؤولية.. فعلى المفكر قبل ان يطلق فكرة ان يتأمل المكان الذي يطلقها فيه فالذين فكروا في القنبلة النووية ندموا لأنهم اوصلوا البشرية إلى هذا الدمار ، فهم اطلقوا الفكرة بحسن نية.. لكنهم كان يجب ان يعرفوا ان الشر أقوى من الخير ، فرج فوده عندما كان يقول تجفيف الينابيع كان يعلم أنه يتحدث في دولة يد بوليسها طارشة ، فليام عبد الناصر كل شيء كان كويس لمصلحة الثورة ، أينم أنور السادات تحفظ على عدد كبير من المتقنين عشان ما يدوشوش دماغه.

كان لايد أن أصل إلى نقطة اتفاق معها فقلت لها مرة ثانية عندما يطرح كاتب فكرة ويثبت بعد ذلك أنها كانت مدمرة.. يهدر دمه.. فقالت للمرة الثانية.. لم يكن من المفروض أن يقتل فرج فوده لأن من قتله ضيع منه فرصة أن يتوب ، هو كان مخطئ وكتاباتة كانت غلط في غلط ، ورغم أنه كان مشاغباً وكانت له علاقات واضحة جداً مع إسرائيل وكان له دخل مبالغ فيه ولما مات اكتشفنا أنه كان يحصل على هذا الدخل بذراعه.. لكن ذلك كله لم يكن مبرراً لقتله ، بل كان من المفروض أن يترك حتى يتوب.

هذه المناقشة كانت المدخل الطبيعي لعالم صافي ناز كاظم.. قلت لها.. أسمع كثيراً عن تحولك الفكري.. كنت شيوعية متعصبة فتحولت إلى كاتبة إسلامية.. ردت بسرعة وقبل أن أكمل كلامي قالت: هذا الموضوع بيجنني.. قلت لها: ولكن عبد الرحمن بدوي عندما رأى صورتك بالحجاب.. سأل متى ارتدت صافي ناز كاظم الحجاب وهي طول عمرها شيوعية متعصبة.. قالت دون حتى أن تبلع ريقها.. عبد الرحمن بدوي قال كده.. هو يعرفني؟ وبعدين هو مش عاجبه حجابي قلت لها: مش حكاية إعجاب.. بدوي قال لم أفهم قالت: ما هو لم يفهم في الأول عشان يفهم في الآخر ، وبعدين عبد الرحمن بدوي واخذ حجم أكبر من حقيقته ، أنا

عندى ٦٥ سنة النهاردة وتكويني الثقافى كله من سنة ١٩٤٢ وحتى اليوم ، عبد الرحمن بدوى لم يساهم فيه بقشر لبة ، فهو فيلسوف كبير ما فيلسوش كبير.. "طز" عثمان يعنى ترجم نيئشه وشوبنهاورر.. وليه العبقرية فى أنه ترجم لكبار الفلاسفة "اللى هم لا يساوون عندى خردلة" شوبنهاورر ونيئشه "طز" فيهم دول ناس ما يعرفوش ربنا ، دى أم رافت الأمية أفضل من نيئشه اللى قال ابن الله قد مات" وأصل يعنى إيه للفلسفة دى ، إذا كان عبد الرحمن بدوى لم يعرف سر الإله وسر الكون وسر الروح.. رجل لم يقدر أن يلتقط هذه اللحظة يبقى "طز" فيه عبد الرحمن بدوى لم يساهم فى تشكيل جيلى الثقافى على الإطلاق ، ساهم فى تشكيل صامح كريم وأنيس منصور يبقى كتر خيره قوى .

ابتعدنا عن الموضوع الأساسى يا ست صافى ، أدركت ذلك فقالت.. أنا لم يحدث لى تحول.. حدث لى تصحيح.. أنا مواليد ١٩٣٧.. ولفحت جيلى لطشة تغريب قوية.. قالت لنا ابن غطاء الشعر ليس واجبا.. وطلعنا على هذه القيم.. لكننا كنا نصلي ونصوم.. وكنا نتصور أننا مسلمون ولا أحد أفضل منا فى الدنيا.. أنا فى حياتى لم أرتكب شيئا من المحرمات الواضحة.. وعشت فى أمريكا ست سنوات لم أشرب الخمر ولم أرتكب الموبقات الكبرى.. لم أكل خنزيرا.. أحافظ على صلاتى وعمرى ٧ سنين ، لكن سنة ٧٢ عندما سافرت لأحج مع امى.. كنت رايحة وليس فى ذهنى نهائى أتى يجب أن ارتدى الزي الإسلامى ، وكان لأول مرة فى عهد السادات يفتح الباب أمام كتب سيد قطب..

لأن مكتبة قطب أهدمت بالكامل من قبل عبد الناصر.. لم أكن أعرفه.. لكنى عندما قرأته تغيرت أمور كثيرة.. وأنا فى الحج وعائدة من عرفات إلى مكة جلست إلى جوار شيخ جزائرى قلت له.. ألا ينفع يا مولانا بعدما أرجع مصر ألبس لبسى العادى ، فقال لى لللبس اللى أنت لابساه هو العادى - هذه الكلمة فوقتتى - فانا أصلى بالحجاب وأحج بالحجاب.. فرجعت أحاول أن ابتكر لبسا..

اعترافات صافي ناز كاظم

لأنه لم يكن هناك وقتها تقاليد اللبس .. فابتكرت أنا في اللبس .. لأنني كان عندي ٣٣ سنة وكان عندي غرور أن ألبس حجاباً لكن يكون شكلي كويس في نفس الوقت .

الكلام عن حجاب صافي الخاص جرننا إلى الحديث عن الحجاب فهي تعتبر أن الحجاب كلمة خطأ .. تقول .. حتى قاسم أمين كان يقصد بالمفهور كشف الوجه فقط ، فقضية لبس المايوه لم تكن واردة ، وقضية كشف الشعر لم تكن مطروحة ، وبعدين النصوص القديمة التي تقول إن الحجاب لم يفرض إلا على نساء النبي صحيحة .. لكن لما يبجي جمال الغيطاني يلوع ويقول أنا قرأت في الكتاب للفلاني، إن الشيخ فلان للفلاني قال إن الحجاب لنساء النبي فقط .. أه .. لكن ده لعب خبيث بالمصطلح .. فالمرأة المسلمة عليها أن تكشف وجهها وكفيها فقط .. لكن مفروض إنها تغطي وشها .. وأنا بأقول إن فيه زي شرعي .. رغم أن الست إقبال بركة بتزعل من الكلمة دي .. وكنت حضرت معاها ندوة وقالت مفيش حاجة اسمها زي إسلامي مفيش حاجة اسمها زي شرعي . لا فيه حاجة اسمها زي شرعي اللي بيحكم بيني وبينها .

رغم استنطار ادها تعود صافي لتؤكد: أنا لم أتحول .. أنا فقط صححت مساري .. أنا مع العدالة الاجتماعية منذ قرأت ما كتبه سيد قطب عنها .. وأنا عمري في حياتي ما كنت ماركسية والماركسيون يعملون ذلك .. ولما سجننت معهم .. كانوا يلفظونني لفظهم للشيطان الرجيم بتاعهم ، والكلام عن أنبي شيعية كان مؤامرة بين الأمن والشيعيين ، الأمن قال على شيعية لأنه لم يكن يستطيع أن يقبض إلا على الشيوعيين والماركسيين - ويوسف السباعي قال على شيعية وهو يعلم أنني لست شيعية دا أنا سجننت مع الشيوعيين بعد أن عدت من الحج ، وكانوا يرونني أصلي دائماً .. وكنت أرتدى الغطاء الذي تطور إلى الأفضل .

تعترف صافي ناز أنها لا تكتب في الفقه فهي غير متخصصة .. لكنها تكتب بروح الإسلام ، فخلفتها دينية لأنها نشأت في بيت متدين .. أبوها أوراقه - كما

اعتراضات صافي ناز كاخلم

تقول - أوراق رجل مؤمن بيصلي ويصوم.. وأنها كانت سيدة ملتزمة جداً بالدين.. تلبس طرحه الأرملة تغطي بها شعرها ، وهو غطاء هوام بتاع زمان ، تؤكد صافي أنها نشأت على الإسلام.. وتم تدعيم ذلك في السبعينيات بشكل صحيح.. تقول صافي: أنا حسمت الموضوع مع نفسي ، قلت أنا دخلت مسلماً.. ولذا وفقت بين مظهري وجوهري ، وعشت أنا في أمريكا ست سنوات مسلماً.. وعمرى ما لبست المايوه.. ويمكن لبسته مرة لو اثنين وأنا في مخيم أطفال في عمل صيفى في أمريكا.. لبست المايوه علشان أعوم مع الأطفال.. لكن أنا عندي مشكلة فقد قابلت سعد نصر في المسرح منذ فترة وجدتها تقول لى: فين أيام المينى جيب والميكروجيب ، قلت لها أنا عمرى ما لبست الميكروجيب ، قالت لى: إنت جالك زهايمر ولا إيه قلت لها - لا أبداً مفيش زهايمر ، فأنا في رحلتى الـ Auto stop لبست للبنطلون فقط.. بل كنت أول صحفية ارتدى للبنطلون.

وقبل أن تتأمل كيف ارتدت صافي البنطلون مع نشأتها الإسلامية تقول لك: كل هذا كان غلط وعن جهالة.. وبعدين كل شيء في بلدنا كان محتل.. وكنت أقول دائماً إحنا انتشلنا من إسلامنا لكنى حررت نفسى وعدت إلى إسلامى واعتبر رأسى الآن أرضاً محررة.. فحجابى لا يغطى عقلى ، وفى كل كتاباتى لا يوجد شيء يقيدنى ، فالقرآن يقول لى "يا أيها الإنسان" مالك أنت بقى إذا كان وسطى محزق ولا واسع وهو كلام يهين المرأة ، ولية الست تكون فوق الستين وتحط لحرر وأخضر وتضع أشكالاً غريبة.. وتكون هى مضبوطة وأنا مش مضبوطة.. حاجة غريبة! لماذا يهاجموننى لأننى ارتدى هذا الزى".

صافي ناز لا تهاجم لأنها ترتدى للحجاب فقط.. ولكن لأن ابنتها نوارا ترتدى للحجاب أيضاً ، تقول: لم أفرض الحجاب على ابنتى - وعندما جاءت السن قلت لها إن ربنا فرض علينا هذا للزى فقبلت.. لكنها جاءت فترة المراهقة ١٨، ١٩ سنة أحببت فى مرحلة الجامعة أن تلبس الجينز وتضع ماكياج - لم أكلمها.. ولبست.. وعندى لها صور كثيرة بهذا الشكل لكنى كنت أراها زى القمر بدون ماكياج

اعترافات صافي ناز مكالمة

ورغم ذلك فهناك تهمة - زوجة طارق البشري قالت لي عاملة في بنتك كده ليه ، قلت لها طيب وانت بتعملي في بناتك حاجة - أنا ما عملتش في بنتي حاجة .. ربنا اللي بيعمل فيها ..

هذه الخلفية الإسلامية تقف وراءها كتابات سيد قطب ، تعتر به .. ونقول دائماً إن الذي يقرأ "في ظلال القرآن" يستحق أن يحصل على دكتوراه فما بالك بمن كتبه ، لكن ذلك كله لم يشفع لها عند البعض ممن يعتبرون كتاباتها في الإسلاميات سطحية .. قال لي ذلك حسين أحمد أمين مرة .. قال: معلومات صافي ناز في الدين سطحية جداً .. وجاء للدور عليها لترد تقول صافي: شوف يا محمد حسين أحمد أمين مفيش عنده معلومات .. وبعدين ممكن يكون واحد عنده علم لكن لا يقوده للهداية .. وممكن واحدة زي أم رافت على الفطرة تكون عارفة أكثر من حسين أحمد أمين ، ثم إن حسين لا يعرف أكثر مني .. وبعدين اللي بيبقى عارف وينسى ربنا .. ربنا بينساه .. أنا مرة كامل زهيري قال لي: أنت يعني مسلمة بتصلي الأربعة فروض .. قلت له: لا دول خمسة .. هو أكيد كان يعرف .. لكنه نسي ، ثم أتني لا أكتب في الإسلاميات ولا أحب كلمة كاتبة إسلامية .. لأننا كلنا مسلمين .. فالسائد لا يستثنى ! ثم أتني لا أحب أن يناديني أحد بيا حاجة لأن الإنسان لا ينادى بالعبادات فهو حرام ! ..

على هذه الخلفية تذكر صافي ناز قصة انسحابها أمام توجان فيصل في قناة الجزيرة .. وهو الانسحاب الذي لم يكن في صف صافي لكنه أضاء إليها تقول: عندما سألتني توجان سؤالاً وأرادت أن أفتي ، قلت لها لا أستطيع أن أفتي وحتى ولو أعرف .. لا يصح فلا بد أن تكون لي مرجعية .. قلت لصافي .. وهل ما حدث يستدعي أن تتسحبى وتبدين مهزومة ، قالت: نعم حدث - لأنها قلت أجبها - قالت خليفنا نكون مهذبين - شتمتني ولن لا أحب قلة الأدب أبداً .. وأى واحد قليل الأدب أنا لا أقعد معاه - ثم أتني غرر بي في قناة الجزيرة فأنا لم أكن أراها .. لأنه ليس لدي دش .. ولما كلموني قلت لهم أنا لا أحب المواجهات والجدال .. فكل واحد

حر.. واحدة عايزة تمشى عريانة ملط.. تمشى ، واحدة عايزة تتسخ أليات من القرآن نسخيها أنا مالي.. قلت لهم أنا لا أقعد مع نوال السعدوي أو فريدة للنقاش.. قلوا لي دي واحدة اسمها توجان فيصل.. وذهبت لأجدها متسجعة.. عاملتها بلطف.. كنت ولخدة مهندات لأنى باخاف من الطيران.. وأنا دائما محضرة أيدى اللى يفتح بقة أديه عليه على طول.. لكن رد فعلى كان بطيئا. كان مفروض إتني من الأول أمشى شفت حلجات مش تمام.. لكني انسحبت في النهاية.. لأنها تحدثت باستهتار عن العلماء وسيد قطب.. وقالت لا.. أننى أفتى.. فقلت لها حاضر يا ست المفتية.. فقالت لي لا بد أن نكون مهذبين فانسحبت لأن المذيع لم يدافع عنى.. ولأنى وجدت أن القاعدة لا تساوى شيئا.

تعود صافي ناز إلى حسين أمين فهي لا تنسى تقول: قد يتصور حسين أنه يعرف أكثر منى.. لكن هذه نقطة مشكوك فيها لأننا لم ندخل امتحان سوا ، وبعدين أنا لا أكتب فقه ولا نظريات أنا أدافع عن عقيدة ، فلا يجب أن نعترض على الفتاوى إلا بمرجعية ، لأن للمسألة وصلت إلى أن فريدة الشوباشي فى ندوة ، وهى التى كانت مسيحية وأسلمت والله أعلم بمدى معلوماتها فى المسيحية ومدى معلوماتها فى الإسلام.. كان معنا عالم أزهر رئيس قسم الفتاوى بيقول حاجة.. قالت له أنت غلطان.. إيه قوة الجهل والجرأة دي.. يعنى دكتور مستجير لو بيقول حاجة فى الهندسة الوراثية أقول له أنت غلط لمجرد أنى قرأت مجلة الدكتور.. إيه الكلام الفارغ ده !.

ولأن اتهام صافي ناز بالسطحية فى كتاباتها الإسلامية يحتاج إلى تفصيل.. فهى ترجع الحديث عنها بهذه الصورة إلى الصورة الذهنية الثابتة ، مثل ما حدث مع طه حسين فهو رغم كتابته للإسلاميات العظيمة.. لكن ينظر إليه على أنه مؤلف الشعر الجاهلى فقط.. تقول صافي: أنا قرأت لطة حسين وهو أحسن من أحمد أمين ألف مرة.. وأقوى منه ، والحقيقة أن أحمد أمين واخذ حجم أكبر مما يستحق.. وولاده بقى عندهم جنونة اسمها أحمد أمين .. يتخلى الناس اللى بتحبه

اعترافات صافي ناز كاظم

تقول لهم لا مش للدرجة ، فهو لا يوضع نظير فريد أبو حديد أو طه حسين أو حتى العقاد ، فهو أقل منهم بكثير ، لكن طول لسان حسين أمين على فريد أبو حديد (وهو خال صافي بالمناسبة) خلاني أقول له إن الشيخ أحمد أمين ليس بلى هذه الدرجة ، فهو الشيخ أحمد أمين وليس للدكتور كما يقولون فقد كان قاضياً شرعياً.. وقلت له إن الذي يهاجم عزيز قوم لدى.. سوف أهاجم أعز قوم عنده.

صافي مازالت تمسك برقبة حسين.. تقول : للحقيقة إن حسين أحمد أمين يجيب البلا لأبيه ، فقد كتب مقالة مرة يقول إن أبويا كان فرحان بكفري.. وكان يقول لي كل ما تبعد عن الدين يبقى أحسن.. فهو ظلم أباه.. وأنا لا أظلم أحمد أمين.. لكني أقول أننا نضعه مجاملة في مصاف الكبار.. لكنه ليس في مصافهم.. لأني قرأته جيداً وقرأتهم جيداً ، وفي النهاية أنا لم أدع لثني فقيهة.. لكني مسلمة توجهني العقيدة الإسلامية حتى عندما أكتب عن اللبى فانا أكتب بالعقيدة الإسلامية !

أخذت صافي ناز كاظم من دفاعها الحماسي عن نفسها بلى منطقة أخرى.. فهي ترى أن حياتها الطويلة خمسة وستون عاماً عبارة عن تكرار ممل تقول: أنا ولدت عام ١٩٢٧ وسميت على اسم زوجة الملك فاروق صافيناز نو الفقار.. وبعدين كل جيلي اسمهم يا فاروق يا صافيناز ، يعني فاروق عبد القادر سمي على اسم الملك فاروق ، وعاصرت عصر فاروق ووعيت على مرحلة التآجج الوطني ، وكان أخويا من الذين أصيبوا في المظاهرات ١٩٤٦ ، كان طالب في كلية الزراعة في سنة أولى ، وكنا نذهب إليه نزره ونذكر أن أمي كانت تبكي ونحن ذاهبون إليه ونقول: يا قلة الأب ! وكل ما أتذكر ذلك تدمع عيناى.. وعندما خرج أخى حول أواقه إلى كلية المعلمين العليا.. وهذا هو أخى د. محمد إبراهيم كاظم الذى أسس جامعة قطر ، وأول رئيس لها.. وهذا اسمه بمفرده.. مركب يعنى ، وقد توفي عام ٩٢ ، والمفروض أنه بذل للعلم في مصر جهداً كبيراً.. ولكنه لا يذكر.. رغم أن الآخرين يكرمون.. فالبلد تتذكر الراقصة أمينة محمد

اعترافات صافي ناز كاظم

باعتبارها من الرائدات في مجال الفن.. وتسمى محمد إبراهيم كاظم ، طب بهيجة حافظ وبلغناها.. عزيزة أمير وقلنا ماشي.. لكن إيه لمينة محمد.. إيه الخبص ده.. هذه الفترة تحبها صافي ناز كاظم في حياتها.. رغم أن والدها قد مات والظروف الاقتصادية كانت صعبة في كل البلاد.. وكان الفقر سمة عامة ، فكان محترماً.. والأسرة المصرية لم تكن ترمي شيئاً.. لكنها كانت تستخدم كل شيء.. تؤكد صافي بخفة روحها: لانا كنت طفلة سعيدة ، رغم أن ابنتي تقول لي أن طفولتها تعيسة.. أنا عملت لابنتي الحاجات اللي كنت متصورة إنها بتسعدنا.. لكن مع ذلك لم يحدث.. وأجدها تقول أنا لا أنكر أن لي طفولة سعيدة يا نهار أسود ، لكني أحب طفولتي التي كنت أتونس فيها بالراديو .

عندما قامت الثورة عاشت صافي ناز مهرجان الفرحة ، لأنه كان لدى الشعب تخيلاً ذاتياً أنه يستحق الفرحة.. فالشعارات كلها كانت هايلة.. وعندما كان يسأل الشعب متى تتحقق كانوا يقولون له الصبر.. تقول صافي: قلنا خليك مع الكداب لحد باب الدار ووصلنا لباب الدار فلم نجد شيئاً.

لا تطول فترات الراحة مع صافي ناز.. فقد اكتفت بهذا القدر من الحديث عن حياتها الشخصية لأنها لا تصبر على الأحاديث العادية.. هذه المرة أخذتني صافي إلى بحر السياسة أخذاً قالت: أنا لم أسجن في عهد عبد الناصر.. بل إنني تألفت في عصر عبد الناصر مهنياً.. لم أضام في أيامه.. لكني عندما أتحدث عن عبد الناصر أتحدث عن الآخرين ، فالرجل "مهايتز فهمي" اللي عمال يهاتر كتب يقول القرعة تتباهى بشعر بنت أختها.. وأنا لقول ابن العظماء أمثال عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم ولويس عوض كيف يقطعوا حجر ، أنا لم أقطع حجراً.. لكني حزينة على هؤلاء.. إن لا أتباهى بهم وهل التباهى يكون بالظلم ، أنا سجنيت أيام السادات ، وأقول إن أحسن سجن هو سجن أنور السادات.. طب تخيل إن الحكام عندنا لا تستطيع أن تقارن بينهم إلا من حيث سجونهم.. فالسجن سيئ في معظم أحواله ، لكن الكلام اللي سمعناه عن سجون عبد الناصر جعلنا نقول إن

اعترافات صافي ناز كاظم

سجن السادات رحمة ، قلت لها رغم أنك أضررتي في عهد السادات لكن صوتك في الهجوم على عبد الناصر أعلى - قالت: لأني لا أكتب من منطلق ذاتي ولو كتبت من منطلق ذاتي.. لكتبت أكثر عن السادات.. لكني أفضل المصلحة العامة.. وهي عندي الأهم .

رحلة صافي ناز كاظم لا تتوقف عند السياسيين والرؤساء.. ولكن لها شأن مع علماء الدين.. آراء كثيرة قالتها لي.. لكن استوقفني رأيها في الشيخ الشعراوي: أسمعته في لحظات وأبقي مبسوطة قوي.. لكن مش على طول ، ساعات نكته تتجاوز ، فهو بيتلع على ربنا شوية هو متصوف وأنا لا أحب المتصوفة ، ولا أحب دلهم على ربنا ، ورفع الكلفة بينهم وبين الذات العليا . على خط الشخصيات التي تجدها على شريط حياة صافي ناز.. تجد أسماء صحفيين كثيرين فقد قضت في مهنة الكتابة حتى الآن نصف قرن .. سألتها عن علمها أصول المهنة قالت: اللي علمني المهنة مصطفى أمين وموسى صبرى ، موسى كان يتيح الفرصة.. يفرح عندما يجد موهبة.. يحتضنها ، أما أنيس منصور فكنت أحبه قبل أن يصبح رئيس تحرير كان لطيفاً.. لكن بعد أن تولى رئاسة تحرير الجيل قال لا أريد أن يكتب أحد.. أنا عايز أمسك المجلة من الغلاف للغلاف ألقى أنيس منصور ، وأنيس فنان في الكتابة لكنه خان نفسه وأساء إليها ، وهو الذي طفشني وجعلني أسافر إلي أمريكا.

تدين صافي لموسى صبرى لأنه علمها.. لكنه ترى أن أحمد رجب كان وحش قوي .. تقول: أحمد رجب كان مدير التحرير.. وكان غلس جداً معي.. وأنا باندش قوي لما أجد الناس ترى أن أحمد رجب فنان.. يمكن يكون أصبح فناناً، لكن في بدايته لم تكن نرى فيه موهبة متألقة ، وهو كان شاباً جميلاً فتى الشائسة يعني.. لكن كان غلس ، ولم تكن أتفق مع على أمين لأنه كان جارحاً.. إنما كنت بأحب التعامل مع مصطفى أمين .

ثم نلتى عند محطة مهمة فى حياة صافى ناز.. وهى محطة أحمد بهاء الدين
تقول عنه: بهاء لم يكن استاذى بمعنى علمى.. لكن تقدر تقول إنه كان كفىلى فى
مرحلة كان كل واحد شاطر لازم له واحد يحميه ، بهاء كان بيحب شغلى وقاهمه.
أبطال صافى ناز لا يتوقفون عند الكتاب الكبار.. لكنى فجأة وجدتها تضعنى
وجها لوجه أمام سعد الدين إبراهيم تقول: عندما كنت فى أمريكا.. وصلت لأعمل
سكرتيرة فى جمعية الطلبة للعرب وكان الرئيس المنتخب هو سعد الدين إبراهيم..
وكان بيخلط بين الخدمة والسكرتيرة وطول النهار يصرخ فى.. وكان حنة تلميذ
زى زيه.. وفى يوم قلت له: جرى إيه يا واد أنت بتتأمر على إيه.. أنت طالب
دراسات عليا وأنا طالبة دراسات عليا ودى جمعية الطلبة العرب ، وشتمته جامد..
قلت له حنة صعلوك لا تساوى ٣ مليم ، وهو كمان كان شكله غلس.. ووشه غلس
أنا بكرهه قوي.. وأنا لم شفته مرة قبل ما يتقبض عليه قلت له أنا بكرهك بلا تردد
وبسهولة ، ويا سبحان الله كل ما عوز أكره حسين أحمد أمين ما أعرفش ، أبص
لهلقى وشه طفل ما أعرفش أكرهه ، نفسى أكره حسين وأكرهك يا محمد يا باز،
لكنى مش عارفه !

ومن سعد الدين إلى رجاء النقاش.. والكلام مازال لصافى تقول: رجاء كان
رئيس تحرير "الكواكب" و "الهلال" وبيكتب فى المصور ، ومدعم من قبل القيادة
السياسية تدعيم هائل وقايق فى جيبه ، وشعرواى جمعه فى جيبه التانى، وإلى
جوار هؤلاء تاتى صديقات صافى ناز تقول: سناء اليبسى معليا من سنة ١٩٤٥
ابتدئى ، ثانوى ، جامعة حى العباسية أخبار اليوم ، والحقيقة أنا اللى متمسكة
بسناء أكثر ما هى متمسكة بى. وسناء فنانة من زمان ، دمها خفيف جدا على
هدوء.. بتكتب حلو قوى وذواقه ، وأصل صداقتى بسناء الظرف والفن.. وهى
مولودة سنة ١٩٢٧ وفى أغسطس ، حترعل منى لأنى قلت عمرها.. كانت تقولى
لى أخرسى خالص.. قولى عمرك بعيد عنى .

اعترافات صافي ناز كاظم

وبالقرب من سناء تأتي عائشة صالح كصديقة لصافي ، صادقتها من كتبتها تقول صافي: عائشة لا تأخذ بالها من قيمتها.. فأنا لى أصدقاء كثيرون لا يجيدون للكتابة.. لكنى لا أقول لهم ذلك حتى لا أرحهم.. وعندك مثلاً نوال السعداوى بتكتب وحش قوى ، قضت معى فى نيويورك ثلاثة أشهر ، وشفقتها وهى بتكتب وكتابتها وحشة جداً.. أسلوبها وحش ومفيش فيه حضور ولا خفة دم.. ولا إحكام.. حتى مذكراتها ليست جذابة.. وهى عموماً كدابة وأنت تقرأ لها لا تشعر أنك أمام إنسان صادق ، ورجاء النقاش هو الآخر بيكتب وحش جداً.. والآن عندنا مثلاً منى رجب.. عائشة صالح قالت لى إنها بتغلط فى الإملاء وفى الصياغات.. فقلت لها حتى لما بيتصاغ لها.. فهى عمالة تكسب جوائز.. فأنا اشتريت كتابها "النساء قادمات".. لكنى لم أجد كتابة.. فكتابتها غير أدبية وغير فنية ، ولما فازت روايتها بجائزة كتبت فى الهلال إن القراء يشتررون روايتها وهم يبقوا الحكم ، ثم بعد ذلك تترجم أعمالها وفى هذا إساءة إلى الأدب المصرى وأنا الآن أصبحت أضرب المثل وأقول هذه كتابة أسوأ من كتابة منى رجب.

نترك هذا الصخب ونصل إلى منطقة نولرة فى حياة صافي ناز.. هى ابنتها الوحيدة تقول عنها: نواررة أخذت منى الاستقامة.. لكن بيننا اختلاف جذرى ، فهى تجد القيمة العليا فى الكتمان وأنا أجد القيمة العليا فى الصراحة.. فأنا دائماً أخرجها بصراحتى.. وهى دائماً تغضبنى بكتمانها.. ورغم أنى التى ربيتها.. لكنها أخذت من أبيها أحمد فولد نجم الكثير.. فهى فوضوية جداً مثل أبيها.. وعندما نقرب أكثر من الأم وابنتها.. نجد صافي تؤكد أن الحياة عندها تبدأ بنواررة وتنتهى عندها أيضاً.. وهذا يكفيها.. لا توجد فى حياة صافي ناز كاظم مرحلة تتمنى أن تتخلص من ذكرياتها.. لأنها رفعت عن نفسها الندم والألم.. وقدر الله وما شاء فعل ، تعيش حياتها ببساطة تخاف من ركوب السيارات فى شوارع مصر المزدهمة وتخشى الفران والصراصير ، وتحب الطرافة والدعابة والقششات ولا تحب النكت الإباحية.

وقبل ان اجمع اوراقى قلت لها.. هل تريدن ان نقولى شيئاً آخر.. قالت لى
بابتسامه لم تغادرها طوال حوارى معها.. اتق الله يا محمد يا باز.. لفا كنت
هاكتب مقال بعنوان براحتك يا محمد يا باز.. ولكن.. وصلتتى رسالة الكاتبة
الكبيرة التى اعتر بها وبأرائها وأفكارها.. فهى تدافع عما تعتقده صواب.. وأنا
كذلك أدافع عما اعتقد أنه صواب.. لم ادخل مع صافى ناز كاظم فى حوار حول
ما نختلف فيه من افكار.. لأننى ذهبت إليها لأحتفل بها وبعطائها على مدار نصف
قرن من الكتابة.

أبجد فنية المساجد

9

أيام فتحية العمال

قد تعرف فتحية العمال.. شاهدت لها مسلسلا تليفزيونيا.. أو سمعت مساملة إذاعية كتبها.. أو قرأت مقالا اشتبكت فيه مع واحدة من قضايانا الكثيرة.. وقد تكون قرأت ما كتبه زوجها للكاتب الكبير الراحل عبد الله الطوخي عنها في سيرته الذاتية "سنين الحب والسجن" و "دراما الحب والثورة". وقد تكون قابلتها في ندوة أو مؤتمر.. واستمعت إليها وهي تتحدث في حماس عن قضية تؤمن بها وتدافع عنها.. حتى لو أغضبت الجميع.. فالناس جميعا لا يساوون شيئا عندها إذا وضعوا إلى جوار الحقيقة .

لكنك ستتعرف على فتحية جديدة.. أكثر عمقا وحماسا عندما تنتهي من قراءة سيرتها الذاتية التي وضعتها على كتف عنوان دافئ هو "حضان العمر".. رصدت خلالها رحلة عمرها التي بدأت في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٢، ومازالت تتدفق حتى الآن بكل ذكرياتها عن النضال والوطنية والكتابة والحب.. ولختراق أعماق البشر بكل ما فيها من حسنات وسوءات..

الأسماء التي فرضت نفسها على حياة فتحية العمال كثيرة تبدأ بزوجها عبد الله الطوخي ولا تنتهي بجمال عبد الناصر الذي تبتأت أن يصبح رئيسا للجمهورية.. بعد أن شاهدت محمد نجيب وأدركت أنه رجل بصباح ، بعد أن قبض على زوجها في الشهور الأولى للثورة ذهبت مع وفد من زوجات المعتقلين إلى مجلس قيادة الثورة تقول: دخلت مكتب القائد.. أول عيني ما وقعت على محمد نجيب لقيته قاعد على مكتب كبير بشكل ملحوظ ، وهو قصير ومش بلين من الكرسي اللي قاعد عليه شاور لنا ، قعدنا ، في الأول اتخضيت ما هي أول مرة أقابل رئيس الجمهورية ، أنا عمرى ما قبلت ناظر مدرسة ، معقول أنا قاعدة

أيام فتية العسال

دلوقت مع محمد نجيب اللي قام بالثورة ضد الملك وطرده ، بسرعة لملت توترى وانتشجعت ، وخرجت العريضة اللي عليها توقيعات العائلات .

دار حوار طويل بين نجيب وفتحية وإذا به يقول لها فى شبه غزل: أنا مش عارف الجماعة دول عايزين إيه بالضبط.. بقى معقول جوزك يعمل حاجة تدخله المسجن ، ويسيبك لوحداك وأنت شابة وحلوة وحامل كمان. تقول فتحية: فى اللحظة دى لقيت إيد بتتغزه فى كتفه عشان يوقف كلامه.. ورفعت عيني مين صاحب الإيد دى ، لقيت قدامى مارى طويل عريض أسمر فى لون طمى النيل ، عينه بتبرق وخارج منها شعاع نور ، نظرتة حادة وصارمة ، حسيت من هيئته وحضوره الطاغى أنه هو القائد ، مش اللي قاعد قدامى وبيكلمنى بغزل ، والست ما تخطنش أبداً بين الكلام العادى وبين كلام الغزل .

خرجت فتحية العسال.. وبعد أن عرفت أن صاحب اليد اللي نغزت نجيب هو البكباشى جمال عبد الناصر وزير الداخلية قالت لأصدقائها جمعياً: انتظروا رئيس الجمهورية القادم اسمه جمال عبد الناصر وده احساسى وبكره تقولوا فتحية قالت . إلى جوار أسماء نجيب وعبد الناصر والطوخى.. ظهرت أسماء مثل عبد الرحمن الخميسى وصلاح حافظ وجمال كامل وزكى مراد ود.عواطف عبد الرحمن.. وهى أسماء ساهمت بشكل لو بأخر فى تشكيل حياة فتحية.. لكن وراء الأسماء يأتى المنهج الذى كتبت به فتحية سيرتها الذاتية.. فقد اختارت أن تكتب بالعامية.. لأنها كانت فى أشد الحاجة لأن تتحدث على الورق كما تتحدث فى الحياة ومع البشر ، واختارت أن تسقط كل الحواجز وهى تكتب لأنها لا تعرف أنصاف الطول ولا أنصاف سرد الحقيقة كاملة ، ولذلك كانت فتحية صريحة إلى حد الدهشة ، اعترفت بأشياء يعتبرها البعض عيباً ولا يجب أن نتحدث فيها أمام الناس ، لكنها قالتها ببساطة لا أقول تحسد ، ولكن تشكر عليها .

اعترض والد فتحية محمود على العسال على ختان ابنته ، قال لأمها فى حسم: فتحية لا يمكن تتطاهر وكفاية اللي عملتبه فى أخواتها البنات من ورايا

أيام فتحة العسال

(كان لفتحة أختان هما نجبية وعائشة) ، ولما ردت أمها زنيب بأن هذا هو الشرع وللدين ياسى محمود ، رد عليها بعنف: لا للشرع ولا للدين قالوا كده.. انتصرت العادات والتقاليد على صوت العقل ، وحاصرت عملية للختان الدامية الطفلة فتحة تقول: كنت صغيرة والدنيا لسه قدامى منورة ، وفى يوم صحيت من أحلامها نومة لقيتهم أخذونى وكتفونى ، وأنا باصة لهم وجوايا رعب الديبة وهى متكفة، والغجيرة بتسن سكينها وأنا باصرخ ، فضلت أصرخ لكن السكين كان أعلى من صرختى ، قرب من بين فخادى ودبحنى ، قطع لحمى ، وسيح دمي ، وأنا اتقسمت اثنين ، بقيت نصين .. نص بيشلب دم ، والتانى على حد السكين .

حادث الختان اقتحم حياة فتحة العسال بعد حادث أهم ، فى اليوم الذى أتمت فيه عشر سنوات فاجأتها الدورة الشهرية تقول فتحة : النهارده عيد ميلادى تميت عشر سنين ، رفعت اللحاف ، ولمسه بأقوم عشلن أجرى أفرح ماما ، وأقول لها النهارده عيد ميلادى ، حسيت زى ما تكون ميه سخنة مقرقة نصى التحتانى ، واتحسست هدومى ، اترعشت ، جريت على أمى ، قلت لها : بصى لقيت دم فى هدومى ، خبطت على صدرها : يا حبيبتى يا بنتى ، ده انتى لسه صغيرة .. معقول وانتى فى السن دى ! .

ولأن حادث الدورة الشهرية وحادث الختان ليس أمراً هيناً فى حى شعبى قالت لها أمها : شوفى يا حبيبتى أنا هأقلوك كلمتين حطيم حلق فى ودنك ، اوعى يا ضنايا حد يقرب منك ، أو يلمس طرفك ، تعجبت فتحة من كلام أمها ، فلاحقتها بقولها : ما هو يا حبيبتى جسمك الصغير دا ها يكبر ويدور ، وصدرك ها يتكور ، يعنى باختصار جسمك دا لازم من دلوقت يتخاف عليه !

وضعت أم فتحة ابنتها وجها لوجه أمام معنى شرف البنت الذى هو مثل عود الكبيريت ، وكان المؤسف أن تعرف فتحة أن شرف البنت بين فخديها ، لا أكثر ولا أقل.. لكنها اكتشفت زيف ذلك.. بعد أن عرفت أن شرف البنت يمكن أن يكون فى دم كتكوت ، فقد وقعت صديقة لها فى ورطة ، أعطت نفسها لحبيبها.. وعندما

أيام فتحة العسل

اقترب موعد زواجها من آخر.. كانت أن تموت من الخوف قالت لفتحية: أنا هاموت نفسي.. سألتها لماذا؟ قالت: مش أحسن لما أهلى يوم للفرح يلاقوا شرفى ضاع يقتلوني ، أخذت فتحة صديقتها إلى عمها التي تنق فيها.. وبحيلة نسائية لم تقتل البنت بل خرجت قطعة القماش من غرفة النوم وعليها دم الشرف.. سألت فتحة صديقتها ماذا حدث قالت لها: عمك الله يسترها ويخلى لها ولادها أتقنت حياتي ، جابت كتكوت وديحته قدامى وأخذت الحصاله بتاعته وميلتها من دمه.. ! لاحظتها فهمت فتحة ما حدث.. وأدركت أن دم كتكوت هو شرف صديقتها ، قررت أن تصون نفسها ليس من أجل رجاءات أمها .. ولكن من أجل نفسها.. اعتبرت أن شرفها شيء خاص بها.. ولذلك كان غريبا ما حدث في ليلة زواجها وهي وعبد الله ، لم يكن فرح ولا زفة ولا كوشة.. لكنها وجدت نفسها معه في بيت أبيها زوجها وزوجة ، لم يخضعا.. قرار أن يعطيا للمجتمع الأبله ما يريد ويحتفظا بحقهما في أن يعيشا الحياة كما يريدان ، كانت مرتبكة.. لكن عبد الله طمأنها قال لها: اطمئنى يا حبيبتي وإن كان على "بيضتى الشاش يا عروسة" أنا دلوقت حالا هابيض لهم للشاش ، سألتها ما تعمل إيه؟ رد عليها بهدوء هاجرح صباعى على صباعىك ودمنا يجرى على منديل أبيض وحصل.. عبد الله جرح صباعه وجرح فتحة صباعاها ، وضما أصبعيهما على بعض وترك الدم يجرى على المنديل الأبيض.. أعطى عبد الله المنديل الأبيض لأبيها ، وبعد ثلاثة أيام من الزواج ، وبكل الرضا والرغبة المشتركة بيضت فتحة الشاش فقد كانت تعتبر أن ذلك شيء خاص بها وليس للآخرين شأن به .

هذه الصراحة المطلقة جعلت فتحة العسل لا تتردد في الحديث عن علاقة أبيها الأئمة مع إحدى قريبات أمها ، كان اسمها لواحظ ، تحكى فتحة: فى يوم محفور جوايا ولا يمكن هنساه لآخر يوم من عمرى كنا لحظة غروب وفى يوم من أيام الحر القاسى ، ماما فى الحمام بتحمى إخواتى الصغرى ، وأنا كنت معاها بإساعدها ، قالت لى: أخرجى هاتى هدم إخواتك من الدولاب اللى فى أوضة النوم .

أيام فتحة العسال

خرجت فتحة وأمام الباب قلمت القباب الخشب وجرت حافية على لوضة النوم ، وعندما وضعت قدمها على عتبة الحجره عينها لمحت نص أبيها التحتاني، ونص قريبتها لواحظ التحتاني ملتصقين وأرجلها ترتعش ، عادت إلى الحمام مسرعة وقبل أن تدخله وجدت أباهما وقريبتها خارجين من الحجره ، بعدها عرفت أن لواحظ حامل وتريد أن تتخلص من الحمل.. وبالفعل أجهضت نفسها وماتت.. تقول فتحة: وهما شايئين النعش ماما ماشية وراه بتصرخ بصوت عالي: يا حبيبتى يا لواحظ يا حبيبتى ، ساعتها بابا كان واقف وراء الشيش بيص على النعش وهو خارج وولادها وجوزها بيتمرغوا على الأرض ، بصيت عليه.. لقيته بيعيط ويبتتم ، سامحيني يا لواحظ ، فى اللحظة دى ما اعرفش ليه ربطت بين اللى شفته بين أبله لواحظ وبابا فى لوضة النوم ، وبين حمل أبله لواحظ بوما اعرفش ليه برضه ، صعبت على أبله لواحظ ، وصعبت على ماما واتعاطفت مع دموع بابا !

كانت هذه أول مرة ترى فتحة العسال فيها أباهما يبكى ، ورغم أن هذا الرجل كان مزواجا يحب الحريم .. لكنه من خلال حكى فتحة عنه يبدو أبا مثاليا.. تقول عنه: كنا نلقى أبويا ساعات يبقى غنى وعنده فلوس وساعات يبيع العربيات اللى عنده ويفلس ، وفجأة يرجع تانى يبقى غنى ، كان يحب الضحك والأكل والسنات واتجوز على امى عشرين مرة على سنة الله ورسوله .

يظهر والد فتحة العسال فى مشوار حياتها مثل الحاج متولى الذى اعترضت فتحة العسال نفسها عليه وكتبت ترفضه وتتنقده باعتباره نمونجا ظالما للمرأة ، لكن ما حدث بالفعل أن أباهما كان نسخة من الحاج متولى ، يتزوج أكثر من مرة ، لكنه لا يقصر مع إحدى زوجاته.. يرعى شئون أولاده ، يدافع عن حقوقهم وخاصة البنات ، كان يريد الستر للبنات لكنه لم يكن يسارع بتزويجهن من أى عابر سبيل ليتخلص منهن ، بل كان يستجيب إذا طلبت واحدة من بناته الثلاث أن تفسخ خطبتها أو تطلب الطلاق.. كان يسأل عن السبب.. ثم وفى لحظة يأخذ القرار الذى يريح ابنته !

أيام فتحة العسال

تخلصت فتحة العسال من تجربة خطوبة في حياتها.. وحصلت على الطلاق مرة من عبد الله الطوخي الذي أحبته كما لم تحب امرأة رجلا وفي كل سطر في حياتها تشعر أنها باقية في أحضانها أبدا ، عادت إلى الطوخي وظلت معه حتى خرج من بيتها في وداع يعقبه لقاء ، هذه الأحداث ليست الأساس.. ولكن الأصل فيما أرادت فتحة أن توصله لبنت جنسها أن الزواج قرار.. والطلاق أيضا قرار.. ولا يمكن أن تتحمل المرأة حياة لا تطبقها مع رجل تختلف معه ، وقد تعتبر أن حصول فتحة العسال على الطلاق كان أمرا سهلا ، فهي امرأة تعمل وتعتمد على نفسها وليست في حاجة لمن ينفق عليها.. لكن هذا ليس صحيحا.. ففي النادي الأهلي وعلى المائدة التي جمعت فتحة العسال بصديقتها د. عواطف عبد الرحمن قالت لها د. عواطف أنت بتأكدى بطلاقك يا فتحة أن لست منا واللى بتعيش بصدق في حياتها وخصوصا اللي حفرت الصخر زبي وزيك عشان تبنى نفسها ، الطلاق بالنسبة لها أصعب بكثير من ست عادية ، لأن مشاكلنا اللي بنتطلق بسببها مش لأن جوزنا، ما بيصرفش علينا ولا جوزنا اتجوز واحدة تانية لا.. دا لأن احنا بنرفض التناقض في حياتنا !

حاولت فتحة العسال أن تضع حياتها أمامنا بلا ديكور أو مكياج.. بصراحة مطلقة.. صحيح أنها تحفظت على بعض الأشياء ، على أساس أنه ليس من الضروري أن ننش الخصاصيات ، فهناك أشياء لا بد أن نبقىها كامنة في زوايا يعتبرها المجتمع خروجا على عاداته وتقاليده التي صنعها بنفسه ثم يحاول أن يجعل منها قرأنا ، الخروج عليه كفر والاعتراض عليه جنون .

ما قالت فتحة عن حياتها قليل من كثير قد لا تخطفك صياغاتها.. فهي تكتب بالعامية.. وقد لا تتفاعل مع أحداث حياتها خاصة وهي تهتم بتفاصيل التفاصيل.. لكنك لن تستطيع في النهاية إلا أن تحترمها .

امرأة تروى حياتها بصراحة مزعجة.. في زمن عزت فيه الصراحة.. وندر

على أرضه الصدق !

انوار

قاسم امين

10

انتصار قاسم أمين

ثلاثة وأربعون عاماً.. هي كل حياة قاسم أمين الذي رسم اسمه في ذهن المصري والعربي على أنه محرر المرأة وذلك بعد كتابيه "تحرير المرأة" الذي خرج للنور عام ١٨٩٩.. وكتاب "المرأة الجديدة" الذي ألحقه قاسم بصاحبه وركز فيه كل جهد ليرد على الانتقادات التي واجهت كتابه الأول والشائعات التي نالت منه شخصياً ووجوه الأذى التي حاولت أن تلحق ببيته وزوجته.

قد يكون هذا كل ما تعرفه عن قاسم أمين.. فهو في خيالك رجل يبدو أنه قصير نوعاً ما - كثيف الشعر.. عيونه ليست حادة.. بل فيها كسل من أثر النوم - لا يعطيك إحساساً معيناً - سوى أنه رجل على باب الله.. قد يكون متعلماً نعم.. قد يكون متقفاً ما في ذلك شك.. لكنه من هؤلاء الذين يزرعون المشاكل والأشواك في الحياة.

الملاحح ليست صادقة.. فقد أقام قاسم أمين الدنيا ولم يقعدهما حتى الآن.. والمضحك حتى السخرية أنه لا يذكر إلا وفي نيله لعنة.. فالذين يعارضون خروج المرأة للعمل ومشاركتها في الحياة العامة يصبون على رأسه اللعنات.. والنساء اللواتي خرجن وحققن ذولتهن عندما تضيق بهن الدنيا وترهقهن.. يرفعن أكفهن للسماء داعيات: الله يخرّب بيتك يا قاسم يا أمين.. يفعلن ذلك مرة على سبيل الهزل ومرات كثيرة على سبيل الجد.. لكنهن في كل مرة يقننها.

لم يكن قاسم أمين الذي ولد عام ١٨٦٥ مورياً خالصاً ، فالنائب أن جده كردستانياً، أما كيف جاء أبوه إلى مصر.. فهذه قصة أخرى ، فصلاح زكي أحمد في كتابه عن قادة الفكر العربي يؤكد أن جد قاسم أمين كان كردستانياً وقد أخذوا

انتشار قاسم أمير

ابنه أمين رهينة في الأستانة عاصمة الدول العثمانية والتي كانت كردستان إحدى ولاياتها دائمة للتمرد والعصيان ، جاء أمين بك إلى مصر في زمن الخديوي إسماعيل حيث دخل في خدمة الجيش المصري.. ووصل إلى رتبة أميرالاي وتزوج بابنة أحمد بك خطاب وأنجب قاسم.

د. محمد عمارة في كتابه "قاسم أمين وتحرير المرأة" يذهب إلى أن قاسم أمين ولد لأب تركي عثماني وأم مصرية من صعيد مصر ، فوالده محمد بك أمين كان قبل مجيئه إلى مصر واستقراره بها الوالي التركي على إقليم كردستان ، وعندما ثارت كردستان ضد الدولة العثمانية وأعلنت استقلالها عن الأستانة ، كان واليها محمد بك أمين في الأستانة فظل بها حتى منحت الدولة عوضاً عن إمارته بعض الإقطاعات في مصر بإقليم البحيرة قرب مدينة دمنهور .

الاختلاف حول مكانة الأب لن تعطلنا.. فالمهم أن قاسم أمين ولد لأب كردستاني وأم صعيدية.. لكن هذا الاختلاف يضع يدنا على سر قاسم أمين.. أو بالأدق يد لنا على مفتاح حياته التي كانت غامضة ، فقد مات قاسم أمين منذ عام ١٩٠٨.. أي مر على موته ما يقرب مائة عام وما زالت وفاته لغزاً محيراً.. هل مات بالسكتة القلبية كما قال جورج زيدان في كتابه "بناة النهضة الحديثة" الذي أصدره عام ١٩٥٧.. أم مات منتحراً كما يشير إلى ذلك سعد زغلول في مذكراته.. وقد كان سعد زغلول صديقاً مقرباً لقاسم أمين.

غموض الوفاة لم يكن الغموض الوحيد في مسيرة قاسم أمين - وقبل أن نحقق اللحظات الأخيرة في حياة محرر المرأة - تخطفنا سنوات عمره القصير.. فقد قضى أولى سنواته في التعليم بمدرسة رأس النين الابتدائية بالإسكندرية وكان طبيعياً أن يدخلها نون غيرها ، فقد كانت مدرسة لأبناء الأرستقراطية من أبناء الأتراك والشراكسة والأثرياء.

ومن حياة الأثرياء في الإسكندرية إلى حياتهم في القاهرة ، انتقل قاسم بعد دراسته الابتدائية إلى حي الحلمية والذي كان وقتها لا يسكنه إلا عليّة القوم.. وفي

انتشار قاسم أمير

المدرسة التجهيزية للتحق بالقسم الفرنسي.. ومنه إلى مدرسة الحقوق والإدارة ، حصل على الليسانس وعمره عشرون عاماً ، ولأن علاقات أبيه كانت وثيقة بعليّة القوم.. فقد عمل قاسم أمين بالمحاماة في مكتب مصطفى فهمي الذي تولى رئاسة الوزارة في ظل الاحتلال الإنجليزي وهو في ذات الوقت والد صفيّة زوجة سعد زغلول.. التي حصلت لقب "أم المصريين".

دخل قاسم أمين مكتب مصطفى فهمي عام ١٩٨١ لم ينقض العام إلا وكان المحامي الشاب في طريقه إلى فرنسا.. ظل بها أربع سنوات قامت خلالها الثورة العراقية وأصبحت مصر أسيرة في أيدي الإنجليز.. وفجأة وجد قاسم أمين نفسه إلى جوار صديقه القديم الإمام محمد عبده الذي نفى إلى باريس بعد أن فشلت للثورة العراقية التي كان أحد زعمائها وبعد أن عاد الغريبان إلى مصر توثقت الصلة بينهما.

عاد قاسم إلى مصر عام ١٨٨٥ وعلى كتفيه عطر باريس.. ولا بد أن النقاب قاسم أمين للمرأة وإلى ما يمكن أن تقوم به في المجتمع يعود إلى سنوات باريس ، فقد رأى المجتمع الأوروبي يضم الرجال والنساء دائماً فيسهل الاتصال بينهم ، وتتشأ فيما بينهم علاقات ألفة وصداقة وحب ، وهذا الاختلاط بين الجنسين في الاجتماعات - والكلام لقاسم - يسبغ عليها عنوبة ورقة ، فالسحر الذي تشيعه المرأة في كل مكان توجد فيه شيء ممتع ولفاذ كعطر الزهور وفي مثل هذه الاجتماعات ينعم المرء دائماً بالمرح وغالباً ما يتودد للغير ويخرج في النهاية مفعم القلب بالرضا.

لم يسمع قاسم أمين عن عطر نساء باريس فقط. لكنه عاشه والكلام هذه المرة من بدايته له يقول: كان شأني شأن الآخرين في الإحساس بقدر السحر الذي تشيعه المرأة في كل مكان توجد فيه ، وخاصة في وجود امرأة تجمع حصافة الفكر إلى جمال الجسد ، وقد رمت بي طبيعتي الخجولة بين الاضطراب والحيرة أكثر من

انتقاد قاسم أمير

مرة غير أن هذا لم يقل من حبي لهذه اللقاءات الشيقة التي يهتم فيها الجميع بخلق جو للبهجة والامتناع به".

لم يلتقط قاسم أنفاسه منذ اللحظة التي عاد فيها إلى مصر ضم إحساسه بالسحر الذي تخلقه المرأة في المجتمع إلى صدره أغلقه عليه وبدأ حياته العملية التي لم تكن سهلة مطلقاً.. عين في النيابة المختلطة ومنها إلى قسم قضايا الحكومة.. ثم إلى رئاسة نيابة بني سويف.. وفي سنة ١٨٩١ انتقل رئيساً لنيابة طنطا.. وفي هذه الفترة وقع الحدث الكبير في حياة قاسم أمين.

كان عبد الله النديم الصحفي الثائر ومشعل فكرة الثورة العرابية وراعيها قد وقع في قبضة الشرطة بعد أن ظل هارباً أكثر من تسع سنوات.. وقع نديم في السنطة القريبة من طنطا ، وجد قاسم أمين وجهاً لوجه أمام واحد من أبطال الثورة العرابية ، واجب الوظيفة كان يقضى أن يحقق قاسم مع النديم - رئيس النيابة مع المتهم الهارب - لكنه لم يفعل.. كل ما استطاعه أنه أكرم لقاءه وأعطاه مالا من عنده ، ووفر له في سجنه أقصى ما يستطيع من ظروف الراحة والرعاية، ثم قرر أن يتوسط لدى الحكومة كي تفرج عنه.. وقد نجح قاسم أمين مع آخرين ومن خلال حملة صحفية ضخمة أن يتم العفو عن النديم وتكفى الحكومة بنفيه إلى الشام بعد منحه مبلغ مائة وخمسين جنيهاً.

توالى الأحداث الكبيرة على قاسم أمين.. ففي ١٨٩٤ دخل قفص الزوجية.. تزوج من زينب ابنة أمير البحر التركي أمين توفيق ، كان صديقاً لوالده ، وقد قامت بتربية ابنته في طفولتها وصباها مربية إنجليزية ، كان قاسم مشغولاً عن زوجته بأعماله وصدقاته الكثيرة.. لكنه ورغم ذلك حافظ على طقس اجتماعي قد تراه غريباً الآن.. فقد كان يخصص لزوجته من وقته ساعتين يومياً وبشكل منظم من الساعة الخامسة إلى السابعة مساءً.. كان هذا الوقت ملكها وحدها.. تفعل فيه ما تشاء وتطلب خلاله ما تريد كانت ساعتها زينب مقدمه.. لثلاث ساعات أخرى يقضيها يومياً في مكتبته التي كانت تشغل من منزله ثلاث غرف ، لكن ومن حسن

انتقاد قاسم أمير

حظ زينب أن الساعتين كانتا تمتدان طويلاً في شهور الإجازة للصيفية التي كان قاسم يقضيها مع زوجته وبنتيه في منزله الصيفي بتركيا.

في نفس العام وضعت الأحداث قاسم أمين في بؤرة الاهتمام ، كان للدوق الفرنسي "داركو" قد ألف كتاباً اسمه "مصر والمصريين" لختار هذا للدوق تفسيراً يبدوا أنه أراحه لتأخر المصريين.. فقد جزم أن تخلف مصر الاجتماعي يعود في المقام الأول إلى الإسلام ، وكان من رأي داركو أن مصر تتمتع بروح قومية مصرية صميمة نتيجة نوباتها في كيان إسلامي غير محدد المعالم ، استقر هذا الكتاب قاسم أمين فرد عليه بكتاب آخر هو "المصريون" لم يكن قاسم في كتابه ضعيفاً ولا خانعاً ولا ليناً.. فقد اعترف بتخلف بلاده.. لكن ليس لأنهم مسلمون.. ولكن لأن من يتهمون المصريين بالضعف والفقر والجهل هم الذين يضعون العقبات في طريق نهضتهم باستغلالهم في سبيل المنفعة الخاصة يقول قاسم عن الأوربيين: "لقد حولوا بلاد المسلمين إلى سوق لسلعهم ووضعوا العراقيل أمام محاولات إقامة صناعة وطنية ، وعاث رعاياهم في الأرض فساداً محتمين بالامتيازات الأجنبية ، أضف إلى ذلك السيطرة العسكرية ، ومحاولة تقويض الثقافة للإسلام والمعبرة عن زيف الحضارة الغربية".

ظهر قاسم أمين في كتابه "المصريون" مدافعاً عن الإسلام.. فقد أكد أن الإسلام سبق كل الشرائع الأخرى في تقرير حقوق المرأة كاملة قيل أن تعرفها أوروبا بإثني عشر قرناً ، ودافع قاسم أمين عن موقف الإسلام من تعدد الزوجات وبين حكمته وأحكامه مقارنة بما يجري في أوروبا من اتخاذ الخليلات - ونفى قاسم كذلك أن يكون الحجاب سجناً للمرأة ، لأن النساء يخرجن للأسواق والزيارة. لكن بعد خمس سنوات فقط وبعد أن كتب قاسم أمين "تحرير المرأة" تغيرت الدنيا من حوله ، وبعد أن كان مدافعاً عن الإسلام في نظر من حوله أصبح عدواً لدوداً له يريد أن يهدمه ويقوض أعمدته.. منعه الخديوى من دخول القصر.. حاصرته الاتهامات من كبار المثقفين والسياسيين وحدث ما هو أكثر عندما دق

انتقاد قاسم أمين

باب بيته أحد العامة - وهو في النهاية أبه ومتعصب - وعندما فتح قاسم الباب لمن قصده دار بينهما حوار من أغرب ما يكون.. قال له قاسم أمين: ماذا تريد؟ فرد عليه الطارق في صفاقة: أريد زوجتك! ، تغير وجه قاسم أمين وقبل أن يرد قال له الرجل ليست هذه دعوتك في كتابك تحرير المرأة ، أن يخالط الرجل النساء وأن يجلسوا معهم.. هيا دع زوجتك لأخالطها وأجلس معها أغلق قاسم أمين الباب في وجه الرجل.. وهو حائر لا يعرف ماذا يفعل في هذا المجتمع الذي يتعامل بغوغائية وجهالة وقلة نوق!

لم يدع قاسم أمين إلى أن تخالط النساء الرجال.. ولكنه كان ابن بيته وواقعه فقد كان يعتقد أن للمرأة المصرية في وقته لا تزال غير مهياة لأي شيء على الإطلاق ويحتاج الأمر إلى سنوات لتربية ذهن المرأة ، كي تتمكن من الاستعداد لمناقشة الرجل في الميدان الاجتماعي.

ورغم أن الرجل كان واضحاً مع نفسه.. فإنه تعرض لحملة تشويه وصلت إلى إنكار أنه واضع كتاب "تحرير المرأة" قالها خصوم قاسم أمين: إن الإمام محمد عبده هو الذي وضع الكتاب.. فقد كانت له آراء في الحجاب.. لكنه كان يخشى أن يعلنها.. فدفع الكتاب إلى قاسم أمين لينشره باسمه ، تبنى هذا الزعم د. محمد عمارة - وقد فعل ذلك كما يقول أحمد عيسى صالح لأن د. عمارة يظن أن المتقنين الذين لم يتعلموا في الأزهر لا يعرفون إلا القليل عن الشريعة الإسلامية وعن الفقه الإسلامي وهو تعصب لا معنى له.. بل إن قاسم أمين عندما أصدر "تحرير المرأة" كان مستشاراً في المحاكم ويعتبر في زمانه من كبار المتقنين الأكثر اطلاعاً وعلماً ، ومن الطبيعي أن يكون إمامه بمذاهب الفقهاء الإسلاميين أوسع كثيراً من الدارسين في الأزهر.

لم يعيش قاسم أمين طويلاً بعد كتاب تحرير المرأة ، تسع سنوات قضاهما مطارداً ومتهما حتى حلت لحظة النهاية ، يحكيها سعد زغلول في مذكراته يقول

انتحار قاسم أمين

مساء يوم وفاة قاسم أمين.. التليفون يدق فدق قلبي لدقه ، سمعت أحمد في التليفون يردد بصوت: قاسم أمين ، ففهمت أنه نزل به مصاب ، فاتخلع قلبي وقمت منزعجا نحو التليفون.. وسألت فقيل: قاسم بك مات ، فاعتراتى هلع شديد ، وقلت لتنحرج الرجل ، ثم طلبت عربة وركبت مع عبد الخالق وصدقى إلى بيته ، فوجدنا العويل والصراخ والبكاء والنواح ، وهناك رأيت طلعت ويحيى والدكتور عباس ، وفهمنا من مجموع أقوالهم أنه عاد إلى منزله فى نحو الساعة الثامنة وأبى أن يأكل مع الأكلين.. وتألّم من شيء فى أعلى صدره، فدعكته زوجته بماء الكولونيا وطلب نارا لإشعال السيجارة ثم فارق الحياة.

تحدث من كانوا مع سعد زغلول عن انتحار قاسم ، وسأل سعد نفسه الدكتور عباس عن حقيقة الأمر ثانية ، فأجاب الدكتور عباس بعد سكوت بأن الموت طبيعى.. وعلق بقوله: إنما كان عاشقا فأكد سعد كلامه قائلا: أعرف شيئا عن ذلك.

كان سعد ومن أرضية علاقته الوثيقة بقاسم أمين - يلمح إلى علاقة قاسم بالمطربة وسيلة التى عرفت فى أوائل القرن العشرين ، كانت مطربة وعازفة قانون ، لقد بحثت عن أصل وفصل وسيلة لكنى لم أجد من كتبوا عن أهل المغنى المحدثين شيئا يذكر عن وسيلة.. لكن الثابت أن زينب زوجة قاسم كانت تغير بشدة من وسيلة.. وكان ذلك مصدر إزعاج لقاسم.. فقد كان يحب وسيلة للدرجة التى جعلته يغدق فى الإنفاق عليها ببذخ .

قد تكون وسيلة سببا فى انتحار قاسم أمين.. ليس لأن زوجته كانت تغار منها.. ولكن ربما قد تكون تركته وخاصة أن ديونه فى أيامه الأخيرة بلغت أكثر من أربعين ألف جنيه وهو مبلغ ضخم جدا بمقاييس ذلك الزمان.. لم يستطع قاسم أمين أن يسدد ديونه.. ودخل فى ضائقة مالية فرقت من حوله الأصنقاء ولم تكن العشيقة مخلصه فودعته لأنه لم يعد يملك ما ينفقه عليها.

انتشار قاسم أمين

حاول أحمد عباس صالح في تعقيبه على كتاب قاسم أمين "المصريون" أن يجد تفسيراً منطقياً للديون الكثيرة التي أنقلت كاهل قاسم . قال في عام ١٩٠٧ -
أي قبل وفاة قاسم بعام - حدثت أزمة اقتصادية كبرى متعلقة بالمضاربة على أسعار الأراضي أدت إلى إفلاس الكثيرين فهل كان قاسم أمين منهم؟ لا يجزم أحمد عباس صالح بشيء فهو يخمن.. وبنفس المنطق يمكننا أن نخمن الصداقة التي جمعت بين قاسم أمين وسعد زغلول.. لم تقتصر على الأفكار فقط ولكنها امتدت إلى موائد القمار التي كان يدمنها سعد ويمكن جداً أن يكون قاسم قد خسر جزءاً كبيراً من أمواله إلى جوار سعد في صالات القمار ! .

ବିଷୟ-ସୂଚୀ

11

الأستاذ عودة

قبل أن أترك الكاتب الكبير محمد عودة جامعته مكالمة تليفونية من صحفية شابة ، وجدته يبتسم وهو يقول لها : "والله لا أعرف التاريخ للذى بدأت النساء تدخن فيه السجائر.. لكن يمكن أن تسألني في ذلك الشركة الشرقية التي تنتج السجائر يمكن يقولوا لك ، وعموما أنا أول واحدة شفتها بتدخن أعجبت بها جدا ، وكان في طريقها ، وهي تدخن شيء من الجاذبية والإغراء ، ثم إن المرأة من حقها تدخن.. اشمعني هي" ، ويبدو أن الصحفية الشابة قالت له: إن التدخين ضد أنوثة المرأة ، لأنه قال لها: على العكس للتدخين ده فيه تدعيم لأنوثة المرأة.. وبعدين أنت اسمك إيه ، ردت عليه قائل : اسمي شاهيناز فقال لها ضاحكا: طيب شاهيناز ده اسم لازم يدخن.. وضع عوده سماعة التليفون ، وقال لي: شوف الناس بتتكلم في إيه؟.

هكذا هو محمود عودة.. رجل تعدى السبعين من عمره ولد في جهينة بالشرقية عام ١٩٢٠ لكنه مازال يحتفظ بروحه الشابة الماخرة النائرة ، يتابع الأحداث عن قرب ويكتب عنها ناقداً وساخفاً، مشغول هو هذه الأيام بكتابة الجزء الثاني من كتابه "ليبراليون وشموليون" محاولاً أن يكتب قصة الحزبية ، والديمقراطية في مصر برؤية منصفة للتاريخ المصري الذي يرى أنه تعرض لاعتداء صارخ من الجميع جعل الأجيال الشابة تفقد الثقة في تاريخها ، ورموزها الوطنية.

لا يحب محمد عوده أن يتحدث عن حياته الخاصة كثيراً.. ولكنه لا يترك مناسبة عامة أو خاصة إلا ويؤكد على فكرته الأساسية التي تصل عنده إلى حد العقيدة ، يقول عوده : أنا مؤمن بمصر دولة عربية عصرية ديمقراطية اشتراكية علمانية غير منحازة ، تكون للقاعدة الأساسية لتحرير الوطن العربي ولتوحيده حتى تقوم قوة عربية عظمى فيدرالية أو كونفدرالية تضع العرب أو الأمة العربية في الموقع الذي من حقها أن تحتله في حياة العالم والحياة الحديثة.

هذه هي عقيدتي - الكلام على لسان عوده ولا يزال - فانا أو من بالقومية العربية والديمقراطية للشعبية والاشتراكية العلمية والعلمانية ، وليس هناك تعارض بين العلمانية والدين ، والإسلام خاصة أوضح الحدود عندما نصت القاعدة الشرعية على أنه لا اجتهاد في العبادات ، وكل الاجتهاد في المعاملات ، لأنكم أعلم بشنون دنياكم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

والأمة العربية أمة متعددة العقائد والطوائف وقد استغل الاستعماريون هذا التعدد عبر مرحلة طويلة واستغرقت الأمة العربية في صراعات وحروب طائفية فرقتهما لصالح المستعمر وكان المخرج الوحيد السليم هو القومية العربية العلمانية التي تجمعهم جميعاً كمواطنين أحرار متساوين في الواجبات.

هذه الرؤية الواضحة ظل محمد عوده يدافع عنها طوال حياته ، ولعل ذلك يفسر لنا ما كتبه عنه يوسف إدريس قال وهو واحد من المنقذين القليلين في مصر الذين يؤمنون إيماناً يبلغ الهوس ، والهوس هنا ليس عيباً وإنما هو في رأي قمة الإيمان بثلاثة أشياء هي نفسها كل ما وهبت نفسي له ، فهو ثائر ومؤمن بالثورة ، وهو شعبي ومؤمن بالشعب وهو اشتراكي ومؤمن بالاشتراكية ، تنثور البراكين وتخمد ، تتزلزل الأرض وتتشقق ، يتغير الحكام الكبار والصغار ، ويتبدلون ، وعوده هو ذلك المؤمن العنيد بهذا الثالوث المقدس ، لا يتزحزح ، لا يتراجع ، لا يهان ، لا يغفر ، وهو ليس إيماناً أعمى ولا إيماناً سهلاً أيضاً، إنه معركة المستمرة المتصلة مع كل الناس أحياناً إذا اقتضى الأمر ، حتى مع الاشتراكيين

الإستاذ عوده

أنفسهم والشعبيين والثوريين فالإيمان عنده ليس شيئاً عقلياً يرتاح إليه وتنتهى الأمور ، إنه حياته وطريقة حياته وهدف حياته.

هذه الصلابة التى لا تلين لأبد أن لها جذورها.. فقد كتب يوسف إدريس هذا الكلام عام ١٩٧١.. وها نحن فى عام ٢٠٠١.. عندما قابلته - أى ثلاثين عاماً مضت.. وعوده كما هو لم يتغير.. رغم أن البلد تغيرت والثوابت لقلبت وأصبحت مصر بلداً آخر ، وصفها عودة لى قائلاً : إنها أصبحت بلداً تسوده رأسمالية السماسرة التى تبنى القرى السياحية بدلاً من المصانع والمشروعات الكبرى !

جذور صلابة عوده تعود إلى الأربعينيات عندما تخرج فى كلية الحقوق.. وقرر أن يعمل محامياً فى الأرياف عن الفلاحين والفقراء ، يقول عوده : فى هذه السنوات عشت المأساة الاجتماعية المصرية كاملة ، كنت وقتها متأثراً بالفكر الاشتراكى العملى ، وأن الثورة لأبد أن تبدأ من القاع.. من عند الفلاحين المصريين الذين قاموا بالثورة العربية وقادوا ثورة ١٩١٩.. كنت مقتنعاً بأن الفلاحين هم الذين سيقومون بالثورة القادمة التى تنتظرها مصر.

لكن التجربة أثبتت لى غير ذلك.. فقد انتهيت إلى أن مصر دولة مركزية ، وأن زحف الفلاحين لاحتلال المدن واقع آخر ، وأن الثورة يجب أن تستولى على المراكز ، عرفت ذلك بعد أن عشت عمق المأساة الاجتماعية فى الريف ، لقد شهدت وباء الملاريا والكوليرا وهو يجتاح الفلاحين ، لقد أصبت بالملاريا ورأيت الفرق بين أن تكون مريضاً وتجد العلاج ، وأن تكون مريضاً ولا تجد العلاج .. رأيت أن النظام القائم عاجز عن المواجهة فأدركت أنه لأبد سينهار.

تأكد لى شعور بأن الثورة قادمة عندما تركت الريف ، وجئت إلى القاهرة دون أن أعرف ماذا ينتظرنى ، عملت فى بعض مكاتب المحامين الكبار ووجدتهم يزيفون القانون ليصبح فى خدمة الطبقات المالكة والشركات الأجنبية.

ترك عودة للمحاماة وعمل بالصحافة والكتابة.. وراح يبحث عن أسباب النهوض ، كانت كل محاولاته هو أن يعيد كتابة التاريخ المصري من جديد ، أن يعيد الاعتبار مرة أخرى للزعماء والقادة المصريين الذين ظلمهم الاحتلال وغيباء بعض أبناء الوطن.. وإذلك عندما تجلس مع الرجل الآن للتحدث معه عن حياته الخاصة ، يأخذك أخذاً إلى تاريخ مصر وأمجادها يحدثك عن ثورات الشعب المصري.. كيف أسقطوا فاروق بهتاف خرج من الجامعة - الغذاء والكساء يا ملك النساء - وكيف هزوا إنجلترا بثوراتهم المتعاقبة بعد أن كانت التقارير البريطانية تؤكد أن الشعب المصري خاضع ويمكن السيطرة عليه بسهولة.

يغضب عودة من تشويه صورة وحياة القادة المصريين ، ويعترض على تحطيم رموز مصر من محمد على وإسماعيل وأحمد عرابي وسعد زغلول وجمال عبد الناصر ، الوحيد الذى ينقده عوده بشده هو السادات ويعتبره قائد الثورة المضادة التى لوتدت بمصر إلى ملك الغرب دولياً ولرتد بها إلى مجتمع الملاك والرأسماليين مرة أخرى ، وبدأت على يده تصفية ما حققته ثورة يوليو ، لقد شاهد محمد عوده فيلم "أيام السادات" فى السينما ، بين الناس ، وسجل إعجابه الشديد بأحمد زكي.. لكنه يرى أن الفيلم سطحي وممل وحاول التغطية على الدور التاريخي للسادات.. فالرجل جعل الفرق بين الطبقات في مصر مفرعاً ، قاندا هذا الفرق إلى الوصول بمصر إلى بلد خدمات سياحية وزراعية تدور فى فلك العولمة وما يريد لها الغرب !

يهتم محمد عوده بأن تعرف الأجيال الجديدة تاريخها ولذا فهو يجتهد حتى الآن.. يقرأ ويكتب رغم معاناته من المرض التى لا ترعجه ولا تؤثر على روحه الشابة التى تتشبع بها بمجرد أن يأتيك صوته عبر للتليفون مملوءاً بالحيوية والشباب ، ولا يهتم عوده فى الوقت نفسه بالحديث عن حياته الخاصة.. ليس لأنها مثلما يقول الآخرون : ملكه وحده ، ولا يجب أن يطلع عليها أحد.. ولكن لأن هناك أشياء أخرى يجب أن نشغل للناس بها !

الأستاذ عودة

ورغم ذلك ، فهناك ثلاث محاولات قام بها محمد عودة لكتابة سيرته الذاتية ..
المحاولة الأولى كانت بعد أن قرأ حياة راقصة أمريكية اسمها " إيزادورا دانكا" ،
كتبت هذه الراقصة تفاصيل حياتها كاملة كفنانة وامرأة ، انبهر بها عودة ، وقرر
أن يكتب تاريخ حياته بهذا الشكل ، وعمل تجربة ظل خلالها لمدة شهرين يكتب
يومياته بدرجة عالية من الصدق ، يسجل آرائه في الناس والأصدقاء ، وكتب عن
علاقاته العاطفية .. وبعد شهرين عاد لما كتبه فوجد نفسه يصرخ: يا خير أبيض ،
فقد وجد أنه من المستحيل أن يقرأ هذه المذكرات للصريحة .. فتخلص مما كتبه
نهائياً .

المحاولة الثانية عندما قرأ مذكرات سعد زغلول التي يعتبرها أهم عمل في
تاريخ عبد العظيم رمضان كمؤرخ ، قرر عودة بعدها أن يكتب فهذا هو سعد
زغلول الزعيم الثوري المهيّب يكتب عن لعبه للقمار ببساطة ، وعن علاقاته مع
الإنجليز ببساطة أشد ، ورغم أن سعد كتب في بداية مذكراته .. " الويل لمن يقرأ
مذكراتي" لكن عودة قرأها وكتب مذكراته بنفس الطريقة ، راعى عودة أن يكون
٧٥ % مما كتبه صادقاً و ٢٥ % محاولة للتجميل لكنه لم يقدر على نشرها .

المحاولة الثالثة لم تكتمل أيضاً .. ولكن نشر بعضها ، بدأت الحكاية عندما
طلب مصطفى نبيل رئيس تحرير مجلة الهلال من الأستاذ عودة أن يكتب عن
فترة تكوينه ضمن سلسلة التكوين التي تنشرها المجلة ، كتب عودة تحت تأثير
حبه لمصطفى فقد قال لي بأنه لا يستطيع أن يرفض له طلباً حاول عودة أن يكون
صادقاً في هذه المذكرات .. ، ويعترف بأنه كتبها ب ٨٥ % من الصدق و ١٥ %
فقط من تجميل الصور ، لم يكتب عودة كل شيء فمازالت لديه أسرار وأراء
يطمح في أن يتيح له الموقف والظروف أن يكتبها .. لكنه حتى ذلك الحين يبحث
في التاريخ ويفتش عنه بميزته الكبرى التي توصل إليها يوسف إدريس .

فقد كان يوسف يرى أن الميزة الكبرى لمحمد عودة ، والتي تفرقه عن أي
كاتب سياسي آخر أو عن أي مفكر آخر أو مؤرخ ، وكاتب قصة آخر ، أنه يكتب

الاستقامة عوصة

التاريخ إذا كتبه ويصور الحاضر إذا صوره ، كما يجب أن يكون ، وكما يجب أن يكون ، وربما يقلل إن هذا هو عيبه الكبير ، ولكنه قاتون النبوغ الأوحى ، إن الميزة الأعظم دائماً هي العيب الأعظم.

إن محمد عوده يظل رغم المنين وقسوتها وتقلباتها التي لا تريحه عادة ، يظل للباحث عن الجوهرة المكنونة في قلب كل شيء ، إنه مفتش الكون العام ، وربما يأتي من هنا تحديقه الدائم وذهوله ، فهو باستمرار في حالة بحث دائم عن جوهرة الحقيقة الكبرى في الناس والأشياء والأصدقاء والثورات والتاريخ ، وكثيراً ما يعود من بحثه خائب الأمل وتبدو خيبة الأمل واضحة تماماً في ملامحه وكتباته ، ولكنه في أحيان قليلة نادرة يعود منشراح الأسارير واسع الابتسامة مردداً : وجدتها !

يعيش الآن عوده في مرصده الخاص بشقته الهادئة في الدقي.. يبحث ويكتب ، يستمتع بوقته واتصالات تلاميذه وأصدقائه الذين رفض أن يحدثنا عن علاقته للخاصة بهم.. ينظر إلى مكتبته العامرة بالكتب.. ويتابع الصحف اليومية بحثاً عن جديد.. فهو على اقتناع تام بأن هناك جديداً لا بد سيأتي.. إن لم يكن الآن فغداً وإن لم يكن غداً فبعد غد !

المجلد الثاني
قائمة النظم

12

المحامى قائد التنظيم

يقدم منتصر الزيات نفسه فى وسائل الإعلام المصرية والعربية على أنه مجرد محامى للجماعات الإسلامية ، يحاول أن يؤكد فى كل مرة يتحدث فيها أنه يقوم بدور الراصد لنشاط الجماعات المتطرفة ، ولا ينسى فى كل حوار أو لقاء تليفزيونى أن ينفى فيها عن نفسه أن تكون له صلة تنظيمية بهذه الجماعات ، ليس هذا عن قناعة فكرية ، بقدر ما هو خوف من أن يلقى فى السجن ، أو كما قال بنفسه عن نفسه والكلام بالنص: الإقرار بأننى متحدث باسم للجماعات الإسلامية يعنى إقرارى بأن هناك رابطة تنظيمية تربطنى بهذه الجماعات ، وهذا يوقعنى تحت طائلة القانون ، فأنا مؤمن بالفكرة الإسلامية ، وابن الحركة الإسلامية ، ولكنى غير تنظيى .

هذا الاعتراف يؤكد أن الزيات يحاول أن يكون متوازنا ، يمسك العصا من المنتصف ، فهو يجعل من نفسه مجرد محاميا يقوم بدوره القانونى فى الدفاع عن متهمين ، حتى لو كان المتهمون يروعون الأمنيين ويقتلون الأبرياء.. ويهدمون نظام الدولة من قواعده ، هذا الدور تعرض لهزة عنيفة خلال الشهور الماضية ، عندما اتهم أيمن الظواهري قائد تنظيم الجهاد منتصر الزيات بأنه صاحب علاقة مشبوهة مع الحكومة المصرية ، فهو يخرج ويدخل بلا مشاكل ، يتحدث إلى وسائل الإعلام دون أن يتعرض له أحد ، وفى النهاية وصل الاتهام إلى التلميح بأن الزيات قد يكون عميلا للحكومة !

الزيات ليس عميلا بالطبع ، ولكنه رجل يسعى خلف رزقه ، وقد وجد رزقه، منذ البداية فى خندق الجماعات الإسلامية ، وإذا فهو طوال تاريخه لم يعارض فكرة طرحتها هذه الجماعات ، ولم ينتقد عملية قاموا بها ، فهو دائما يبارك ويثني على كل حركة وسكنة تصدر عن الجماعات الإسلامية ، ولذلك تعجبت عندما قرأت تصريحات منتصر الزيات عن كتابه الذى سيرد به على اتهامات "أيمن الظواهري" ، فالزيات ليس جرنيا إلى هذه الدرجة ، التى يمكن أن يرد بها على الظواهري . وعندما صدر الكتاب حدث ما توقعته .

المطامير قائمة التنظيم

الظواهري اتهم الزيات في كتابه الأخير "فرسان تحت راية النبي" والزيات قرر أن يرد في كتاب اختار له عنوان "الظواهري كما عرفته" ، الظواهري صنف في كتابه الناس صنفين ، الأول يقاتل تحت راية النبي ويعمل في سبيل الله ، والثاني لا يستظل بهذه الراية ومنهم بالطبع منتصر الزيات ، فما دام قد ورد اسمه ملتصقا باتهامه بالعمالة ، فهو ليس من فرسان النبي ، في كتاب منتصر لا نجد رداً للاتهام.. بل نجد إعجاباً مفرطاً بشخصية الظواهري وتاريخه .

فليمن للظواهري عند منتصر الزيات شخصية غنية بالكاريزما ، ويتسم بصفات طيبة ، وأهم ما في شخصيته الأخلاق الكريمة ، والرقّة في تصرفاته ، فهو هادئ لا يتكلم حتى يمكن وصف سمته بالانطوائية ، لكن أفكاره مرتبة ، يعرف ماذا يريد تحقيقه ، قليل الكلام ، لكن المستمع إليه يستطيع بسهولة أن يعرف ماذا يريد من حديثه ، لا يفعل بسرعة ، ولذلك فهو يمتلك قدرة هائلة على اتخاذ القرارات المهمة في ظروف متغيرة .

ويستند الزيات في تأكيد احترامه وتقديره للظواهري ، إلى أن أيمن كانت أمامه فرصة قوية يستطيع من خلالها أن يستخدم وضع أسرته الاجتماعي ، فيما يطمح إليه للناس ، لكنه اختار فكرة ودافع عنها ، وضحي في سبيلها ، فعل ذلك بتواضع وزهد ، وكانت هذه الصفات سبباً مباشراً في تكريس زعامة أيمن الظواهري وتأكيد قيادته وسلطانه على قلوب محبيه وأتباعه !

آيات المدح لا تنتهي طوال كتاب منتصر الزيات ، ولأنه وضع الكتاب في الأساس ليرد على اتهامات الظواهري ، فقد قدم بعض التلميحات السريعة التي يمكن أن تهز صورة الظواهري في عيون محبيه ، يقول الزيات في الفصل الأول من كتابه الذي منحه عنوان "الارستقراطي أصولياً" في اعتقادي أن أهم ما كان يؤلم للدكتور أيمن الظواهري أنه أجبر تحت وطأة التعذيب والإكراه على أن يكون شاهد إثبات ضد زملائه وإخوته وأعضاء تنظيمه في القضية التي حوكم فيها عصام القمري والضباط الآخريين ، حيث أخرج من سجنه في طره يرتدي الملابس المدنية ، تم لقياده إلى قاعة المحكمة العسكرية العليا بالجبل الأحمر ، ليشهد ضد الضباط أنهم شكلوا تنظيمًا داخل القوات المسلحة ، قصدوا من خلاله الإطاحة بنظام الحكم وإقامة حكومة إسلامية بدلاً منها !

كان الظواهري قد قام بالفعل بالإرشاد بعد ضبطه في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨١ عن مكان اختباء صديقه عصام القمري ، بل قاد أجهزة الأمن إلى زاوية صغيرة ، اعتاد القمري أن يؤدي الصلاة ويلتقى دورياً فيها بالظواهري وأفراد تنظيمه .

المتهم قائف التنظيم

قصد منتصر الزيات من رواية هذه الواقعة أن يؤلم الظواهري ، أو كما نقول واحدة بواحدة ، واتهام بالعمالة للحكومة يقابله اتهامها بالإرشاد عن المجاهدين ، وإذا كان الظواهري أطلق مدفعية الاتهامات على الزيات فإنه فعل ذلك دون دليل، لكن الزيات قدم الاتهام وقدم الدليل.. بالوقائع والتواريخ.. وإذا كان أيمن يرى منتصر عميلا ، فإن منتصر يرى أيمن مرشدا للأمن !

هذا الاتهام الخطير الذي أعلنه الزيات ببساطة ، يعرف المحامي المخضرم أنه يمكن أن يعرضه للمخاطر ، ولذلك حرص أن يقدمه في ثوب من الألب الشديد ، كأنه يعتذر لأيمن الظواهري مقدما عما سيفعله به أو يفشيه عنه من أسرار ، فقد اتهم بالعمالة ولا بد أن يرد ، ولأن الموقف حرجا للغاية ، فقد حاول أن يكون مؤدبا مهذبا وغير جارح حتى يمر الأمر بسلام .

لا يجب أن تمر هذه المعركة العابرة بين الزيات والظواهري مرور الكرام .. بل لابد أن يعلق في عنقها سؤالا حول حقيقة موقف منتصر الزيات من الجماعات الإسلامية ، هو يدعى أنه مجرد محامي بحق الدفاع الذي يكفله القانون ، فكل متهم يجب أن يجد من يدافع عنه ، لكن هل منتصر الزيات مجرد محام؟ هذا ليس صحيحا بالطبع .

دخل منتصر الزيات السجن ضمن مجموعة "الجماعات الإسلامية والجهاد" وعندما خرج مع بدايات الثمانينيات أصبح محامي الجماعات الإسلامية يرافقهم في كل صغيرة وكبيرة ، يستमित في الدفاع عنهم ، لا بوصفه محاميهم.. لكنه كواحد منهم.. وما يؤكد ذلك كثير لا يحصى .

فالزيات يحرص ألا يقول عبارة "الله يرحمه" إذا تحدث عن الرئيس السادات، لأن هناك إجماع من العلماء على أن السادات حاد الله ، وهؤلاء العلماء عند الزيات هم علماء الأمة وليسوا علماء الدولة ، فهو لا يعترف بالعلماء الذين تعينهم الدولة ، فالمفتى عنده مثلا معين من قبل الحاكم ، فكيف يمكن الاحتكام إلى فتواه .

ومنتصر يوافق على كل العمليات التي قامت بها الجماعات الإسلامية بل ويباركها ويبررها ملتصقا لها الأعذار ، فاغتيال رفعت المحجوب في رأيه كان آية من آيات الله ، بل وصل به الأمر إلى أن ردد في قاعة المحكمة الآية الكريمة

المحامى قاتل التنظير

"وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى" فيد الجماعات الإسلامية عنده هي يد الله
التي تنفذ إراداته وشرعه" !

ولم يستنكر الزيات عمليات العنف التي قامت بها الجماعات الإسلامية ، بل
يبرر لهم ذلك ويلتمس لهم فيه الأعذار ، فقتل السياح في رأيه كان وسيلة للتعبير ،
لأن الجماعة الإسلامية لم تجد منفذا تخاطب من خلاله الرأي العام المحلي
والعالمي ، لقد أرادت الجماعة الإسلامية أن تقول للدنيا كلها أن هناك اضطهادا
يقع على أفرادها ، وأن هناك عراقيلاً توضع في طريق اعتلائها للمنابر لكي
تتحدث إلى الشعب ، وأن هناك اعتقالات عشوائية يحدث ، وأن هناك احتجازا
يجرى لنسائهم ونوابهم ، وأن هناك تعذيبا يقع على أفرادها في السجون
والمعتقلات ، وأن أحكام القضاء التي تصدر بإخلاء سبيل المعتقلين لا تحترم ،
وأن هناك قتلا يحدث للشباب في الشوارع بزعم مقاومتهم للسلطة .

ولا يمانع منتصر الزيات أن تحطم الجماعات الإسلامية اقتصاد الدولة
بالاعتداء على البنوك وإصدار البيانات التي تحذر المستثمرين من استثمار
أموالهم في مصر ، لأن في ذلك إضعاف لشوكة الحكومة حتى يثور عليها الناس ،
لأن الناس إذا لم يجدوا لقمة العيش فسيثورون .

هذه فقط عينة من آراء منتصر الزيات التي تضعه في خندق واحد مع قادة
الجماعات الإسلامية ، فهو يردد هذه الآراء ليس باعتبارها آراء موكلية ، ولكنها
آراء الخاصة التي يتبناها ويتعصب لها ويدافع عنها ، فتكفير المجتمع والمنقذين
واتهامهم بالباطل عنده أمر هين ، فقد قتل فرج فودة في رأيه لأنه استهتر
بالمقدسات الإسلامية وسخر من الشعائر الدينية وله علاقات مشبوهة بأوساط
التصارى والغرب لينالوا من الإسلام ، وهو يرى أن نجيب محفوظ يستحق القتل
لأن روايته "أولاد حارتنا" فيها خروج عن الدين !

مر على هذه الآراء التي تحدث بها الزيات أكثر من خمس سنوات ، فقد
نشرت في كتاب أعده وائل فوزي عن حوار طويل مع منتصر الزيات ، وقد يقول
الزيات إن هذا الكلام مجرد تعليق على أحداث وقعت خلال التسعينيات .. لكننا
نؤكد أنها راسخة عند المحامى الذي وهب نفسه للدفاع عن الجماعات الإسلامية ،
واعتبر نفسه واحدا منها.. ولا يستطيع أن يرد على إتهاماتهم له إلا بالأدب
والاحترام .. فالرجل يريد أن يحافظ على أكل عيشه .



13

الكتاب المقدس

الضمير الحي

لم يكن إبراهيم منصور يكف عن الضحك من قلبه والتفاؤل والحديث عن الحرية ، تجلس إليه فلا تريد أن تفارقه ، تسمع كلامه فلا تمل منه ، تنظر إلى وجهه فتجد هذا الوطن بانتصاراته وانكساراته ساكناً في ملامحه لا يرغب أن يبرحها .

يعرف المثقفون المصريون على اختلاف أجيالهم إبراهيم منصور ، يضعونه في مكانة خاصة لا يستطيع أحد أن يقترب منه بالخمز أو اللمز كما يحدث مع مثقفين آخرين ، يجررون إلى جلسات النميمة وتقطيع الفروة . بعد أن تراجعوا عن مواقفهم واختاروا الراحة بدلاً عن الثبات على المبادئ الذي لا يجلى سوى وجع القلب .

فرض إبراهيم منصور نفسه على الساحة السياسية والثقافية خلال الفترة الأخيرة من حياته بقوة ، عندما قرر بدافع وطني وإنساني أن يذهب إلى نقابة المحامين مع عدد كبير من المثقفين ويعلم من هناك إضرابه عن الطعام ، كان له هدف واحد.. الموت احتجاجاً أو طرد السفير الإسرائيلي من أرض مصر التي دنست طويلاً بوجود جزء من الكيان الصهيوني عليها .

كان سؤال جيلي الذي ولد في منتصف السبعينيات ولا يعرف إبراهيم منصور جيداً ، من هو هذا الرجل الكبير الذي يحمل على كتفيه سبعين عاماً

الضمير الحي

ويقرر أن يجوع حتى يطرد السفير الإسرائيلي ، وهل مازال لدينا في مصر في زمن لا يعرف سوى البلادة رجال مثله ؟

لا يهتم إبراهيم منصور بالحديث عن حياته ، فليس مهما من هو.. ولا ما هي المحطات المهمة في مسيرته ، فالمهم هو ما يفعله الآن.. وما يضيفه لتاريخه بإصراره على المقاومة حتى آخر نفس.. وبقدرته على بعث الروح في جنود المتقنين الذابذة التي اطمأنت طويلا للصمت.. واستراحت طويلا على كتف التراخي !

اعتاد المتفقون أن يظهر إبراهيم منصور في الوقت المناسب ، فبعد هزيمة ١٩٦٧ ، قاد حركة رفض الإنكسار وأثاره ، أيامها أصر على إصدار مجلة منحها اسم "جاليري ٦٨" وكانت في جانب منها مقاومة للهزيمة ، استطاع إبراهيم بها أن يوحد الصف الوطني ، رحب بها الجميع ودعموها .. لم تتضمن هجوما على أحد.. ولكنها كانت تسعى للخروج من نفق الانهيار المظلم ، كانت "جاليري ٦٨" ترجمة صادقة لتقدم إبراهيم منصور لمظاهرات ١٩٦٨ التي خرجت تحتج وتطالب بعقاب الذين أضاعونا بلا ثمن .

وفي عام ١٩٨٢ عندما اختلط الحابل بالنابل، وبدأت هوية المصريين في التآكل ، حاول إبراهيم منصور أن يملك بكل الخيوط المتاحة ، فبدأ في تأليف كتاب "الأزدواج الحضاري" . طاف في شوارع وحواري مصر.. تعرف على الناس من مختلف الطبقات.. جمع الخرائط والكتب.. وجلس يكتب.. عن الأزواج الثقافي الذي هو نقطة ضعف في الجبهة الثقافية المصرية التي يمكن أن تنفذ منها التأثيرات الأجنبية.. صدر الكتاب في بيروت ونشره صلاح عيسى على حلقات في الصحف العربية من خلال الوكالة الصحفية التي كان يشرف عليها .

الخصير الدر

وعندما قامت انتفاضة الأقصى ، وخرج للطلبة غاضبين يمزقون أشرطة الصمت ، وعبر رجل للشارع عن غضبه.. وغاب صوت المتقين إلا قليلا ، كان لابد أن يظهر إبراهيم منصور ليحفظ ماء وجه المتقين ، حمل أمتعته وذهب إلى نقابة المحامين ليعلن إضرابه عن الطعام متحديا المخاطر ورافضا التعليقات المثبطة من عينة أن قرار رجل في السبعين من عمره بالإضراب عن الطعام أمر لا معنى له إلا أن يموت.. والتعليق مسجل باسم.. رئيس تحرير جريدة للقاهرة .

لم يغضب إبراهيم منصور من كل المتقين الذين دعاهم بنفسه للتضامن والمشاركة في الإضراب ورفضوا . فكل واحد منهم ظروفه وهمومه وأسبابه الخاصة ، التي لا يحب الخوض فيها ، لكنه بدا لي عندما التقيت به رافضا لوصفه بأنه منطقة حرة في زمان ليس كذلك - والوصف مسجل أيضا باسم رئيس تحرير القاهرة - فقد وصل للرجل الكبير أن رئيس تحرير جريدة القاهرة يريد أن يقول ببساطة إن المضربين في نقابة المحامين مجموعة من الصيغ.. الذين يعيشون في زمن غير زمانهم.. ولذلك فلا فائدة من الإضراب والاعتصام والاحتجاج.. وكفى الله المؤمنين شر القتال.. ولا حرمهم من خيره .

إنقاذ إبراهيم منصور لجبهة المتقين.. ومحاولته لتلميع وجهها الذي علاه الغبار في السنوات الأخيرة كان فرصة ليعلن عن وجهة نظره التي لم تتغير والتي يحملها معه منذ شبابه ويلج عليها في جاساته في بيوت أصدقائه ومقاهي وسط البلد والندوات التي يحضرها وظلت معه حتى مات.. فالمتقف عند إبراهيم منصور كائن مستقل.. عنده إمكانية الاستقلال.. وعندما يفقد المتقف استقلاله يفقد منفعة.. ويتحول ببساطة إلى بوق.. مجرد بوق !

ورغم أن إبراهيم منصور لا يقبل نقاشا في فكرة استقلالية المتقف.. لكنه يتفهم أحيانا دوافع بعض المتقين الذين يلقون بأنفسهم في أحضان السلطة..

الخصير الحري

فبعضهم عنده حاجة مادية.. وبعضهم عنده حاجة نفسية ، ما يشعر نحوه إبراهيم منصور بالأسف أن هناك نمونجا من المتقنين كان خبرة وطاقة وموهبة.. ولم تكن لديه تطلعات مادية.. لم يبحث عن الأموال أبدا.. لكنه انضم إلى وزير للثقافة الذي أعلن صحيفته الشهيرة ذات يوم بأنه استطاع أن يدخل المتقنين حظيرته.

كانت النتيجة الطبيعية أن تفقد كتابة هذا النموذج روحها ورونقها وروعها.. لأنه لم يعمل حتى لحساب وزارة الثقافة.. ولكن عمل لحساب الوزير.. مع أنه كان يستطيع بعمله المستقل أن يحصل على دخل أكبر بكثير مما يدخل جيبه وهو يعمل عند الوزير .

غضبة إبراهيم منصور لم تقف عند حدود الذين سخروا من الإضراب واعتبروه عملا نضاليا في زمن ليس كذلك.. ولكنها وصلت إلى القناة الثقافية التي يجلس على بابها جمال الشاعر.. عندما قلت له هل اهتمت القناة الثقافية بإضرابكم عن الطعام؟ هل نقلت أخباركم ومنحتكم مساحة لتوصلوا رسالتكم إلى العالم؟ سبقني الرجل الكبير بضحكته المججلة وقال: يا راجل والله فكرتني إن فيه حاجة اسمها القناة الثقافية !

أنهى إبراهيم منصور ورفاقه إضرابهم عن الطعام وخرجوا من حديقة النقابة دون أن يطرد السفير الإسرائيلي ، لكنه أثبت موقفا دافع به عنا جميعا ، وعندما خرج كان على ثقة - كما يقول - من أن الأوضاع التي تحاصرنا الآن لن تبقى طويلا ، فالتغيير قادم.. قادم.. ولعل أمريكا تسارع بالتدخل لتغيير الأنظمة العربية قبل أن تمتد أيدي الشعوب إلى أعناقها وتغيرها.. حتى تضمن أن الأنظمة القادمة ستكون موالية أيضا .

لا يعول الرجل الكبير على المتقنين كثيرا.. فهم في النهاية ورق وحبر بلا قيمة ، لأن ما يكتبونه يفتقد الصدق .. ولا يعول كذلك على الحركات الإسلامية

الضمير الحذر

التي كانت حتى وقت قريب - وقبل أن توجه لها ضربات عنيفة متتالية - المعارضة الحقيقية للموجودة ، فالإخوان الآن يرفضون الصدام مع الحكومة وبينهم ناس كبار في السن.. وبينهم أغنياء يخافون على مصالحهم.. ولذا فلا ننتظر منهم شيئا .

للناصريون أيضا يعيشون في مازق يرصده منصور جيدا.. فهم مشتتون.. كل واحد منهم عايز يعمل حزب.. هذا رغم أن عبد الناصر الذي يعملون تحت رايته كان يصون كرامة البلد.. صحيح كانت فيه أخطاء مثل تكسير بعض الناس.. وقد دخل إبراهيم منصور سجون عبد الناصر ، لكنه مع ذلك يحترم عبد الناصر جدا .. فهو عنده أحد الزعماء المهمين جدا في تاريخ مصر .

لا يبقى أمام الرجل الكبير الذي اختبر الحياة واختبرته الدنيا ، إلا جيل الشباب الذي هب ساخطا وباعثا للحياة في شرايين مصر.. فقد استطاعوا أن يهزوا مصر بمظاهراتهم وهتافاتهم.. وما فعلوه لا يختلف كثيرا عن مظاهرات ٥٤ التي شارك إبراهيم منصور فيها أيام الجامعة.. ولا مظاهرات ٦٨ التي لعب فيها دورا مهما ومؤثرا.. ولذلك فالتغيير معقود عليهم .

ليس غريبا بعد ذلك أن يهتم إبراهيم منصور بالتواصل مع الأجيال الشابة ، كان يفضل الجلوس إليهم والحديث معهم ، ليشعر بأن الحياة مستمرة ومتدفقة.. فهم الأمل القادم.. لقد مرت عليه سنوات طويلة.. عرف بشرا بعدد أيام عمره.. احتفظ بصداقة عدد كبير منهم.. وأسقط آخرين من حساباته لأنهم سقطوا.. ولم يقبض بعضهم ثمن سقوطه .

لا يدخل إبراهيم منصور دنيا المتقنين في مصر من باب أنه كاتب ، فله كتاب واحد منشور بالفعل هو "الأزدواج الحضاري" .. حاول رئيس تحرير القاهرة أن يصادره منه ويؤكد أنه لم يصدر .. ولم يدخل من باب أنه كاتب قصة.. فله قصة واحدة عنوانها "اليوم ٢٤ ساعة" ولكنه يدخل من باب أنه ضمير المتقنين الحي

الضمير الندي

الذي يوقظهم ويقلق راحتهم إذا شعر منهم بالتراجع.. يضعهم في مأزق عندما يتقدم صفوفهم ويطالبهم بالعمل.. لا تأتي النتائج دائما كما يتمناها إبراهيم منصور.. لكنه لا ييأس أبدا حتى عندما تصادفه الحياة بأوجاعها.. يطلق ضحكته للمججلة.. ويهز كتفيه ويمضي ساخرا..

المزود من الحير

14

الهروب من الدير

عندما دخل فائق زكا بولس أحد أديرة وادى النطرون ليترهبين كان قلبه عامراً باليقين بأن الدير هو العالم ، وعندما خرج بعد أحد عشر عاماً قضاها هناك كان فى قلبه جرح عميق وفى نفسه ألم لا يوصف.. وفى عقله شكوك لا حد لها.. بين نقطة البداية ونقطة النهاية ، بين لحظة دخول الدير ولحظة الخروج منه جلس فائق أو جولرجى المقارى - اسمه أيام الراهبة - ليسجل اعترافاته الكاملة عما رأى فى الدير.. لم نتدخل.. فقط جلسنا نسمع لاعترافات رجل دخل الراهبة باختياره وتركها باختياره أيضاً .

يقول فائق:

"ملاحظة.. هذه آخر مرة نقول فيها: يقول فائق.. فالكلام القادم كله على لسانه وحده" ..

هل كانت الراهبة بالنسبة لى مأساة ؟ نعم.. كانت مأساة بكل معانى الكلمة . لقد كان حبى لمصر فوق كل تصور ، فإن حبى للوطن حبى للحياة نفسها ، أنكر عندما كنت فى الجيش أتمنى من أعماقى أن أستشهد فى سبيل مصر ، كنت أشعر بحبى لمصر يأكل قلبى للدرجة التى كانت تسيل فيها دموعى ، نعم كنت مصرياً ، هكذا تربييت وتلقيت تعليمى حتى الجامعة .

أنهيت للخدمة الوطنية بتاريخ ١٩٨١/٧/١ ، ومن الجيش خرجت إلى الدير لتأدية الخدمة الدينية ، هذه الخدمة التى لقدسها منذ الطفولة والتى انتظرت أن أنهى تعليمى وخدمتى الوطنية لأتفرغ لها بل لأكرس كل حياتى لها حتى آخر لحظة من عمرى .

الهرب من الدير

ذهبت إلى الدير لأقابل آباء الروحيين وأب الأباء الروحيين ، وهناك تلقيت تعليمي الجديد ودروس الأبدية "الخاصة بالحياة الأبدية بعد الموت" كنت أتلقى تعليمي على يد معلمين أكفاء ، وكنت من أبرع الطلاب وأذكاهم وأدقهم ، حفظت للدروس عن ظهر قلب وطبقتها حرفياً .

كان التعليم الأول للمبتدئين ينص على نسيان العالم الذي تركناه بكل ما فيه ومن فيه ، ننسى الأم والأب والأخت والحنون والأخ الصديق والصديق الأقرب من الأخ ، كنت أحب أصدقائي مثل نفسي ، ننسى المدرسة ، ننسى النيل بجماله الرباني الخالص ، ننسى كل شيء وحتى أنفسنا ، وبتعبير دقيق نذيب أنفسنا خدمة لله والدير ، ندع وطننا لندخل الوطن الجديد ، والحق يقال إنها لم تكن خدمة لله ، بل ذابت أنفسنا خدمة لهم ، لأولئك المعلمين الروحيين .

علمونا أن وفاءنا للوطن وولاءنا له لا بد أن يتحول جملة وتفصيلاً إلى وفاء للدير وولاء له ، علمونا أن حب الدير وخدمته وخدمة من فيه ، هو الحب خلف أسوار الدير ، وأي اتصال أو حب للعالم "خارج الأسوار" هو اتصال وحب سيدمر حياة الرهبنة للراهب فيخسر للحياة الأبدية التي هي كل هدفه وسعيه .

وقد حدث بالفعل أن قدسنا الدير ورهبانه وترابه وقوانينه ، واستبدلناه بالوطن، فهم يقطعون الراهب عن العالم بكل القواطع والسدود ، فلا تصل الجرائد فهي حرام ، وعيب خطير أن يقرأ الراهب مجلة أيا كان نوعها ، وغير مسموح بسماع المنياح مهما كانت الظروف .. حتى لو كانت هذه الظروف هي الحرب ، أما التليفزيون فلا يدخل الدير بالمرّة ، ولا يسمح للراهب بمقابلة أصدقائه القدامى الذين يحضرون إلى الدير خصيصاً لرؤيته ، إلا لو كان الدير سيستفيد منهم فيسمح الراهب بمقابلتهم ، بل والأكثر يفضل في الدير عدم مقابلة الأهل : لأنه وكما علمونا أن الحنين للأهل يجر الراهب إلى الخلف ويتملك الحنين من قلبه وتفكيره فلا يستطيع العبادة أو التفكير في الله ولكن كيف يجردوننا من المشاعر الإنسانية والمسيح نفسه مثلهم ومثلنا الأعلى غير مجرد منها .

الهروب من المصير

قبل دخولي الدير.. كنت متديناً جداً أتوق للحياة الدائمة مع الله ، وحين كنا طلاباً بالجامعة كان لنا صديق بالمدينة الجامعية يتردد على الأديرة ويعرف الرهبان ويأتى لحجرتنا ليقص علينا بعضاً من الطرائف التي حدثت له مع للرهبان ، ويفيض في وصف عطفهم ووداعتهم وتسامحهم .وكم هي عظيمة أعمالهم وكم هم قادرون على الحياة مع الله بلا زاد دنوي ، كان قلبي يضطرم بكلماته نارا لرؤياهم ويصطلي شوقا للتعرف عليهم ، فقد كان للرهبنة بريق خاص لا يعادله أى بريق فى الحياة كلها .

وفى العطلة الصيفية كنت لقصى كل وقتى فى الدير أعمل بلا أجر ، يقابلنى الرهبان ببشاشة ويعاملوننى بلطف كبير ومودة غير عادية ، ولذا كنت أحرص على أن أكون بالدير فى اليوم التالى لليوم الذى أجتاز فيه امتحان أخر مادة .
وحيثما كنت أغادر الدير إلى الجامعة كنت أغتم جداً وألصق بالأسى والحزن لفراق الرهبان والمكان الذى أحبه ، لم أكن أودعهم خوفاً من ضعفى ودموعى التى كانت تسبقنى أمامهم ، ولكن الحال تبدل كثيراً حينما ذهبت إلى الرهبنة ، بعد تصادمت بعد أيام قليلة بأحد المسؤولين عن اختيار المتقدمين للرهبنة ، كان الخلاف بسبب سؤال بسيط منى هو "لماذا لا تقبلون للرهبنة إلا للمؤهلات العليا؟" وما إن خرجت الألف الأخيرة للعليا من فمى حتى انفجر الأب غاضباً صائحاً ملوحاً مهدداً "أنت لك أفكار غريبة!!" واتجاهات مشكوك فيها ، أنت لا تصلح للرهبنة فى ديرنا ابحت لك عن دير آخر" .

أدركت لحظتها أن لى أفكاراً والدير أفكار أخرى ، صدمت من رد فعل الأب ومن طريقته واستبداله مما جعلنى أكتب للأب الروحى وأعلن له عن بعض أفكارى وكانت هذه بعضها ومن واقع ما كتبت : "بنتى قدمت للرهبنة للعشرة مع الله وبدافع الحب الذى أحسه فى قلبى لجلاله ، وأنا لا أطمع فى شيء من وراء الرهبنة ، لا فى زيتها ولا فى كرامتها ، ولو وقعت الرهبنة عند حد اللزى والكرامة لصارت كريهة فى عيني" .

الهروب من الصير

اعتبر الأب الروحي هذا الأسلوب خروجاً عن الأدب في مخاطبته فشكاني لكل من قبله ، جعلني هذا أشك في نفسي.. هل أنا على حق أم أخطأت في حق الرهبنة والأب الروحي ، جفت معاملة للرهبان معي وتحولت بشاشتهم إلى عبوس، وأدركت أني مرفوض من الجميع .

وقبل أن يستقر بي الحال سمعت أن صديق المدينة الجامعية بعد التخرج ذهب للاتحاق بأحد أديرة البحر الأحمر ، وفي فترة الاختبار الحقوه بالمطبخ ، وذات يوم انفجرت فيه أنبوبة بوتاجاز صغيرة ، فاشتعلت النار فيه ولفوه بالأقطان ، وكان جلده يتساقط وبعد ثلاثة أيام توفي متأثراً بجراحه .

كان هذا الحادث تدبيراً من الله ليقتصر أيامه وسنينه في الرهبنة ، لرتاح صديقي فقد أشفق عليه الله من الويلات التي كان سيلقاها ، أفته النيران دفعة واحدة فاستراح.. لكني كنت أحترق بالنار كل يوم ، مات صديقي دفعة واحدة ولكن الموت الأسود البطيء كان يلتهم أعضائي ونفسي وروحي كل حين .

وظللت أصارع نفسي.. كنت أقول لها.. يالى من بانس ليتنى خرجت بعد صدامي معهم أو يا ليتهم طردوني ، ولو كان للأيام أن تعود للوراء لتركت لهم الدير هارباً عارياً حتى من ملابسى ، ولأنميت قدمي ومزقتها حتى لا تخطو خطوة تجاه الدير ، بل لمزقت قلبي حتى لا يحب ولا يفكر في الرهبنة .

ومع أني كنت أحب الرهبنة وأعشقها ، ولكني خدعت..

"فديرتنا كان يشبه عنراء جميلة جداً.. ينم منظرها عن العفة والقداسة ، سألت عنها فوجدت جيرانها يمدحونها ، وأهلها يحملونها ، فالتهمت شوقاً للاقتران بها وتزوجتها ، وكانت المفاجأة أنها امرأة فاجرة عاهرة سرعان ما تحولت إلى لأخطبوط يلف أذرعته حول عنقي ويشل حركتي فلم أستطيع حتى الصراخ.. وأخيراً التهمني اللثاماً".

ورغم أهوال ما رأيت ..

لكني ظللت على أفكارى.. فقد كنت محقاً في سؤالي عن مؤهلات الراهب فعلم الله ونعمته لا تتوقف على نوع واحد من شهادة الدراسة ، فمؤسس الرهبنة أنبا أنطونيوس وكبير وعظيم الرهبنة أنبا مقاريوس ومعظم - إن لم يكن جميع -

الهروب من الصير

الرهبان فى الجيل الأول "القرن الرابع" كانوا أميين لا يعرفون حتى مجرد القراءة والكتابة .

تبدلت معاملة الرهبان معى كثيرا.. وكان سؤالى بداية أيام الصدام ، وعندما كنت تحت الاختبار تحدث إلى راهب مرتين ونكر أشياء سيئة عما يحدث فى الدير ، كان يبادرنى بقوله سوف تفهم كل شيء حينما تدخل المعمة.. وكان للسؤال الذى يفتح رأسى هو.. هل فى الدير معمة؟! لم يجبنى أحد على السؤال فقد أجابتنى الأحداث والأفعال .

كلفت بالإشراف على العمل بالمخبز وأنا تحت الاختبار ، تعلمت العجين والخميرة والخبيز وكل شيء ، صرت خبازاً ، وتوليت مسئولية إدارة المخبز وتوزيع الخبز.. كان العمل بالمخبز مرهقاً شاقاً يبدأ فى السادسة والنصف صباحاً وينتهى فى التاسعة أو العاشرة مساءً بالنسبة للعمال ، أما بالنسبة لى فكثيراً ما كان يمتد إلى الواحدة أو الثانية صباحاً .

بعد فترة عُين الأب "م" رئيساً مباشراً لى ، ومسئولاً عن المخبز والمطبخ والمائدة ومخازن التموين ، وجمع الإخوة تحت الاختبار ، وقال لنا إن الأب الروحى اختارنى بالذات كى أكون وسيطاً بينكم وبينه لطول السنين التى قضيناها معاً.. ونقل ما قاله الأب الروحى "سلموا الإخوة ما سلمتكم إياه" والتسليم فى الأديرة يعنى التعليم ، تعليم أى شيء وكل شيء .

كان الأب "م" مهندساً كيميائياً كما سمعت ، ضخيم الجسم فارع الطول عريض المنكبين تبرز بطنه فى شبه نصف بطيخة كبيرة "وعلى فكرة عيب كبير فى الرهينة أن يكون للراهب كرش" يتحرك فتتهز دهونه ، لونه أحمر ، ذا رأس كبيرة ومستدير ولحيته تميل للاصفرار ، له شارب طويل يغطى شفته السفلى ، وأما حواجبه فكانت لا تثبت لحظة فى مكانها فهى تتراقص وتلعب على نغمة كلامه ، إذا تحدث ينحى ويستقيم ويرفع ذراعياً تارة ويخفضهما أخرى ، ويجسد معانى ألفاظه بأصابعه ، يوسع عينيه ، ويضيقهما وأحياناً يغمضهما ، يتحدث بسرعة ويتوقف لحظات ليعود ويسترسل ، كان ممثلاً.. "كان الأب" "م" كالمرأة

الهروب من المديرو

اللعبو.. يفيض لسانه بالأمثال للشعبية.. وكان الأحرى به أن يستشهد بأيات من الإتحيل أو أقوال الآباء القدامى لو يستأن للرهبان".

كان حساساً لكرامته غاية الحساسية ، فعنده أن تكفر بالله ولا تجرح كرامته ولو بشعرة ولو من غير قصد ، فالدلم ينط من وجهه والشرار يتطايرو من عينيه ، ولسانه ينهمر كالهرلوة للتقبلة على رأسك وذراعيك وساقيك ، فلا تكدرى من أين ولا كيف تتحاشى الضربات ، كان متكبراً متعجرفاً يدعى للمعرفة وهو أجهل من دابة خاصة فى للشئون الروحية فقد كان الرجل أجوف لا قراءة ولا صلاة ، ورغم ذلك فكثيراً ما كان ينصحنا بالتواضع وإتكار الذات بدعوى أن للذات والكرامة هى العدو الأول للحياة الروحية !! .

وعندما حل موسم الصلصة "معجون الطماطم" حلت بى جميع الويلات ، وأضيف إلى عملى أعمال الإشراف على العمال الذى كان يصل عددهم ثمانية ، يقومون بفرز وعصر الطماطم نهاراً ، وما يتبع ذلك من التفريغ والنظافة وإطعام العمال ، وتجفيف هذا العصير ليلاً بعد الساعة التاسعة مساءً حتى الثانية صباحاً . فى هذه للفترة كان الأب "م" يتفرغ لى تماما كانت أيام سوداء سيئة فى حياتى، حجم للعمل كان هائلاً فقد كانت المساحة المزروعة بالطماطم سبعين فدانا "يباع منها ما يباع والباقى صلصة".

وبين يوم وليلة زاد إرهاقى فى موسم الصلصة فقد كنت ما أزال أعمل فى المخبز وحتى العمال الذين كان يرسلهم الأب لمعاونتى كانوا قله وصغاراً . الأمر الذى جعلنى أعجن بنفسى وأقف أمام النار للخبيز طوال اليوم وأساعدهم فى حمل أجولة الدقيق وكنس وتنظيف المخبز ، ولم يكن دافعى الأمانة "لعن الله الأمانة التى على طريقتهم" بل خوفاً من عدم إجاز العمل لليومى ثم عطفى على العمال الذين كنت أحبهم من كل قلبى .

كان النعاس والإرهاق يغلبانى فأنام وأنا جالس فى انتظار جفاف بخار الماء من صوتى الصلصة الموضوعة داخل الفرن ، فاحترقت اثنتان منها ، ووقعت تحت أنياب الأب "م" زمجر واتسعت عيناه وصاح بى فى عنف ، وإذا أقابل

الهروب من الدير

صياحه بصياح اشد واعلى دون ان ادري ما الذى دفعنى لذلك .. فقد كانت نفسى مشحونة وصرخت فيه .

"تلومنى لأجل ما احترق.. ونحن تلقى عشرات الكيلوات فى الزبالة كل يوم.. أنا لم أتم منذ بداية هذا العمل سوى ساعتين أو ثلاث يوماً.. لست أمام عينيك أسهر حتى الثانية صباحاً وأدق جرس الكنيسة فى الثالثة وأذهب للكنيسة فى الرابعة وأخرج منها للعمل فى السادسة والنصف حتى الثانية صباح لليوم التالى.. الا يشفع لى كل هذا العمل والإنتاج وهل المطلوب منى ان أعمل وأنتج دون ان أخطئ ولو مرة واحدة؟! .

كانت المرة الأولى التى أصبح فيها فى وجه راهب يكبرنى ، وهذه جريمة فى الرهبنة ، أما صياحه هو فيعتبر تعليماً وتهنيئاً ، وكان على أن أعترف بجريمتى لأب الاعتراف ، وأحياناً يكون أب الاعتراف غير الأب الروحى ويكون بتكليف منه.. وإن كان يمكن اللجوء للأب الروحى بالرغم من وجود أب اعتراف. كان الأب الروحى يدرك تمام الإدراك أن الأب "م" خاو وليس لديه شيء يسلمه ولكنه وضعه ليكون عيناً على ليراقب سلوكى لحظة بلحظة ، فما دمت صاحب فكر فلا بد من تشديد الرقابة على ، وعليه فقد كان الأب "م" يعتبر نفسه من مجلس قيادة الثورة.. فهو مركز قوة وعليه أن يحافظ على الثورة ومبادئها بكل الطرق مشروعة وغير مشروعة .

كنت أسأل نفسى: وهل فى الدير عيون؟! .

وكنت أقول: ليس ذلك غريباً فكل سلطنة لها عيون تعمل لحسابها ، وما هو الأب الروحى يحكم ويتسلط ويخاف كل الخوف أن تمس سلطته ولو بشعرة أو أن يهتز كرسي عرشه بفكر غير فكره .

2- خرج فائق زكا بولس الراهب المصرى الذى قضى فى أحد أنيرة وادى النطرون أحد عشر عاماً وهو يحمل فيضاً من الذكريات عن رهبان وآباء الدير الذين عاش معهم.. لكن للأسف كانت ذكرياته كلها سيئة.. قد تكون للأهوال التى

التهروب من المدير

رأها الرجل أيام رهبنته نور في وصف الرهبان بكل الشرور التي خلقها الله.. لكنه يتحدث عن نماذج لرهبان وأفعال لأباء لا نستطيع أن نكذب.. كلامه عنهم.. لأنه - كما يقول - رأى بعينه.. وعليه وحده الدفاع عما اعترف به.. يقول فائق:

اتصل بي من المزرعة الأب المسئول عن المطبخ فلدبه عجز في الخبز ويريد كمية منه ، كما أفنى لريد تسوية أمر ما معه ، وخارج المخبز وجدت الأب "م" يدير السيارة التي أعطاه إياها الدير وقال لي: سوف أذهب للمزرعة وأعود مباشرة ، قلت: هذا ما أطلب ، وأثناء الذهاب معه "المزرعة تبعد عن الدير ١,٥ كيلو متر" نشبت بيننا معركة كلامية ، وقبل نزولي من سيارته قال لي: ابحث لك عن سيارة أخرى فإنا لن أعود الآن ، جن جنوني فإنا لا نستطيع الغياب عن المخبز كثيرا وخاصة أن نيرانه تشتعل ، والأولاد صغار بالإضافة إلى ماكينة العجين الخطيرة ، فهي من النوع القديم المكشوف والأب "م" يعلم كل هذا ونزلت من السيارة ساعتها كنت أتمنى لو أزحت السيارة وسائقها إلى الجحيم .

أغلقت الباب خلفي بغضب.. وسألت نفسي ماذا أفعل هنا؟ . لكني لم أكن أجد إجابة مقبولة عن سؤالي .

كنا نخشى نحن الأخوة الاختبار يوم السبت ، فهو اليوم المخصص للاعتراف. ويا ويلنا من أب الاعتراف ، كان طويلًا ذا ذقن نحيفة تميل للبياض ، وبالرغم من كبر سنه إلا أن وجهه كان يلمع وكأنه يدهنه كل صباح بزيت عباد الشمس ، كان الرجل يعتبر من أكبر الشخصيات المهمة والمسئولة في الدير ، وكان ذا طبع حاد عنيف ، يستطيع أن ييكتك ساعة كاملة على هفوة بقصص وحكايات لا تنتهى ، كان متزمتا شديدا جافا في معاملته وأقواله إلى الحد الذي كرهنا فيه الحياة الرهبانية ، وذات مرة قلت له صراحة :

"يا أبونا.. كانت الحياة الروحية ونحن في العالم أسهل بكثير منها هنا كانت للمحبة واللود صبغة علاقتنا ببعض وبالكنيسة وبأب الاعتراف.."

لم يرد ، فقط ظل يحدثنا عن حب الله لنا ، ألم يمت المسيح ويبدل نفسه من أجلنا ، ألم يكن المسيح متجاوزاً عن خطايانا وغاfrها لنا حتى ولو تكررت.. ووجدتني أقول له مرة ثانية :

الهروب من الدير

"إبنى يا أبونا لم أسمع منك كلمة رحمة الله.. أين الرحمة ، إن كل التعاليم تتحصر فى الجهاد الروحى والنسك الزائد وإماتة الذات.. وإنه بكثرة عذابنا والامنا فى الأرض يكبر نصيبنا فى السماء.. لستم لستم للقائلون إن المسيح صلب كى يظل فاتحا ذراعيه ليقبل جميع الخطاة والآثمين؟".

تغيرت ملامحه وأصبح ليلى بعض الشيء.. لكنه فى المرأت التالية كان أشد عنفا.. لقد عرفت الحقيقة كاملة..

"فمسيح العالم غير مسيح للدير ، الأول رقيق جدا ستر على خطايا وعيوب الكثيرين ، لم يفضح الزانية التى أمسكت فى ذات الفعل ، ولم يحكم عليها ، بل لكى يخلصها من الذين حكموا عليها وأرادوا قتلها قال لهم فقط أول من يرحمها بحجر لا بد أن يكون بلا خطيئة".

كنت أعلم مسبقا ما سيكون فى جلسة الاعتراف بعد تصرفاتى ، فقد كان أب الاعتراف عنيفا قال لى: أنت تحتاج تغييرا.. أنت عنيف وطبيعتك قاسية.. إذا كانت هذه الأعمال تصدر منك وأنت مازلت أختار تحت الاختبار فماذا بعد الترهين "سوف نتط فى بطن الرهبان" .. هكذا قالها..

وللأسف الشديد اقتنعت بكلامه.. رغم لنى لم أكن قاسيا أبدا فى العالم ، بل كنت محبوبا غاية الحب.. وطيبا غاية الطيبة ، كنت حساسا رقيقا لا يهدأ لى بال إذا أحسست لنى أسأت لإنسان ما.. ولكن الدير كانت له خطط جهنمية لتحويل مسار الإنسان ، فتحت هول ما رأيت من الضغط الهائل من الأعمال والمصانمات لا أستطيع أن أكون حلما أو وديعا أو أضبط غضبى ، وبالفعل أقنعونى أننى غير صالح للرهبنة .

وهكذا كانوا يفعلون مع بقية الرهبان ، فإذا اشتكى راهب أو قل نومه أو تآمر أو صاح أو هاج أقنعوه بأنه مريض نفسيا ، ولا بد من علاجه ، ويأتى الكتور"ر" من حلوان بهمه ليكتب له المهدنات فيعتادها الراهب ويذمها ، وبعدها يجرونه ويسرقوه كيفما شاءوا.. ولا يستطيع هو الفكك منهم فمن سيعطيه هذه الأدوية إن ترك الدير ، وكيف سيواجهه العالم بنفسيه مريضة ، ويظل عبدا ذليلا للدير طوال حياته . فلا يتركه الدير إلا جثة جفت دماؤها وتحولت عظامها إلى رماد .

الهروب من الدير

إن لكون مبالغاً إذا قلت إن أكبر نسبة مرضى نفسيين في أي مجتمع في العالم هي في الأديرة ، فبينما تبلغ هذه النسبة في المجتمعات العادية ٢ أو ٣% تبلغ في ديرنا ٢٠% أي خمس رهبان على الأقل .

كان عمري خمسة وعشرين عاماً عندما التحقت بالدير ، وكان عدد للسنوات التي قضاها أب الاعتراف في الرهبة ثلاثين عاماً ، أي كان راهباً قبل ولادتي بخمس سنوات ، وحينما كنا نتردد أثناء دراستنا للجامعة على الدير ، كان للرهبان يشيدون بهذا الراهب الذي كان متوحداً حينذاك .

كنا نتوق لرؤيته وفي العام التالي سمعنا أن هذا الراهب ترك الوحدة فسألت عنه أنا ورفاقي فقد كان نزوله خيبه لنا ، فأجاب الذين أشادوا بوحدته بإشادة أكبر لتركه للوحدة.. قالوا لقد رأى أن العمل ثقيل على الرهبان فترك عليه للتجلى لكي يشارك إخوته أتعابهم والأمهم وضحي بلذته وسعادته الروحية كي يخلط عرقه بعرقهم ودمهم بدمائهم .

وقد يرى البعض أن ما يحدث في الدير شيء عظيم .. فكل عرق مبذول هو زيادة في الإنتاج ، وكل يد يتم تشغيلها تقلص حجم البطالة.. وبذلك يعم الخير لبناء الوطن ، فقد بلغت كميات البطيخ التي تم تسويقها يومياً إلى مائة طن ، وطرح هذه الكمية يومياً كان يخفض الأسعار ولو بكسر عشرين صغير جداً ، وما يحدث مع البطيخ يحدث في البيض وفي الألبان والفواكه.. أما في الزيتون فكان إنتاج الدير من أكبر ما يمكن ، وفي مجال الأبحاث العلمية الزراعية مثلاً فالدير كان أول من زرع الزيتون من الفروع وليس من الجذور بعد تغطية رأس العقلة بالشمع لتقليل النتح ومعالجة أسفلها بالهرمونات لإخراج شعيرات جذرية ، والدير زرع عقل العنب ، فكانت نسبة النجاح أكثر من ٩٠% ومركز البحوث كانت علاقته بالدير قوية جداً ، فقد تمت زراعة الكركديه والزعتر والكمون والشمر لاستخراج الأدوية .

كما تمت زراعة البطاطس والقمح والقطن في الأرض الصفراء ، وكانت النتائج مذهلة ، فقد استطاعت الأرض الصفراء بالجهد والعناية والأمانة أن تقدم

الهروب من المديير

محصولا أكثر من للمقدم من الأرض السوداء على ضفاف النيل ، وقد حضر وزير الزراعة يوسف والى إلى الدير أكثر من مرة وصافحنا هناك..

أما فى الإنتاج الحيوانى ، ف لدى الدير حوالى ألف رأس من الأبقار وستمائة رأس من الأغنام ، ولول حلاية آلية دخلت مصر كانت لديرنا.. والأعظم من هذا عمليات نقل الأجنة فلم تكن ناجحة على مستوى الشرق الأوسط إلا فى ديرنا ، والمفاجأة أن كل هذه الأعمال كان يقوم بها مائة راهب فقط .

كل هذا عظيم ورائع .

ولكن دعنا نتوقف قليلا..

فقد كانت الزراعة وتربية الماشية من أجل استبعاد الجيران "العرب" حتى لا يزرعوا ولا يضعوا أيديهم على الأرض..

"هذا رغم أن هدف الرهبنة العبادة أولا وأخيرا.. وحينما نقرأ للأب الروحي أو تسمع عظاته تجده يمجّد العمل الروحي "العبادة" ويرفعه على العمل المادى حتى ذهب فى إحدى عظاته إلى أنك إذا دخلت للصلاة فأنت تحول للوقت الميت إلى وقت حى وتحول التراب إلى ذهب.. وكم نادى بأن وجود الرهبان فى العالم يرفع غضب الله عن هذا العالم لأجل أيديهم المرفوعة فى الصلاة" .

كان الأب الروحي يرفض لأن يكون هدف الرهبنة العمل المادى فقط على أوراقه التى يؤلفها وفى عظاته التى يلقيها ، أما فى داخله وأعماقه فكان العمل والإنتاج هدفه الأول والرئيسى.. وبسر هذا الإنتاج نال شهرته وجلس مع رؤساء الدول .. وكانت هذه هى ميزته التى حرص عليها .. فكيف لا يتمسك به وكيف لا يحول الدير إلى جحيم عمل.. هل علمتم الآن سر الأعمال التى فوق طاقة البشر.. أظنكم علمتم .

وللأسف اكتشفت أن رؤساء الرهبنة لا يحسون لا بالبلد ولا بالفقير والمسكين، إنهم يحسون بأنفسهم فقط ، فإن كان المجد من وراء العطاء فهم أسخياء.. وإن لم يكن فلا عطاء.. وكل بطولاتهم التى يدعونها تشدقات لا وجود

الهروب من الدير

لها إطلاقاً على أرض الواقع ، فقد حول الأب الروحي ليس العمل للروحي فقط بل والعمل المادى أيضا إلى سعى وراء المادة "النقود" سعى غير مسنود بهدف روحى أو إنسانى..

فكم من مرة رفض الدير رفضا باتا مساعدة الفقراء - وقد كنت بوليا ويأتى من هو فقير يطلب للمساعدة وحينما أتصل بالإدارة أجد الرفض بل للقسوة.. "إياك أن تدخله للدير.. أطعمه وحاول أن تصرفه".

كنت أتمزق بين توسلات السائل لأجل عملية جراحية لزوجته وبين قسوة الدير ، ولم تكن للدير علاقة ببيوت الأيتام والأرامل ، ولا سمعنا أنهم يدفعون لملجأ أو ساهموا فى بناء كنيسة ولا ساعدوا حتى العمال الذين بنوا الدير على أكتافهم .

وتلك مأساة النقاش..

كان شابا صغيرا يعمل بالدير وافته الفرصة للعمل بالحكومة فنصحوه بترك العمل فى الحكومة ووعدوه براتب أكبر وتأمين معيشة أفضل ، ورأيتاه أمينا فى عمله مرحا ومحبوبا من الجميع ، وبعد حوالى سبعة عشر عاما مرض النقاش ولم يعد قادرا على العمل ، زوده الدير بمبلغ صغير مرة واثنين وعندما طلب المزيد ليصرف على علاجه وعلى زوجته وأولاده رفض الدير مساعدته..

بكى للشاب وقال لقد أفنيت شبابى فى خدمتكم.. ألم تعدونى بتأمين مستقبلى؟ لماذا لا تصدقون؟ فما كان من الدير إلا أن أبلغ الشرطة لكي تأتى وتخلصهم منه.. بل وهددوه إذا عاد فسوف يلقى ما لا يحبه .

وما فعلوه مع النقاش فعلوه مع النجار.. وكثير من الحرفيين الذين طردوا من الدير شر طرده .

3- لا يستطيع أى راهب مهما بلغت جرأته أن يترك للرهبنة ويغادر الدير.. إلا بعد أن يفكر ألف مرة ، لأن أحدا لن يقبله ولا حتى أسرته للصغيرة فما بالك بالمجتمع الكبير.. هذا يجعلنا نعتقد أن الراهب الذى يخرج من الدير إنما يخرج

الهروب من الدير

مدفوعاً بضغوط نفسية رهيبة عجز عن تحملها ومن جراء معاناة ضاق بها..
فأراد أن يخرج إلى البراح..

وقصة خروج فائق زكا بولس الراهب الهارب من دير الأنبا بيشوى فى
وادي النطرون تؤكد لنا ذلك.. فقد قضى فى الدير أحد عشر عاماً ، قال إنها كانت
الجحيم بعينه.. ولذلك قرر أن يهرب ، القرار كان صعباً لكنه اتخذ.. وها هو
يحكى لنا عنه.. يقول فائق :

الوداع من الأشياء المؤلمة على نفس الإنسان ، ولقد شعرت بهذا الإحساس
عندما قررت مغادرة الدير ، وفى الليلة السابقة على مغادرتى له قمت بجولة
أخيرة فى الحقول والمزارع وبين المباني مازلت أتذكر كل شيء ، يتصارع
بداخلي الفرح مع الحزن.. عشر سنوات أمضيتهما فى الدير وجوار المعاناة النابعة
من التسلط والتحكم والاستبداد كانت هناك المعادة الطاغية والتي تولد بالنفس من
جاء غرس شجرة فى أرض جديدة ، ويختلط الإحساس بالفرار من الحرمان مع
الشعور بفقدان أماكن أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخى ، و لكننى قبرت
بداخلي كل المشاعر التى تشدنى مرة أخرى إلى الدير ، وأثناء الليل وبشعور
وتصرفات الهارب قمت بوضع كئيب وملابسى فى مبنى جديد بجوار الطريق
الممهد ، وفى الصباح الباكر استوقفت سيارة من سيارات الدير ، قائدتها شاب
على علاقة طيبة بى ووضع الكتب والملابس فى السيارة وغطيت أشيائى
بملاءة ، وقلت له أريد الطريق العام ، وعند خروجى من بوابة الدير لم يعترضنى
العامل فهو يعلم أننى أخرج كثيراً لإحضار ما يحتاجه الدير من الخارج ، ولم
أخبر أحداً بمغادرتى للدير سوى الأب البواب ليعطينى نقوداً لأسافر إلى القاهرة ،
فرغم عشرة أعوام من العمل "كالحمار" فى الدير كنت لا أملك لجرة الطريق
للعودة إلى القاهرة .

وكان البواب من بلدتى وقد زهل كل الذهول لقرارى "أليس أنت من كن
يشجعنا على البقاء فى الدير؟ ألم تشجعنى من قبل وأقنعتنى بعدم مغادرة الدير

الهروب من المديرة

عندما حاولت الفرار؟" أثارت كلماته في نفسي شعورا طاغيا بالحزن.. فقد كنت أحب الأب البواب ، كنا في الثانوية العامة معا وكنا نخدم ونصلي معا ، وكانت الراهبة هي الهدف واللحم بالنسبة إلينا.. وما قد تحقق للحلم.. فلم للهروب؟ .

ولكنني كنت قد عقدت العزم ، وبالفعل ضغطت على نفسي ، وواصلت الطريق ، ولم يكن سائق السيارة للشباب على علم بنيتي ، وعندما وصلنا على الطريق العام ولم أجد سيارة في انتظاري.. سألني قائلاً: إلى أين؟ فقلت له: إلى القاهرة . "هل ستترك الدير؟" .. فأجبتُه بنعم ، فصالت دموعه وصوته يخنق وهو يرجوني بالعودة: أرجع يا أبونا.. أرجع أنا لا أستطيع العودة بدونك.. وتمالكت أعصابي وأعطيته بضعة جنيهات وقلت له : أرجع حتى لا تتأخر عن عمالك . وعاد إلى الدير وكنت أعلم أنه سيخبرهم وإن لم يكن بالكلام فبالدموع.. وسرعان ما ستأتي سيارات الدير لإعانتى إليه ولكن العناية الإلهية أرسلت لى "تاكسى" فأسرعت بالركوب والفرار إلى القاهرة وعلمت بعد ذلك أن الدير أرسل خلفي أربع سيارات ولكن بعدما نفذ الأمر واستطعت الفرار .

وفى طريقى إلى القاهرة لم أكن سعيدا بحريتى ولا جزينا على مغادرتى للدير وأيضا لم أكن خائفاً ، فكم من المرات التى هربت فيها بروحى وخيالى بعيدا عن الدير . وما تحقق الآن ما هو إلا للفرار بالجسد ، ولكنني كنت أشعر بضيق لا أدرى مصدره ، ولم أستطع أن أتخلص من هذا الشعور ، وظننت أن شعورى بالضيق سيتلاشى إذا عدت للخدمة ، أى لوعظ الناس ومن خلال الأخ إيهاب كنت أتصل فى الشهور الأخيرة بالأببا "غ" صديقه ، وعرضت عليه مشكلتى والتى هى نفس مشكلته ، فقد كان بنفس الدير الذى غادرته وشعر بنفس الضغوط التى عانيتها فترك الدير والراهبة وعاد إلى بيته ولكن قداسة البابا أعاد إليه ثقته بنفسه ورسمه أسقفاً ، واتفقت معه أن أخدم عنده فرحب بذلك ووعدنى أن يأخذنى لقداسة البابا للمواقفة على ذلك ثم يعود بى إلى محافظته فأقيم عنده ولكن ماذا يحدث لو فشلت فى الخدمة؟! .

الهروب من المدير

أفقت من نكريتى والسائق يدخل بالتاكسى إلى القاهرة ، فقلت له: "أريد محطة السويس" ومن هناك أخذت سيارة أجرة إلى السويس وعندما وصلت اتصلت بـ "إيهاب" ولم أجده ، وما هي إلا بضع دقائق حتى حضرت إلى الدكتور "م" أخت إيهاب وزوجها الدكتور "ى" وقاما باصطحابى إلى شقتيها وأنا فى غاية السعادة ثم حضر إيهاب ومكثت عندهم أسبوعاً .

أرسل إلى الأبا "غ" قائلاً: "مامت قد نزلت عند الأخ إيهاب ولم تنزل عندى مباشرة ، فأنا لن أذهب معك إلى البابا" وتعجبت لموقفه هذا غاية للتعجب ، فهل هو خائف من الموقف كله ، أو منى شخصياً؟ ولماذا هذا التخاؤل؟ ومن هو الأخ إيهاب؟ أليس صديقة وقد عرفته من خلاله؟ .

وزارنى الأخ "مجدى" شقيق "إيهاب" الصغير ليتعرف على ، وقام بتشجيعى وقال لى: "سوف أذهب معك إلى الأسقف "س" وهو سيصحبك إلى قداسة البابا" وكان الأسقف نشيطاً وجريئاً . أخذنى الأسقف "س" إلى قداسة البابا وبعد أن قبلت يديه قال لى "كويس دا أنا النهاردة هتكلم عن ديركم واللى بيحصل فيه" وكانت المحاضرة لطلبة الإكليريكية بتاريخ ١٩٩١/٤/٣٠ بعنوان "مناقشة كتب أبونا متى المسكين" وتناول فيها البابا بعض الأخطاء - من وجهة نظره - والتي جاءت فى كتب الأب متى المسكين ، وهو الأب الروحى للدير الذى عشت فيه طيلة السنوات العشر الماضية ، وهو صاحب كل المهازل التى كتبت عنها ، والواقع أن الأخطاء التى تحدث عنها البابا لم تكن جوهرية ولم تمس العقيدة وإلا عزل أبونا متى المسكين وحرقت كتبه والتى لاتزال تملأ المكتبات وفى نظرى فأبونا متى المسكين سليم فكرياً وعقائدياً ويعتبر من أكبر اللاهوتيين فى عصور عديدة فأسلوبه قوى ومنطقى وفلسفى يمزج العقيدة بالفكر فى أسلوب رائع خلاب ويعتبر بمفرده مدرسة جديدة تتلمذ فيها كل رهبان ديرنا بما فيهم أنا ، كما تتميز كتاباته بخبرة روحية عميقة ، قل أن تجد لها مثيلاً عند أى زاهد أو راهب أو أى مفكر آخر ، ولكن مشكلته تكمن فى التمزق الفكرى ، فسلوكه يختلف تماماً عن أفكاره

الهروب من المديرة

وينطبق عليه قول السيد المسيح : "كل ما قالوه لكم افعلوه فافعلوه ولكن إلى أعمالهم لا تنظروا" فهو يوصى بالمحبة وتمتلىء أفعاله بالحق والقسوة والكراهية والكبرياء ويمتلكه حب الشهرة وجنون العظمة ، إننى مهما كتبت فلن أستطيع أن أخبر عن خبث وحقده ودهاء أبونا متى وهناك عشرات القصص التى تؤكد كلامى هذه .

تحدث البابا فى محاضراته أيضا عن ترك الراهبان للدير وأن لديه شخصا ما يزيد على سبعين راهبا منهم من رسمهم ككهنة .. ومن كلفهم بخدمات فى مصر وخارجها ثم تطرق الباب للحديث عن الأوضاع السيئة للراهبان ، وقال صراحة : "إن الدير له فرع خاص بمستشفى الأمراض النفسية بطوان" مما أثار حفيظة الشباب ، فوقف أحدهم وسأله بجرأة "ما دمت تعلم كل هذا وأنت المسئول عنه فلماذا تسكت؟ ولماذا لم تتخذ قرارا بعزل أبونا متى" ، وأجاب البابا " بأنه يميل فى تقويمه بالتعليم والإقناع وليس العنف والترهيب كما أنه عاهد الله يوم رسم كاهنا أنه سيعمل للخير وليس للانتقام أو الشر" .

وانتهت المحاضرة وصعد البابا إلى الدور العلوى ، وبعد قليل أرسل فى طلبى لمقابلاته بغرفته الخاصة ، وذهبت إليه ووجدته يشوشا ونبرات صوته تحمل إليك طيبة قلب منقطعة النظير.. كما أنه يستمع إليك باهتمام ويحدثك بأدب شديد وحدثنى عن أوضاع ديرنا السخيفة وعن بعض الراهبان هناك وما يفعلونه وهو على علم بكل ما يحدث فى ديرنا ، ثم حدثنى عن إرساله لأبونا متى ليأتى ويذهب هو شخصا لقيادة الدير ولكنه فوجئ باثنين من الراهبان يحضرانه إليه ومعهما قائمة بأسماء الراهبان وتوقيعاتهم.. التى يؤيدون فيها متى المسكين ويرفضون قيادة قداسة البابا لهم وهل يمكن أن أفرض نفسى عليهم ، وخفت أن يأتى قداسته بالقائمة لأن اسمى وتوقيعى فيها.

كنت قد اتصلت بوالدتى قبل مغادرتى لدير "الأنبا بيشوى" وحينما سمعت صوتها بكيت كطفل أبعنوه عن أمه ، وسمعت صوتها يسألنى: هل هكذا يبكى

الهروب من الدير

الجبار؟ قبل التحاقى بالرهينة كنت معروفًا بالطموح والجرأة والصلابة فلم أعرف للبكاء طوال حياتى ، والآن أبكى لسماع صوت أمى وأتمنى ان أرتدى بين ذراعيها وأضع راسى فوق صدرها لأنسى همومى كلها ، كنت أحتاج إلى الثقة والأمان فى ذراعيها.. وإلى الحنان والاطمئنان فى ضمة صدرها.. وتمنيت العودة إلى البيت.. أرى جيراتى من أحبهم ومن يكرهنى منهم ، وتداعب صور البنات اللاتى لعبت معهم فى طفولتى خيالى.. ولكم اشتاق إلى قبلة سرقتها من فتاة عرفتها فى مراهقتى ، لكم أود أن أعود طفلاً ، ولقد قتلت روحى وأزهقت نفسى بتطرفى فى التدين والتحاقى بالرهينة .

مازلت أنكر أنى ذات مرة أرسلت إلى أمى وأختى وزوجها ليحضروا إلى فى دير الأنبا بيشوى فى أمر هام ، وإذا بصراخ أمى وأختى يعلو حتى يصل إلى السماء ويأتى الرهبان ليروا المصيبة ، وأرسلت إلى أخى الكبير وهو يعمل فى إحدى الدول العربية برغبتي فى ترك الرهينة.. فجاء لزيارتي فى الدير وحاول معى كثيراً ليقتنعى بالعدول عن قرارى.. ولكننى كنت مصمما على النزول إلى العالم.. الجميع كان يرفض على أساس أننى سأخرج من طريق الحياة الأبدية.. وهل أصبح الدير هو السبيل الوحيد للدخول فى ملكوت الله؟ هل جاء ذلك فى الإنجيل؟! لا أدري لماذا ربط الجميع بين الدير والحياة الأبدية؟! حتى أن أمى قالت لى فى آخر زيارتها : "كنت أتمنى أسمع خبر موتك على أن تترك الرهينة"، إلى هذا الحد تمكنت منها تربيتها فى الكنيسة.. تضحى بابنها ولا تسمع بأنه ترك الرهينة ، ولكننى لا ألومك يا أمى.. فقد كنت مثلك فى يوم ما .

وإذا كانت أسرتى تفضل موتى على أن أترك الرهينة فما بال المجتمع المدنى ومن قبله المجتمع الكنسى .. ومازلت أذكر مقابلتى بشاب كنت أعرفه أيام الرهينة وكاد أن يغشى عليه عندما رأتى فى ملابس العلمانيين .

وأخيراً نفذت قرارى ووعدت أسقف الدير الطيب والذي صلى من أجلى ونزلت فى شقة استأجرها أربعة رهبان تركوا دير الأنبا "مقار" حديثاً ، وكان

الهروب من الحدير

معى ملابس علمانية - مدنية - اشتراها لى راهب صديق بدير الأتبا بيشوى وكان الرهبان الأربعة يخفنون عنى الأمر ، وحينما بدأت فى إزالة لحيتى تملكنى للخوف قليلا ولكن إصرارى على خلع هذه الحياة قوى من عزيمتى.. وقمت بارتداء قميص وبنطلون لأول مرة بعد حوالى أحد عشر عاما ونصف العام قضيتها فى زى الرهبنة ، وكان عمري حينذاك حوالى ستة وثلاثين عاما ، وأعطونى نقودا واشتروا لى ملابس أخرى .

واتصلت بأهلى قبل أن أزورهم لكى لا يفاجأوا بمنظرى الجديد ، ولم يقف معى إلا زوجة أخى الصغير والتي كانت لى دائما" افعل ما يحلو لك ، لماذا تنفن نفسك بالحياة فى معيشة لا ترضاها" وقد قابلتتى بحفاوة شديدة هى وأولادها الصغار والذين جعلونى أحس بأن شيئا لم يتغير ، مكثت فى المنزل شهرين تقريبا قمت خلالهما بعمل بطاقة شخصية جديدة وعمل جواز سفر واستخراج شهادة البكالوريوس من الكلية وتوثيقها وكان من الطبيعى أن أترك مصر كلها لأعيش فى مجتمع جديد لا يعرفنى فيه أحد أو أعرف فيه أحدا ، وطلبنى أخى الأكبر فسافرت إليه فى إحدى الدول العربية ، حيث يعمل ومكثت عنده فى منزله بالعاصمة وجاءت لى فرصة عمل بعقد حكومى حيث المرتب الكبير والإقامة والسكن ، فرصة لن تتكرر كما قال لى أخى الأكبر بالإضافة إلى إمكانية السفر خلال هذا العمل إلى إحدى الدول الأوروبية وهو حلم كبير بالنسبة لى والكثيرين ، ولكنى رفضت هذا العمل وفضلت أن أعمل مع أصغر إخوتى فى السوق هروبا من العمل فى وظيفة يتحكم فى من خلالها موظفون حسبت أنهم سوف يكونون للرهبان للجدد فى حياتى ، وحينما سألتنى أخى الأكبر ألا تريد للعمل والزواج ؟ ! ألا تريد السفر لإحدى الدول الأوروبية؟! أحبته لئنى أريد شيئا واحدا الا وهو الراحة النفسية وحينما أحصل عليها سأعرف ماذا أريد .

السلامة والكارينج!

15

العمامة والكاريكاتير

أعترف أنى فى كل مرة كنت أطلع واحدة من المعارك التى خاضها للشيخ الجليل محمد الغزالي كانت تجتاحنى موجة إشفاق على خصومه.. فالرجل كان حادا لدرجة الذهول.. قوى للحجة.. يضرب معارضيه فى مقتل.. ولا يتركهم إلا رمادا تذروه الرياح.. لكنى أشفتت على الشيخ الغزالي بقامته وعلو هامته.. عندما غرقت فى تفاصيل معركته مع صلاح جاهين.. فهذه المرة لم يبق جاهين ولم ينر.. حمل على الشيخ الغزالي ولم ينقذه من بين يديه إلا تدخل السلطة السياسية التى جمعتهم فى لقاء بمكتب هيكى فى الأهرام.. ليصفو بينهما الجو ويعود كل منهما إلى خندقه .

خمسة وثلاثون يوما.. من أيام ١٩٦٢.. قامت فيهما الدنيا ولم تقعد على صفحات جريدة الأهرام.. ولا يكتمل المشهد الا بتفاصيله وأيامه.. الأهرام فى ٢٨ مايو ١٩٦٢..

خير مطول عن أعمال المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية.. ختم بإشارة قصيرة إلى الكلمة التى ألقاها الشيخ محمد الغزالي حيث طالب فيها بتحرير القانون المصرى من التبعية الاجنبية.. ورأى أن ذلك يمكن أن يتم بالقضاء على طبقة الملابس وتوحيد الزي فى الأمة ، واشترط الغزالي فى للزى الجديد ألا يساعد النساء على تعرية صدورهن أو سيقانهن .

العمامة والمكاريكاتير

الأهرام فى ٢٩ مايو ١٩٦٢ ..

لم يعجب ما قاله الشيخ الغزالى صلاح جاهين فاستخدام كاريكاتيره للاعتراض والنقد والسخرية وعلى صفحات الأهرام كاريكاتير كان هذا شكله ومضمونه: العنوان "هاجم الشيخ الغزالى كل القوانين والأفكار الوافدة من الخارج" وتحت العنوان يقف الشيخ محمد الغزالى خطيباً فى مؤتمر القوى الوطنية وأمامه عدد كبير من المستمعين.. وأسفل الرسم تعليق ساخر يقوله للشيخ: يجب أن نلغى من بلادنا كل القوانين الواردة من الخارج كالقانون المدنى وقانون الجاذبية الأرضية .

الأهرام فى ٣٠ مايو ١٩٦٢ ..

لم يرق ما فعله صلاح جاهين للشيخ الغزالى وفى صباح اليوم الذى صدرت فيه جريدة الأهرام هاجم صلاح جاهين بشدة فى جلسات المؤتمر.. لكنه فى اليوم التالى رد عليه جاهين برسم أكثر سخونة.. تعدى سخريته من آراءه فى القوانين الواردة من الخارج إلى السخرية من آراءه فى المرأة.. وكان الرسم موجعا ومفزعاً.. كان عنوان الكاريكاتير هذه المرة "ملاحظة على اهتمام الشيخ الغزالى بمشاكل المرأة" وتحتة وقف الشيخ الغزالى يحمل لافتة مكتوباً عليها "فتش عن المرأة" وفى الوقت نفسه ينظر من ثقب الميثاق الذى رسمه جاهين كباب ضخم.. وكان التعليق موجزاً وساخرًا يقول: كل واحد وله طريقة فى النظر إلى النساء .

الأهرام صباح ٣١ مايو ١٩٦٢ ..

لم يستطع الشيخ الغزالى أن يخفى غضبه مما فعله صلاح جاهين ولاحظ الموجودون فى المؤتمر أن الشيخ يحمل مرارة من رسومات جاهين وتعليقاته.. لم يشر إلى الكاريكاتير المنشور فى الأهرام.. لكنه بدأ يتحدث فى كلمته عما قصده من كلامه فى اليومين السابقين.. فقد كان يعترض على أن تظل بلاد الشرق

العمامة والمكاريكاتير

الإسلامى محكمة بقانون وضعه الفرنسيون.. وأنه لم يهاجم قانون الجاذبية الأرضية لأن غمز ولمز بما فعله جاهين وقال بين ما قاله: أنا لم أهاجم القوانين العلمية كالجاذبية الأرضية لأن الإسلام ليس ضد العلم والتقدم ، ويبدو أن الشيخ الغزالي لم يطق صبيرا على مهاجمة جاهين كعادته فى جلسات المؤتمر.. فقال: إن ما فعله صلاح جاهين فى رسومه من مهاجمة العمامة البيضاء يستدعى أن يمشى العلماء عراة الرأس اذا لم تحم عماماتهم ، ثم إن كلامه عن توحيد الأزياء لم يكن يستوجب السخرية.. فهو أراد ذلك حتى يخفف عن الناس معاناة اختلافها.. ومن الانتقضاى على صلاح جاهين إلى الانتقضاى على جريدة الأهرام.. حيث قال الشيخ: ما يقال فى هذا المؤتمر الذى يعطى لكل فرد الحق أن يقول كلمته يجب الا يرد عليه بمواويل الأطفال فى صحف سيارة ينبغى أن تحترم نفسها .
الأهرام فى ١ يونيو ١٩٦٢ ..

أدخل الشيخ الغزالي الأهرام فى المعركة إنن.. وقد يكون قد اعتبرها مسئولة بشكل أو بآخر عما فعله به جاهين.. يقينا منه أن رئيس تحريرها هيكى لابد وأن يكون قد رأى ما رسمه جاهين ووافق عليه.. ولذلك كتبت الأهرام ودون توقيع أنها تقدر الدين وتحترمه وتخدمه.. لكنها فى الوقت نفسه ترفض ما فعله الشيخ الغزالي من هجوم عليها.. إنه حول الخلاف بينه وبين صلاح جاهين من خلاف فى الراى إلى قضية دينية.. وكان الغزالي قد أرسل إلى الأهرام ردا تضمن ما قاله فى المؤتمر فنشرته كاملا إيمانا منها بحرية الراى والاختلاف .

حنكة الأهرام لم تجعل الشيخ الغزالي ينفرد بالساحة.. ففى نفس العدد الذى نشرت فيه اعتراضه وردده على جاهين.. نشرت كاريكاتيرا جديدا لصلاح واصل خلاله الحملة على الشيخ الغزالي.. كان العنوان: ملاحظة عن إغفال الشيخ الغزالي لمشكلات المعيشة والمواضيع الحيوية.. وتحت العنوان مظاهرة

العمامة والكاريكاتير

لمجموعة المشردين يحملون لافتة مكتوبا عليها: أين الكساء يا مشرع الأزياء.. لماذا لا تتكلم إلا عن ملابس للنساء؟.. وفي الرسم يظهر الشيخ الغزالي وهو يعترض طريق مظاهرة الأطفال قتلا لهم: ما بتكلمش عنكم يا جهلاء لأنكم نكور.. وما ظهر من جسمكم ليم عورة .

المعركة ما زالت مستمرة ..

لم تهدأ نار هذا الرسم حتى قدم صلاح جاهين ستة رسوم مرة واحدة يلهب بها خلفه مع الشيخ الغزالي وضع لها عنوانا جامعا هو : "تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية" .

في هذه الرسوم أطلق جاهين على محمد الغزالي أبو زيد الغزالي سلامة .. أركبه فرسا بالمقلوب وأقحم جاهين عبقريته الزجلية قلم يجعل التعليق جملة واحدة ولكن قصيدة زجلية هائلة قال فيها: "هنا يقول أبو زيد الغزالي سلامة / وعينيه ونضارته يطقوا شرار / أنا هازم الستات ملبسهم الطرح / أنا هادم السينمات على الزوار أنا الشمس لو تطلع أقول إنها قمر / ولو حد عارض يبقى من الكفار / ويا داهية دقي لما قول ده فلان كفر / جزاؤه للوحيد الرجم بالأحجار / فأحسن قولوا أمين بعد كلمتي / لو قلت إن الجمبري ده خضار .

جعل جاهين الغزالي مكفرا وإرهابيا.. مخالفا بذلك الصورة التي ظل الشيخ الغزالي منذ ظهره وحتى وفاته يرسمها لنفسه.. وهي صورة الشيخ المتسامح الذي يصدر الإسلام للوسط للناس رحمة بهم.. لقد كانت لدى صلاح جاهين شفافية عالية.. ففي الوقت الذي كان يرى الجميع أن الغزالي شيخ رحيم رآه صلاح مكفرا كبيرا.. وهو ما تحقق بعد ذلك فبعد سنوات من موت صلاح جاهين وبعد اغتيال فرج فودة بارك محمد الغزالي مقتله وأفتى بأنه كان كافرا في شهادته أمام المحكمة.. وكان صلاح بشاعريته كان يقرأ كف الغيب .

العمامة والكاريكاتير

كان لابد للمعركة أن تشتعل فقد استغل محمد الغزالي بعد أن أنهت جلسات المؤتمر التي كان يعارض فيها صلاح جاهين.. وكان يخطب الجمعة في الجامع الأزهر بأن ندد في خطبته بما فعله صلاح جاهين معه.. ورفع رسوماته على المنبر منددا ومحرضا على الرسام الذي كان يقول كلمته ويمضى.. لم يكذب المصلون خيرا.. كانوا من مريدي الشيخ الغزالي.. خرجوا من الجامع الأزهر في اتجاه جريدة الأهرام.. هتفوا بحياة الشيخ.. وطالبوا برقبة صلاح جاهين.. ولم يكتفوا بذلك بل ألقوا بالحجارة على مبنى الأهرام العريق رافضين بذلك ما يقوله جاهين عن الشيخ الغزالي الذي لم يكن بعيدا عن المظاهرة الحاشدة.. فقد كان حاضرا فيها حيث حمله المصلون على أعناقهم .

لم تقف الأهرام مكتوفة الأيدي وللمرة الثانية تنشر رأيها.. وفي هذه المرة لم تقدم لكلمتها باحترام الدين وتقديسه.. ولكنها رفضت ما فعله الشيخ الغزالي واتهمته صراحة بأنه كان وراء تحريض المصلين للقيام بمظاهرة ضد الأهرام.. وللمرة الثانية انتقدت الأهرام تحويل الشيخ الغزالي المعركة من خلاف في الرأي إلى قضية دينية رغم أنه لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالدين .

ما كتبه الأهرام بتوقيعها لم يكن كافيا للرد على مظاهرة محبي الشيخ الغزالي فقد واصل صلاح جاهين رسوماته ضد الشيخ.. وفي رسم جديد وقف صلاح جاهين بنفسه هذه المرة أمام منصة القضاء ووقف الشيخ الغزالي خلفه يضربه بخنجر في ظهره وعلى نصله كلمة الإرهاب كان عنوان الرسم: "الغزالي يتهمني بالخروج عن الإسلام أما التعليق فكان: "العبد لله: ودلوقتي بعدما الغزالي أبدى رأيه بطريقته الخاصة.. نشرح له مرة أخرى أهداف الميثاق".

أقلقنا أصداء المعركة السلطة السياسية التي كان لابد لها أن تتدخل.. فتدخلت.. اتصل كمال الدين حسين الذي كان وقتها نائبا لرئيس الجمهورية بهيكل رئيس تحرير الأهرام لينهى هذه المعركة التي طالت أكثر من اللازم.. وفي مكتبه

العمامة والكاريكاتير

بجريدة الأهرام جلس الشيخ الغزالي وصلاح جاهين لتقف بينهما الحرب المعلنة..
فقد ظل كل منهما على رأيه.. فالخلاف لم يكن خلاف مصالح ولكنه كان خلاف
مبادئ الستم معي الآن أن إشفافى على الشيخ الغزالي كان فى محله؟ أعتقد أنكم
معي..

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

19

ضحية جمال عبد الناصر

أعطى صلاح جاهين كل عواطفه ومشاعره لجمال عبد الناصر على بياض ،
وضع أشعاره ومواهبه في خدمته ، ولم يتردد لحظة واحدة في الدفاع عنه .. بل
قام جاهين بدور جهاز دعائي كامل يحشد الجماهير خلف جمال عبد الناصر:
'تربوا من فكره وأحلامه / ياللى عليكم كل كلامه / فى الصورة طالبكم قدامه /
قيادات شعبية .. قلتم إيه / قلنا يا زعيمنا قلوبنا آهه - أيامنا آهه .. ليالينا آهه / فى
يوم الدم وهبنا للدم - هنبخل بالليالى ليه ، بل إن صلاح جاهين لم يكن يفوت أى
فرصة ليحشر اسم جمال عبد الناصر حشرا فى أشعاره وأغنياته: على رأس
بستان الاشتراكية / واقفين بنهندس على الميه / أمة أبطال علما وعمال / ومعانا
جمال / بنغنى غنوة فرايحية .

كان صلاح جاهين يفعل ذلك باقتناع كامل بالثورة التى جاءت لتحقيق له
أهدافه مرة واحدة وليس بالتقسيت ، رأى الإنجليز الذين انتهكوا مصر أكثر من
سبعين عاما يخرجون منها ، رأى نهضة شاملة وحلما قوميا يتجسد وزعميا شابا
كتب له الشعب تفويضا عاما وشاملا سيصل بهم إلى بر الأمان .. حيث الأمانى
المستحيلة تتحقق .. والأحلام البعيدة تصبح فى متناول الأيدي .. والبلاد تصبح ملكا
لأصحابها .. ابن موظف حكومى بسيط يقود أمتة إلى حيث تريد هى .. لا إلى حيث
يريده لها الآخرون .. وجد صلاح نفسه منساقا خلفه لا يناقش فقط بل يكتب أشعارا
تبشر بالعصر الجديد ورجاله .

لكن فجأة أنهار كل ذلك .. انكسر الزعيم أمامه ، فلم يهتف له مع الذين هتفوا
لا تنتحى .. ولكنه دخل عزلة اختيارية .. وسيطر عليه اكتئاب لم يستطع أن يقاومه

ضحية جمال عبد الناصر

فتوقف عن الكتابة ، لم يفصح عما بداخله .. قال فقط: إن الشعلة المتوهجة بداخله خبت لو انطفأت.. ولم يحمل جمال عبد الناصر مسئولية ذلك.. ولكنه أرجعها لرب العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون.. كان ذلك بعد أن نهارت الأحلام جملة واحدة بعد أن تحققت مرة واحدة.. وكما مات جمال عبد الناصر في ٥ يونيو ١٩٦٧ وانتهت أسطوريته.. مات صلاح جاهين في نفس اليوم وتبخرت حماسته ورغم أن كلا منهما مات في تاريخ لاحق.. عبد الناصر مات من الإجهاد في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وصلاح مات في ٢٦ أبريل ١٩٨٦ والمفاجأة أنه كما اعتزل كمدا مات كمدا كانت أخر نكته رسمها بريشته على الصفحة التاسعة من جريدة الأهرام عبارة عن كاريكاتير فيه شخص يرتدى ملابس مهلهلة ومحرقة مكتوبا عليها "الشعب الليبي" وكتب صلاح : الشخص ده كان قاعدا أصلا تحت شجرة ونزلت عليه صواريخ وقنابل فحمت الشجرة تماما وطيارة أمريكية تبتعد في الأفق مكتوبا عليها "طيران أمريكا" والشخص المتفحم يقول قذافي ؟ قذافي مين؟ أنا أسمى الشعب الليبي ، فرغم أن عبد الناصر وأمريكا لم يتفقا على شيء ، لكنهما اتفقا في النهاية على قتل صلاح جاهين لكتابا .. بل إن البعض لم يتجاوز عندما أكد أن صلاح مات منتحرا لأنه لم يتحمل ما يحدث حوله لبنى وطنه.. والمعلومة على مسئولية نجيب محفوظ التي قالها عرضا لرجاء النقاش في حوار طويل معه ضمه كتاب عن حياة محفوظ .

في صالون بيت صلاح جاهين كانت توجد صورتان الأولى لزوجته منى قطان رسمها بنفسه والثانية لجمال عبد الناصر وإلى جوارهما لوحة كتب عليها شعار : أكبر قدر من البراءة أكبر قدر من المصرية ، أكبر قدر من البساطة.. ظل هذا الشعار يلزم صلاح جاهين حتى مات وأغلب الظن أن إيمانه بهذا الشعار هو الذي قصف عمره.. فقد كان رومانسيا في زمن ليس كذلك.. آمن بعبد الناصر إيمانا رومانسيا.. لم يتخيله يوما حاكما يملك في يده سلطة يستطيع من خلالها أن

ضحية جمال عبد الناصر

يعتقل ويعذب معارضيه.. لم يتعامل معه كرئيس دولة يمكن أن يهزم في حرب لأنه أهمل وأدار البلد بمنطق العزبة الخاصة يقرب فيها منه من يشاء.. وينفى من أرضها من يريد.. لكنه نظر إليه كمخلص جاء ليرفع الذين ظلموا من مستنقع ظلمهم.. وعندما اكتشف الوجه الآخر من عبد الناصر لم يتحمل.. فانسحب .

لم يندم صلاح جاهين على أعماله الثورية.. فقد كان يكتبها لمصر ، لكنه ندم بشدة على أعماله الدعائية التي صدر بها عبد الناصر للشعب المصري كقائد لا يقهر مع أن الحقيقة لم تكن كذلك ، ولذلك ظل ينقد نفسه على أغاني الاحتفالات بأعياد الثورة ، وهي الأغاني التي عمل فيها البحر طحينه للناس ، وساهم بها في خداع وجدان جيل كامل أن يعتقد أن الثورة ملكه وحده ، ولكنه استقيظ على وهم قاتل ، لقد صور صلاح جاهين المستقبل بشكل براق إلى الدرجة التي جعلت الناس تعتقد بأن ما يقوله واقع وحقيقى بينما كان الواقع يقول عكس ذلك تماما.. اعترف صلاح جاهين أن أغنياته الاحتفالية كانت سببا في أن يصدم الناس من النكسة.. وكان هو في مقدمة من صدموا.. لأنه كان أكثر المؤمنين بما يقول .

اكتتاب صلاح جاهين وصدمة العنيفة وورطته الكبيرة التي أدخله فيها عبد الناصر لم تجعله ينقلب عليه ، فهو لم يكن كذاب زفه.. لم يشترك في الحملة المنظمة التي خرجت مع قدوم السادات لتشويه كل ما فعله عبد الناصر.. لكنه انتقم من عبد الناصر على طريقته الخاصة.. يل إن هناك من يعتقد أن صلاح كتب الرباعيات انتقاما من عبد الناصر.. ففضح غروره وتكبره وكبرياءه: يا طير يا عالى فى السما طز فيك / وولدى إليك بدل البالون ميت لون / أنفخ وطرقع على كل لون / عساك تشوف بعينك مصير الرجال / المنفوخين فى السترة والبنطلون .

ظل صلاح جاهين يداوى جراحه .. ويمارس أحزانه على طريقته الخاصة ويستمتع باكتتابه على طريقته الخاصة أيضا ، فبعد النكسة مباشرة كان يجوب القاهرة شرقا وغربا ويختلط بجميع الناس من العامل البسيط إلى الوزير ، لكنه لم

ضحية جمال عبد الناصر

يتفاعل مع ذلك.. فأصبح لا يخرج من منزله إطلاقاً لا نهراً ولا ليلاً ، كان يقضى الليل كله فى القراءة أو الكتابة أو المناقشة مع شخص واحد أو شخصين لأنه لم يكن يحتمل الجلوس فى مكان مزدحم وسبب ذلك هو لزيادة مرض الاكتئاب النفسى عنده ، وهو المرض الذى أدى به إلى الاتسحاب كلية من المجتمع .

لقد عاب البعض على صلاح جاهين أنه كتب حوار فيلم "خلى بالك من زوزو" وكتب أغنى من عينة "يا ولا يا ثقيل" و "يمبى" واعتبروا أن الناثر أصبح هلاساً.. ونعوا فيه المقاتل الذى كان لكن صلاح لم يكن هلاساً.. كان فقط يباشر مسئولياته كأب لديه أولاد ويجب أن يوفر لهم ما يحفظ حياتهم من الضياع، تراكت عليه الضرائب لدرجة جعلته يبيع كثيراً مما يملكه ليمدد ما عليه حتى جاءه فيلم "خلى بالك من زوزو" فأنقذه من الإفلاس ومنبحة الضرائب لم يهتم كثيراً بما سيقال عنه.. فهو لم يستفيد كثيراً عندما قالوا له ناثر ومقاتل ومناضل .

المفاجأة الأكثر غرابة فى تاريخ صلاح جاهين أنه وقبل أن يموت كتب لجمال عبد الناصر فى قصيدة له ليست منتشرة: إلى جمال عبد الناصر فى قلب.. قلب.. قلب مصر / نؤيدك فى نكري لحظة مولدك / يا أيها المصرى العظيم ونوعدك / مهما لختفيت هتوجدك / ومهما مت / مصر ترجع مرة ثانية تولدك .

يعتبر البعض أن هذا اعتذار لعبد الناصر من صلاح جاهين.. لكننى اعتبره اعتذاراً لمصر التى اعتقد البعض أنها عفت بعد أن مات عبد الناصر.. لكن صلاح له رأى آخر.. فمصر التى أنجبت عبد الناصر قادرة على أن تتجب غيره.. وأعتقد أن صلاح كان يتمنى أن يرزق الله مصر بقائد.. مثل عبد الناصر فى زعامته.. وليس فى أخطائه .



17



Ḥaḥiqāll

الفيومي

عرفت صلاح حافظ من نكرياته التي نشرها رشاد كامل في كتاب بديع لم يهتم كثيرا بأن يسجل تاريخ نشره لكنه اجتهد في وضع عنوان مناسب له هو "الصحافة.. السلطان إلى الغضب.. نكريات صلاح حافظ" على مدار ٢٠ ساعة كاملة جلس إلى صلاح عام ١٩٨٤ لسمع منه.. حصل منه على كل ما أراده.. قدمه لقراء مجلة "صباح الخير" دون فذلكة في خمس حوارات أثارت الغبار والأفكار.. وتوالت عليها الردود.. وتم ذلك كله برعاية لويس جريس رئيس تحرير "صباح الخير" وقتها.. وبعد أن مضت السنين رأى رشاد أن يدفع بالحلقات إلى المطبعة.. ليخرجها لنا في النهاية كتابا مهما للغاية.. لأنه يمثل جزءا من تاريخنا الذي اعتقدنا أنه مضي.. ورغم حضوره الطاغى في أيامنا التي نعيشها.. يورق منامنا ويقلق صحونا.. دون أن ندري كيف نولججه .

اعتقدت أنني عرفت صلاح حافظ وقتها.. لكنني بعد أن استمعت لمن عرفوه عن قرب أدركت أنني لم أر منه سوى قمة جبل الجليد.. تحدث صلاح حافظ في مذكراته عن الصحافة والحاكم.. عن المعارك التي خاضها.. والصحف التي أسسها.. والصحفيين الذين عمل معهم.. لكنه نسي نفسه.. وحتى عندما سجل رشاد معه بعضا من سطور حياته طلب منه ألا ينشرها في حلقاته الصحفية.. إذ ما الذي يهم الناس في طفولته وشبابه وبدلياته الأولى ، لم يكن صلاح حافظ موقفا في منطقته.. لكنه أصر عليه.. فلم يفصح إلا عما أراده فقط.. ورغم قلته لكنه يمكن أن

الفيوم

يعيننا على فهم هذا الرجل المعجز.. الذى برع فى كل شيء.. ولم يهتم كثيرا بأن يخلف وراءه ما يخلده.. فقد عاش الحياة كما أراد وهذا يكفيه !

تفاصيل حياة صلاح حافظ من عند رشاد كامل.. لكن كيف عاش هذه الحياة فمن عندى أنا.. جاء صلاح حافظ من الفيوم ليدخل كلية الطب.. كان ذلك فى منتصف الأربعينيات.. دخل الكلية بالفعل لكنه لم يصبح طبيبا لا شهيرا ولا مغمورا.. ولكنه دخل عالم الصحافة والكتابة والأدب.. عندما كان يدرس فى المرحلة الابتدائية حاول أن يكتب الشعر.. وعندما انتقل إلى الثانوية العامة كتب القصة وكان فى ذلك متأثرا بكتابات المنفلوطى وطه حسين وتوفيق الحكيم.. فى هذه الفترة كان صلاح حافظ قارئنا محترفا.. يقرأ المجلات بكثافة شديدة.. ولم يترك حتى "البعكوكة".. بل إنه حاول أن يقلد الأزجال التى كانت تنشر فيها !

بهذه الخلفية الثقافية جاء صلاح حافظ إلى القاهرة طالبا فى كلية الطب.. لم يكن للطب على هواه.. كل ما حدث أن والده قال له : "أنت تنفع تكون طبيب" .. لم يشعر بتناقض شديد بين ما كان يحبه ويدرسه.. فرغم اهتمامه بالأدب فإنه كان يحب الكيمياء والطبيعية ويتفوق فيهما.. بل إنه جرب أن يكون مخترعا.. وذات مرة اخترع جرسا كهربائيا يذق فور دخول لص إلى البيت ، سبب آخر جعل صلاح يقبل على دراسة الطب دون غيره.. فقد كانت مهنة الطب لا تزال مهنة موقرة جدا.. كما كان عدد الأطباء قليلا للغاية .

لم تنزع دراسة الطب صلاح حافظ من اهتماماته الأدبية وكتابة القصص القصيرة التى أيقن أنه يجيدها بعد أن فاز بأول جائزة من وزارة المعارف العمومية عن جائزتين مرة واحدة.. ومن وزارة المعارف إلى جريدة "الكتلة" التى كان يصدرها مكرم عبيد بعد أن أنشق على حزب الوفد وألف كتابه الأسود ضد مصطفى النحاس باشا.. نشر له حلمى مراد رئيس تحرير الكتلة قصتين واعطاه ثمانية جنيهات مرة واحدة.. ولحظتها أترك صلاح حافظ أن الكتابة ليست هواية

الفيلم

فقط.. ولكنها يمكن أن تصبح مهنة.. وبصبح ما يكتبه له قيمة ويستحق النشر ويتقاضى عليه نقودا .

قبل أن يلتقط صلاح حافظ أنفاسه في "الكتلة" وبعد أن بدأ يستعد للصعود قرر حلمي مراد أن يترك جريدة "الكتلة" كان ذلك عام ١٩٤٨.. ومن حظ صلاح أن أصدر مليونير وفدى يملك مصانع عديدة للتج صحيفه اسمها "الجريدة المسائية".. كان رئيس تحريرها كامل الشناوى ، حمل إليه صلاح قصصه ذات يوم.. أخذها منه وطلب منه أن يراه بعد أسبوع.. سافر صلاح إلى الفيوم وعاد بعد سبعة أيام ليعرف أن كامل الشناوى بحث عنه في كل مكان.. وعندما رآه قال له: سوف ننشر لك قصة في العدد القادم.. وطلب منه كامل أن يذهب إلى الخزانة ليصرف عشرة جنيهات مقابلاً لقصته ، ومن الجريدة المسائية إلى دار النداء التي أسسها يس سراج الدين لينافس بها أخبار اليوم ، كانت دار النداء تصدر صحفيتين هما النداء وصوت الأمة.. اختار صلاح "صوت الأمة" وتعلم فيها كل ما يتعلق بفن الطباعة والإخراج الصحفى من خلال علاقته بعمال المطبعة.. وفجأة قال له يس سراج الدين " أنت يا صلاح قصاص وأنا عاوز أصدر مجلة قصة.. وبالفعل صدرت مجلة "القصة" يرأس تحريرها الشاعر إبراهيم ناجى ويعمل صلاح حافظ سكرتيراً لها..

ومن القصة أخذ مأمون الشناوى صلاح ليعمل معه فى مجلتى "الستار" و "وراء الستار" التي كان يصدرهما مع إبراهيم الوردانى.. ويملكهما شفيق مرشاق و (هو رجل سورى كان يعمل فى إدارة دار الهلال وفجأة حدث له شيء أشبه بما يحدث فى أفلام السينما) فقد مات له عم كان يعيش فى البرازيل فورث أموالاً طائلة.. كانت المجلة تخسر باستمرار.. لكن صلاح خرج منها بقضية حكم عليه فيها بغرامة هائلة وقتها وصلت إلى ٢٠٠ جنيه .

الغيوم

كان صلاح قد أنشأ في المجلة بابا عن الجامعة وضع له شعارا "اطلبوا العلم ولو في مصر" وتعرض فيه لبعض الأوضاع الخاطئة في الجامعة.. رفع عميد كلية دار العلوم وعميد كلية الزراعة قضية على المجلة.. وجد صلاح حافظ نفسه وحيدا فيها.. صاحبها قال : لنا ماليش دعوة ، والوردانى قال: معرفش حاجة.. ودفع صلاح حافظ الغرامة وحده بعد أن غضب بشدة من كامل الشناوى.. حيث كتب يدعو القراء للمساهمة فى مبلغ الغرامة !

وجد صلاح نفسه بعد ذلك فى جريدة "الملايين" أصدرها رجل ثرى كان يحلم بمنافسة أخبار اليوم.. جعلها صلاح وكان معه زهدى الرسام ومأمون الشناوى منبرا لليسار للدرجة التى جعلت صاحب المجلة يسخر منهم قائلا : مفيش جوابات وصلت لكم من موسكو؟.. وفى صخب للعمل فى الملايين وجد صلاح مأمون الشناوى أمامه يقول له : إحسان عبد القدوس يريد مقابلتك ، إنها روز اليوسف ابن.. المجلة التى خرجت للنور فى نفس العام الذى ولد فيه صلاح ١٩٢٥ ، قابل صلاح إحسان ووالدته السيدة فاطمة لليوسف وتم تعيينه سكرتيرا للتحريير بها.. فى مرحلة روزا كان صلاح قد نضج تماما ، بعد روزا طلبه مصطفى وعلى أمين للعمل معهما فى جريدة الأخبار التى صدرت عام ١٩٥١.. لم تمنع فاطمة لليوسف فى انتقال صلاح إلى الأخبار ، خاصة أن مصطفى وعلى كانا من أبنائها أيضا.. حصل صلاح من الأخبار على راتب وصل إلى ستين جنيها.. وكان فى الوقت نفسه يعمل فى روزا..

ولا ينكر صلاح أن الأخبار كانت نقلة فى حياته.. فقد نقل الإخوان أمين الصحيفة من المقال إلى الخبر والخدمات الصحفية وصارت الصحافة على أيديهما هى صحافة الخبر ، ورغم أن صلاح كان يختلف فكريا وسياسيا مع مصطفى أمين.. فإنه كان معجبا بأسلوبه للدرجة التى كان يستخدمه فى كتاباته فى

الفيوم

روزا لليوسف ، فى عام ١٩٥٣ ترك صلاح الأخبار ودخل المعتقل قضى به ثمانى سنوات بعد فترة من العمل السرى والأختفاء .

بعد أن خرج من السجن لم يترك صلاح صحيفة فى مصر إلا وكتب فيها حتى انتهى به المطاف مرة أخرى إلى روزا اليوسف.. ظل يعمل بها حتى أصبح رئيسا لتحريرها مع فتحى غانم.. كان صلاح هو المحرك الأساسى للمجلة.. يكتب وجهة نظرها السياسية.. ويوزع أفكارها على المحررين ويعيد صياغة معظم موضوعاتها ويضع عناوينها الداخلية وعناوين الغلاف.. وظل كذلك حتى أحاط بالمجلة زلزال ١٨،١٩ يناير ١٩٧٧.. أصبحت روزا لليوسف أن ما حدث انتفاضة شعبية وليست انتفاضة حرامية كما أراد السادات.. قال السادات وقتها لعبد الرحمن الشروقوى رئيس مجلس إدارة المؤسسة: "الشيوعيون ضحكوا عليك يا عبد الرحمن.. صلاح حافظ ضحك عليك".

خرج صلاح حافظ من رئاسة التحرير ليصبح كاتباً متفرغاً ليس فى روزا فقط.. ولكن فى العديد من الصحف التى كان يعمل فيها مهما اختلفت مع أفكاره.. مرتان فقط رفض صلاح العمل فى صحف.. رفض رئاسة تحرير الأهالى رغم أنه هو الذى أختار اسمها وشارك "أبو العنين" فى وضع تبويبها.. وكان سبب الرفض أن صلاح وقتها كان مشغولاً جداً من ناحية.. ومن ناحية أخرى أن ظروف نشأة حزب التجمع والخلافات التى حدثت أثناء تشكيل قيادته كانت من الأسباب التى جعلته لا يقبل هذه المسئولية.. فقد دخلت فى تشكيلات الحزب خلافاً بين تيارات وطنية كثيرة جعلت المسألة بالنسبة له فيها غموض كبير ، وكان صلاح لا يحب الغموض ولا يرتاح لألعاب الكواليس.. فقد بنى تصورَه على أن المطلوب هو إنشاء صحيفة ناجحة تخدم هدفاً متفقاً عليه دون أن تغرق فى الدهاليز والكواليس.

الفيوم

رفض صلاح كذلك أن يرأس تحرير الوفد ، طرح مصطفى أمين اسمه على قيادة الوفد لرئاسة التحرير لكن صلاح قال له: إن الحزب بالنسبة له مجهول للهوية ولم يقل شيئا بعد وعندما أقبل رئاسة تحرير جريدة حزبية فهذا معناه أنني أعبر عن سياسة هذا الحزب.. فكيف يمكن ذلك وأنا لا أعرف سياسة هذا الحزب.. فكيف أقبل أو أرفض هذا المنصب!؟

عاش صلاح حافظ حياته التي امتدت حتى عام ١٩٩٢ بطريقته الخاصة.. دخل عشرات الصحف وهو صلاح حافظ وخرج منها وهو صلاح حافظ.. لم يتغير.. واعتقد أن من أسباب ذلك أنه كان فيومي التكوين.. ابن من أبناء محافظة هادئة للغاية.. ليس لها ما يميزها سوى طيبة أبنائها فهم ليسوا متعجلين.. يفعلون كل شيء بمزاج خاص ، لم يكن صلاح حافظ مهتما بأن يجمع المال.. كان يستمتع بحياته بالشكل الذي يريده.. ينعم بكسله الإبداعي.. ولا ينتظر من الأجيال الجديدة التي ستأتي بعده أن تشهد له أو عليه.. فقد قال كلمته وانتهى الأمر.. وأدى كل ما عليه دون أن ينتظر كلمة شكر من أحد.. وهذا هو بالضبط صلاح حافظ !



എമ്മിംഗ് റിഗ്

18



الولاء والمريد

فى أوراق عادل حمودة الخاصة توجد هذه الرسالة بخط صلاح حافظ "الأخوة الأعداء كهبة وحمودة" .. لا أزال نائما منذ يوم الجمعة الدامى ، قاتلتما الله ، صحيح لنى جلست إلى المكتب ليلة أمس وكتبت المطلوب "الشرقية" ولكن المؤكد أنها كانت بقظة عابرة ، وأنى لا أزال فى حاجة إلى أيام أخرى قبل أن تزول آثار العدوان ، وقد أرفقت بهذه السطور للملاحظات اللازمة لإعداد الموضوعات التى كتبتها نظرا لانشغالى بالمثل تحت اللحاف ، وإلى أن أستيقظ رسميا فإبنى أخطر كما من الاقتراب من محافظة الجيزة كلها ووظف فى لحمه الرأس وغذاء ملكات اللحم ، وسأعمل بإذن الله على فتح ملف لكل منكما فى أرشيف الأمن ، بحيث يعرف الجميع أن هبة مسجل "سمر" وحمودة مسجل "سهر" حتى لا تسترجعا ضحايا آخرين ، كما سأرفع قضية تعويض منى وصحى ، وأقدم للمحكمة وثيقة "البيورتم" التى تثبت بشهادة الكمبيوتر الذى عندى أننى منذ يوم الجمعة الدامى فى حالة : P=E=I=O .. بس لما أصحى .. الكاتب (سابقا) والنائم حاليا"

كانت تفاصيل هذه الرسالة التى كتبها صلاح حافظ تعليقا على سهرة جمعته بهبة عنایت وعادل حمودة ، تحدثت مع عادل حمودة عن الرجل الذى يعتبره واحدا من أساتذته الذين يمتن لهم .. ويعترف له بالفضل .. كتب له إهداء لأحد كتبه قائلا : إلى صلاح حافظ الذى تعلمت منه مليون حرف ولم أصبح له عبدا .. بل أصبحت صديقا .. كان صلاح بالفعل صديقا لتلاميذه .. وأستاذية صلاح كما

الولى والمريد

يراهما عادل حمودة : ليس معناها أنى تعلمت منه طريقة للكتابة.. ولكنى تعلمت الإحساس والأخلاق الصحفية.. وهى مهارات تمكّنك من إتقان أخلاق التصرف عند الضرورة وحسم الرأى فى المواقف الحرجة.. ومن حماية محرريك إذا تعرضوا لأزمة.. من استعدادك لتحمل مسئولية أرائك ومواقفك.. ولا يحسم ذلك ثقافتك المهنية.. بل ثقافتك الشخصية.. قراءتك للتاريخ ومعرفتك بالمصائر.. وتصورك للنهائيات.

قلت لعادل حمودة : كيف تعرفت على صلاح حافظ؟..

فإنهالت الذكريات ، قال: لقد دخلت مبنى روزاليوسف ولم يكن فى نيّتى أن أعمل صحفياً.. كنت فى الجامعة وقتها وأنتمى إلى جيل لدية الطموح السياسى وارد.. كنت أحلم أن أكون وزير خارجية مثلاً.. فى طريقى من العباسية حتى أسكن إلى الجامعة كنت أمر على روزا.. وفى يوم توقفت "الترولى باص" أمام روزا بالضبط.. حملت معى قصصى التى كنت كتبّها فى كشكول رومنى ودخلت الدار.. قابلت محمد أبو طالب.. قلت له : عاوز أشوف أى حد من روزا.. فاتصل ثم قال لى أستاذ صلاح حافظ ينتظرك.. لم أكن أعرفه وقتها.. قابلنى وأخذ منى القصص وقال لى أترك لى تليفونك وسوف أتصل بك ، اعتبرت أن الموضوع منته.. وكنت وقتها محملاً بمشاعرى ، خاصة أن مصر كانت خارجة للتو من أنكسار يونيو وكنت قررت ألا أعمل مع هذه الحكومة.. لكنى وجدت صلاح حافظ يكلمنى.. ذهبت لأقبله مرة ثانية فلخص لى الموقف فى جملة واحدة : نحن لا نريد أدباء ولكن نريد صحفيين.

وبدأت العمل معه ؟

بدأت ولم تمر سوى فترة قصيرة حتى افتتعت بفكرة :الولى والمريد" أو "الأستاذ والطالب" أو للصحفى تحت التميرين ورئيس التحرير الشاطر"أمنت بصلاح حافظ فأدركت أن الإيمان بمن تعمل معه يعطيك ثقة كاملة فيه ، أول

الولاء والمريء

موضوع اقترحتة عليه كان عن "النكته السياسية" التي كانت قد انتشرت بعد النكسة فقال لا.. اول ما شطح نطح.. فعرضت عليه عرض كتاب ألفه ريتشارد هلمز الذي كان رئيسا لـ CIA عن المخابرات والطلبة ، وفي النهاية استقر الأمر بي لأن عملت معه في إعادة صياغة موضوعات المجلة .

وكيف سار العمل بينكما ؟

المفاجأة أنني لم استمر معه في روزا.. تركتها لأعمل في مجلة "الشباب العربي" التي كانت تصدرها منظمة الشباب وكان معي وقتها عدد من الصحفيين منهم أسامة الغزالي حرب وعبد القادر شهيب وأمل الشاذلي.. وجاءت لحظة كانت حاسمة.. دخلت المجلة مع صلاح حافظ في معركة ، كتب عنها "مجلة عجوزة جدا" ردينا عليه بطريقة الكشافة.. اتريقتا على مدرسته.. فكتب مرة ثانية "مجلة عجوزة وعصبية أيضا" والعجيب أنه كان يرد علينا بعقريه وذكاء وفنية.. تعلمت من رده ، لأنه كان الأنكى والأقدر على تحويل قضية صغيرة إلى قضية كبيرة !

وسر ذلك لديه ؟

سر ذلك أنه كان طوال عمره ينتصر للقاعدة الصحفية.. كان شيوعيا.. دخل السجن أكثر من مرة لكنه لم يتصرف مطلقا بالمنطق الأيديولوجي ، الشرط المهني عنده كان أهم.. قرر منذ البداية أن يحترم القاعدة للمهنية الأشمل.. هو أديب نعم ، لكنه صحفي أولا.. لم يغلب السياسة على الصحافة ، فأنت صحفي لا بد أن تحصل على خبر.. تكتبه بطريقة كويسة يبقى كتر خيرك في البداية .

صلاح فعل ذلك رغم أنه عمل في روزا وهي مدرسة رأى وليست مدرسة خبر.. فهل كان في تجربته الصحفية بعض التناقض ؟

ليس تناقضا.. فصلاح كان طرفا في مدرسة صحفية جديدة ، جمعت بين مدرسة الراى من روزا اليوسف ومدرسة أخبار اليوم في الخبر.. جمع بين فكرة

الولاء والعريف

الصحافة المثقفة وللصحافة الجذابة.. فالموضوع كان يخرج من يده جادا وجيدا وعنيفا لكنه فى النهاية جذاب أيضا.. لقد نجح صلاح وربما يكون وحده الذى فعل ذلك فى إجراء عملية تخصيص هائلة بين صحافة الرأى وصحافة الخبر.. ومتى عدت معه إلى العمل مرة ثانية ؟

عدت إلى روزا عام ١٩٧١ لأعمل مع عبد الرحمن الشرقاوى.. وبعد ثلاث سنوات تولى صلاح رئاسة التحرير مع فتحى غانم وأصبحت أنا سكرتير تحرير المجلة.. وبدأت تجربة روزا ترتفع.. وهى طوال عمرها ترمومتر للحرية السياسية فى مصر.. وإن كان النظام السياسى لا يحتمل جرأتها واقتحامها طويلا وفى عام ١٩٧٧ وبعد أحداث يناير أراد صلاح أن يخرج السادات من لزمته وفى نفس الوقت يتعايش ، ففصل بين النظام والحكومة وكان العنوان : "الحكومة أشعلت الحرائق والسادات لطفأها".. حاول أن يجنب السادات مسئولية ما حدث.. لكن الأحداث كانت أكبر من طاقة السادات على الاحتمال فرفض ما قدمه صلاح !

علمنى هذا الموقف كيف يكون الصحفى رجلا فى وقت الأزمة.. أن يقول الحق مهما كان الثمن الذى تدفعه وإلا إذا لم تفعل ذلك فستتهار داخل نفسك.. لقد قال صلاح : إنها انتفاضة شعبية وأصر على ذلك.. كان هذا هو الاختيار الطبيعى والصحيح.. وحتى بعد سنوات من خروجه من روزا قابله السادات وسأله هل كانت انتفاضة حرامية أم انتفاضة شعبية ؟ .. فقال له : شعبية ياريس.. كان يمكن أن يعود صلاح حافظ إلى روزا بكلمة واحدة يقولها.. لكنه صمت.. كان السادات يحترمه ويقدره ولا يشكك فى وطنيته ، لكنه لم يكن يطيق قلمه.. لأنه اختار الاختيار الصائب.. وكان هذا درسا عمليا لى ، فحتى فى قرارات النشر العادية لابد أن أختار ما يريد الناس.. فالتجربة أثبتت أنه فى النهاية هو الصحيح .

كان صلاح حافظ على قدر تجربة روزا اليوسف إذن ؟

الولد والسريف

بالطبع.. فصلاح لم يكن يقبل المواقف الوسط وكذلك روزا لا تقبل فكرة الوسطية.. وهكذا صحف الراى.. ولذلك فـ روزا إما أن تكون فى القمة أو فى القاع.. لا تجدها فى الوسط مطلقا.. وفى تاريخها علامات صعود واضحة كان منها فترات فاطمة اليوسف ومحمد التابعى وإحسان وصلاح حافظ وبعد كل منهم كانت تهبط روزا هبوطا ضخما.. فبعد صلاح حافظ جاء مرسى الشافعى وتولى كل أمور روزا وكان قمة النجاح الذى وصل إليه بالنسبة للسلطة عندما قل له السادات : "برافو يا مرسى أنا ما بقتش اقرأ روزا لليوسف.. فلم يكن فيها شيء يستحق القراءة .

أعتقد أن صلاح حافظ كان يستفيد فى الفترات التى أبعد فيها عن الصحافة.. ألسنت معى فى ذلك ؟

كان صلاح يعطى نفسه كلية للصحافة.. فلم تكن تمكنه من أى إبداع آخر وهو مشغول بها.. لكنه وهو بعيد عنها كان يبدع على طريقته الخاصة.. كان عنده بيت فى الهرم وقرر مرة أن يزرع خيارا أهتم به جدا وكان ينفق عليه.. لدرجة أن الكيلو الذى كان ينتجه كان يكلفه جنيتها كاملا بينما سعره فى السوق لم يكن يتجاوز خمسة قروش فقط.. فى فترات ابتعاده عن الصحافة كتب فيلم "المتربون" الذى أخرجه توفيق صالح وكتب "القطار" وأنبع كمسلسل إذاعى وهو عبارة عن رحلة مساجين فى طريق ترحيلهم من القاهرة للمعتقل.. كتب مجموعتى "الولد الذى جعلنا لا ننفخ" و "شجرة عم ظالم".. كل ذلك كان فى أوقات فراغة.. ولو كان صلاح حيا الآن أعتقد أنه لم يكن سيندم على الفترات التى أبعدوه فيها عن الصحافة.. لأنه أنتج فيها ما يفيد.. كتب مثلا حوار فليم "الأيدى الناعمة" وهو حوار رائع وراق، شارك فى حوار "الخييط الرفيع" دون أن يضع اسمه على الفليم.. وكان من عادته أن يعمل بمزاج من أجل الآخرين حتى لو لم يأخذ حقه كاملا عن هذا العمل .

الولاء والمريء

كان صلاح يخلص لموهبته أكثر من إخلاصه لنفسه إذن ؟
يمكن أن تقول ذلك.. وفي اعتقادي أنه كان وبلا مبالغة أضخم موهبة عرفتھا
الصحافة المصرية على الإطلاق.. صلاح قطعة الماظ مدفونة لا يعرف أحد
قيمتها.. عمل تغييرا حقيقيا في كتابة للقصة القصيرة ، مهد به لظهور يوسف
إبريس ، وكتب سيناريو وحوار "زينب والعرش" ومهد به لظهور أسامة أتور
عكاشة في عالم الكتابة التليفزيونية.. أحيا آخر ساعة ليمهد بذلك لفكرة إحياء
الصحف الميته ، ومع ذلك تسمع عنى في هذه المساحة ولا تسمع عنه.. ترجم
شارلى شابلن ، فمهد لترجمات راقية أخرى.. كتب المقالة السياسية المتماسكة..
فلمعت أسماء كثيرة في كتابتها ونساء الناس ، كانت لدى صلاح ثروة ضخمة من
الموهبة.. لكنه لم يكن يهتم بتأكيدها أو تميمتها.. حتى على المستوى للشخصى..
كان صلاح موهوبا.. لكن موهبته ظلمت حيا وميتا .

اعتقدت للحظة أن كسل صلاح الإبداعي قد يكون وراءه عدم استقرار عائلى..
فطرحت الفكرة على الفور ؟ قال عادل حمودة :

صلاح تزوج فى بداية حياته من ممثلة ليست شهيرة.. أنجب منها ابنه شريف
وابنته تحية وسماها تحية على اسم تحية كاريوكا التى كانت قد ساعدت فى إخفاءه
فترة هروبه من البوليس فى هذه الفترة ، أحب صلاح تحية وكان معجبا للغاية
بطريقتها فى عمل الزيتون المخل.. وقد طلب منها الزواج بالفعل لكنها رفضت..
دخل السجن بعد ذلك وعندما خرج وجد أن الحياة مع زوجته الأولى مستحيلة
فطلقها ، أحب بعدها ابنة شاعر غنائى كبير تزوجها لكنها لم تكن قادرة على
تحمل ظروف حياته المتقلبة بسبب السياسة وضغوطها فهاجرت إلى أمريكا
وأصبحت تملك سلسلة مطاعم شهيرة هناك.. وفى النهاية تزوج من زوجته الثالثة
هالة الحفناوى .

لم تؤثر عليه حياته الخاصة إذن ؟

الولاء والصريف

ما حدث مع صلاح أكبر من ذلك.. فقد كانت موهبته تغريه بالكمل أو بمعنى آخر كان يثق أن موهبته الكبيرة ستسعه في أى وقت يريد.. لم يكن مشغولا بالشهرة ولا بالفلوس وكان كأي رجل موهوب بدلا من أن يضيع وقته يأخذ الموضوع ويصيغه من البداية.. ولم يكن يتنازل عن ذلك إلا لموهوب آخر يثق في موهبته.. وقد حدث هذا معي في روزا عندما عملت معه في إعادة الصياغة.. كان يعطيني موضوعات محررين كبار جدا وفي سرية تامة كنت أعيد كتابتها مرة أخرى ، ولذلك كان سهلا على أن أعرف مستويات العاملين في المؤسسة وعندما توليت أمرها بعد ذلك كنت أعرف كل شيء عن المستوى المهني من يعملون معي .

وهل كان له دخل في أن تصبح أنت تحديدا مسئولا عن روزا اليوسف ؟
عندما توليت روزا كان صلاح كاتبًا متفرغا.. وأتذكر أننا كنا في رمضان نطير عند صديق مشترك في الزمالك.. في هذا اليوم قال لنا: إنه مصاب بسرطان الحنجرة.. شرح لنا المرض وكيف يعانى منه.. وكانت لديه قدرة كبيرة على التكيف مع الأشياء بعد أن نزلت معه وقفنا أمام باب العمارة حوالي ساعة وجدته يفتحنى في أمر روزا اليوسف ، كان قد رشحنى قبلها لأعمل مديرا لتحرير "الوادى" وعندما قال لى نحتاجك فى روزا قلت له : لست متفانلا بالإدارة الموجودة الآن .. وعندما سمع منى ذلك "شخط فى": نحن ربيناك فى روزا حتى لا يأتى يوم ويقطع خلف هذه المؤسسة.. فأنت الوحيد الذى تستطيع أن تصنع أجيالا جديدة تجدد شبابها وتمنحها القدرة على الصمود.. ونحن لا نريدك أن ترفع توزيع المجلة ، فهذا أمر سهل.. لكن نريدك أن تخلق أجيالا جديدة .

وهل حدث ما أراد صلاح حافظ ؟

بالفعل حدث وقد نجحت فى صنع أجيال اخترتهم من عدد كبير كان يعمل فى المؤسسة ، تنفق كثيرا على مكافأة هذه الأجيال.. كان هذا هدف أساسى.. لقد

الملك والمريد

توليت روزا اليوسف بعد عام كامل من حديثي مع صلاح حافظ.. سافر هو إلى السويد ليجرى جراحة عاجلة.. لكن السرطان كان قد سيطر عليه.. وللأسف لم يشهد ماذا فعلت في روزا.. فقط ذهبت إليه بعد شهرين بعدد من روزا وعليه صورة للسادات بالأبيض والأسود وهو يصلى فأشار إلى المجلة بأصبعه علامة الإعجاب وأعتقد أنه كان سعيدا لأن روزا دخلت مرحلة تألق جديدة على يد شخص كان تلميذا له في يوم من الأيام.. فصلاح كان يؤمن بأن نجاح تلاميذه نجاح له شخصيا .

بقي أن أقول شيئا: فعندما جلست مع عادل حمودة لأسمع منه عن صلاح حافظ كنت أشعر بأن صلاح حافظ جالس معنا في الغرفة.. يستمع لكل ما يحدث.. كان في صوت عادل حالة من الحنين لأيام أستاذه طغت على المكان.. وأعتقد أنه لم تنته رغم أن الحوار نفسه انتهى .



الكيفية

19



الكفيل

هي فكرة التقطتها أثناء حوار طويل دار بيني وبين للكاتبة الكبيرة صافى ناز كاظم ، كانت تتحدث عن عرفتهم وعملت معهم خلال مشوارها الصحفى الطويل، وعندما جاء الدور على أحمد بهاء الدين تغيرت نبرتها للحادة واكتسى صوتها برداء من الحنين ، قالت : لقد تعرفت على بهاء فى فترة كان يحتاج كل صحفى شاطر إلى كفيل يحميه.. وكان بهاء بالنسبة لى كفيلى.. وكانت تعجبه كتاباتى .

أعجبتى كلمة "كفيلى" .. وأعجبتى أكثر أن يكون كاتباً كبيراً كفيلاً لصحفيين صغار يحميهم من سخافات المهنة ويقيهم من رذالات أنصاف موهوبيها، حملت صافى الجميل لبهاء للدين.. اعترفت له بالعبقرية والذكاء وهى قليلاً ما تفعل ذلك مع أحد.. فعندما كنت أتصفح أعداد مجلة الهلال القديمة وجدت مقالا لصافى ناز فى عدد مارس ١٩٨٨.. أى منذ ستة عشر عاماً.. قالت فيه صافى : منذ أن عرفت الأستاذ أحمد بهاء للدين وهو صديق عزيز اختلف معه سطحياً فى بعض الأمور أو جذرياً فى معظم الأمور ، لكنه ظل صديقاً عزيزاً اختلف معه سطحياً فى بعض الأمور أو جذرياً فى معظم الأمور ، لكنه ظل صديقاً عزيزاً على المستويين الإنسانى والثقافى ، والحقيقة أن اختلافاتى معه نشأت بعد أن توثقت علاقتى الثقافية والصحفية به ، والغريب أن هذه العلاقة الوثيقة تمت بعد أول لقاء معه .

وتحكى صافى ناز عن هذا اللقاء تقول : ذهبت أستطلع رأيه فى موضوع صحفى كنت أعده لمجلة الجيل الجديد.. التى كانت تصدرها أخبار اليوم ولا أذكر من التفاصيل سوى أننى انبهرت بالأستاذ بهاء لفرط ذكائه إذ أنه الوحيد من بين

الكفيل

من اخترتهم لموضوعي الذي اكتشف أن القطعة الأدبية التي كنت أقدمها على أنها من كتابتي مأخوذة من كتاب قديم لتوفيق الحكيم .

كانت فكرة موضوع صافى ناز أنها تريد أن تستشف هل الآراء النقدية تقدم رأيا في العمل الأدبي بغض النظر عن مؤلفه أم أنها تتأثر بالرأي المسبق في الكاتب نفسه ، كان من بين من سألتهم صافى العقاد وإحسان عبد القدوس الذي قال لها إن القطعة ركيكة وأنها باعتبارها للمؤلفة بحاجة إلى المزيد من القراءة.. وتكمل صافى حكايتها: كان عنوان الموضوع آراء مثيرة في أسلوب توفيق الحكيم.. المهم أن الأستاذ بهاء هو الوحيد الذي لم تتطل عليه اللعبة ونظر لي من فوق نظارته وهو يقول : أنت علوزة رأيت في أسلوب توفيق الحكيم .

عملت صافى ناز كاظم بعد ذلك خمس سنوات تحت رئاسة بهاء الدين في مجلة المصورين عامي ٦٦ و ١٩٧١ وكانت من أخصب سنوات عملها الصحفي، تبلورت فيها شخصيتها كناقدة للمسرح والأدب .

وكانت تكتب مستحضرة خلاصة دراستها المتخصصة في نقد المسرح و خلاصة قدراتها على التعبير البعيد عن التقليد والدارج عند حسن ظن مستوى التذوق الرفيع الذي يتمتع به رئيس التحرير أحمد بهاء الدين .

لم يكن أحمد بهاء الدين كفيلا لصافى وحدها ولكنه كان كفيلا لأجيال عديدة وقف وراء إبداعها وساند تألقها.. عندما بدأ صلاح جاهين العمل معه في مجلة صباح الخير أعطاه واحدة من رباعياته ، كتبها صلاح دون أن يعرف جنس هذا اللون الأدبي الذي كتبه.. لكنه وجد أن بهاء اختفى بها ونشرها في مكان بارز.. بل طلب منه أن يكتب له رباعية كل أسبوع ليزين بها صفحات صباح الخير.. لتخرج بذلك مئات الرباعيات التي كتبها صلاح جاهين إلى النور ولتصبح كتابا للحكمة يتداوله المصريون جيلا بعد جيل يحمل بصمة صلاح ومساندة بهاء .

أحمد بهاء الدين لم يكن كفيلا لمن معه من الصحفيين والكتاب.. ولكن امتدت رعايته إلى الشعب المصري الذي يحس به ويضع نفسه في خدمته طوال الوقت.. كان واحداً منه.. لقد نشأ بهاء أبنا لموظف صغير أيام عز الموظفين لكنه نشأ

المكفيل

شديد الحساسية لمشكلة الفقر والحرمان الإنساني قبل أن يقرأ أو يتعلم.. ومع الزمن صار أحد ملامح تفكيره للوقوف مع قضايا الفقراء في بلد أغلبيته من أهل الفقر.. وتعلم طوال حياته أن كل الصراعات الإنسانية تبدأ من لقمة العيش ، وهذا جعله يؤثر التفكير الاشتراكي على غيره من مذاهب سياسية وفكرية .

ولأنه كان كفيلا حقيقيا.. فقد كان يتحمل مسئولية كاملة.. صحيح أنه لم يدخل السجن ولا مرة في حياته وكانت له في ذلك وجهة نظر صريحة للغاية.. فلم يكن أحمد بهاء الدين يكتب ليسجل مواقف عنترية. بل كان يكتب كي يصل ما يكتبه إلى الناس ، ولم يكن مهتما أن يسجن حتى يقال إنه بطل أو شجاع أو مناضل أو مجاهد كبير .

مرة واحدة فقط كاد أحمد بهاء الدين أن يدخل فيها السجن.. رفع وقتها مذكرة احتجاج إلى الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٨ يرفض فيها فرض الرقابة على الصحف بعد هزيمة ١٩٦٧.. كان وقتها نقيبا للصحفيين ، اجتمع مع زملائه أعضاء مجلس النقابة وقرروا رفع مذكرة إلى عبد الناصر.. وكانت نقابة الصحفيين هي النقابة الوحيدة التي فعلت ذلك.. وفجأة جاءت التعليمات من الاتحاد الاشتراكي لكل النقابات بالألا تعلن أي بيانات.. واتصل مسئول كبير ببهاء وأبلغه التعليمات ، كان قد اجتمع بمجلس النقابة في الصباح على أن يعود للنقابة في المساء ليعلن البيان ، قبل أن ينزل للنقابة اتصل به المسئول الكبير نفسه وقال له: لا تلق بيان حتى لا تزيد النار اشتعالا ، أصر بهاء على موقفه وقال للمسنول: إما أن تتركني اتصرف وأنا أعلم نتيجة تصرفي وسأكون المسئول عنه.. وإما أن تقول لي اجلس في بيتك وأنت غير مسئول عن النقابة ويتولى الاتحاد الاشتراكي الإشراف عليها.. بل يصبح المسئول عنها.. وأكد بهاء للمسنول الكبير أنه إذا لم يتصل به حتى الساعة الرابعة- وكان موعد لاجتماع النقابة الساعة السادسة- فسوف ينزل إلى النقابة ويلقى البيان .

لم يتصل المسئول وذهب بهاء إلى النقابة وألقى البيان.. وفي الليلة نفسها رفع تقرير إلى جمال عبد الناصر يوصى بضرورة اعتقال بهاء الدين.. لكن عبد الناصر تأكد أن بهاء ليس معبرا عن أحد بل هو يعبر في النهاية عما يراه دائما

الكفيل

منحازاً للناس كلاً وتفصيلاً لذلك لم يدخر جهداً في الدفاع عما يؤمن به.. حتى سقط مصدوماً عندما وجد نفسه وحيداً يدافع عن قضية فلسطين.. التي كانت نقطة ارتكاز في حياته .

لقد قرأت عن أحمد بهاء الدين قبل أن أقرأ له.. وجدت حالة من الاجماع عليه تثير الانتباه.. خاصة أننا نعيش في وسط صحفى وثقافى لا يتفق على شىء اللهم إلا الاتفاق على الاختلاف ، وبقدر ما بهرتنى تلك للحالة.. علفت في ذاكرتى جملة قالها للروائى محمد مستجاب فى إحدى احتفاليات جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين، قال : إن أحمد بهاء الدين هو الكاتب الوحيد فى مصر الذى لم تبقر السلطة بطنه.. قال الكلمة وترك لمن يسمعها تحديد مدلولها.. لقد تعامل أحمد بهاء الدين مع ملك وأربعة رؤساء حكموا مصر.. لكنه كان يخرج من التجربة فى كل مرة محتفظاً بنفسه.. لم يقدم تنازلات.. لأنه فى الأساس لم يكن يطمح إلى تحقيق مكاسب .

لقد ظل أحمد بهاء الدين - وحتى أيام وعيه الأخيرة - قارناً دائماً لكل ما يقع تحت يديه.. بل أنه كان يعتبر نفسه قارناً فى المقام الأول.. وليس دوره إلا أن ينقل لجمهوره ما يقرأه.. دون وصاية عليهم ، ولذلك كان بهاء متوعاً وثرىاً يكتب فى التاريخ بنفس الحماس والحرارة التى يكتب بها يومياته عن قضايا عصره.. ويشرح للناس أعقد المسائل السياسية بنفس البساطة التى يتحدث بها عن المرأة وكيف يكون الدخول الأمن إلى محرابها.. يدخل بقلمه فى جسد السلطة يمزقه.. ويكشف عن الورقة التى تستر عورته.. لكنه يتنازل فوراً عن أى إشارات بطولة تأتيه لو كانت زائفة .

ليس من عادتى البكاء على ما فات.. ولا أتمتع بالحنين إلى الماضى.. فهو فى النهاية لا يصنع مستقبلاً وحتى عندما قالت لى صديقتى منال لاشين التى تعتبر نفسها تلميذة لبهاء.. إننى لو كنت قابلت بهاء كانت أشياء كثيرة لدى تغيرت.. لم أهتم كثيراً بما كان سيتغير دخلي.. لكنى فجأة وعلى غير عادتى.. وجددتى فى شوق إلى حوار طويل مع كاتب منحه الجميع ثقتهم.. فلم يخنها.. أجمعوا عليه فاكتفى بتحيتهم عبر ابتسامة هائلة.. لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

الرافع اليقيم

20

الراهب اليتيم

عندما تجلس أمام البابا شنودة وتتصت لحديثه وتتأمل مواعظه وتراقب تعبيرات وجهه لا تستطيع أن تأخذ موقفاً محدداً منه، ففي اللحظة التي تقرر أن توافقه على كل ما يقوله تجد نفسك مضطراً لأن تختلف معه في بعض ما يقوله، وفي اللحظة التي تستفزك بعض تصريحاته تجده يخفف عنك بمداعباته وقشاته التي لا يتردد عن إقائها وهو يقدم مواعظه الروحية لشعبه.. لكنك في كل الأوقات لن تقاوم نفسك فلا بد أن تحبه وتعجب به.. فهو يملك قلب طفل ووجه ملاك.

يحمل على كتفيه أكثر من ثمانين عاماً، فهو مولود في ٣ أغسطس ١٩٢٣ لكنه يملك خبرة من عاشر قرناً طويلة.. ويتحدث بحكمة من اختزن تجارب البشر جميعاً في ذهنه، يجلس في منطقة خاصة للغاية في قلوب الأقباط فهو الأب الروحي لهم جميعاً.. وفي الوقت ذاته يعتز المسلمون جميعاً به، فهو مواطن مصري منهم.. يعيش مشاكلهم ويتعاشق مع همومهم.. يقف على خط واحد من قضاياهم الكبرى.. يدعو في كل صلاة أن يخفف الله عنهم ما يعانونه.. ويدخر صلواته المقبولة ليرفعها إلى السماء حتى تظل مصر صامدة قوية كما عرفها وتعرف عليها.. فهو سعيد بانتمائه إلى مصر لأنها الأرض الوحيدة التي زارها المسيح عليه السلام في رحلته المقدسة.

منذ جلس على الكرسي البابوي في ١٤ نوفمبر ١٩٧١ ورغم هدوئه الظاهر.. فإنه بعث في الشارع المصري حالة من الحيوية والصخب اثنين وثلاثين عاماً لم يهدأ فيها، وضع عشرات الكتب وأطلق مئات التصريحات وعقد آلاف الجلسات مع السياسيين والمسئولين وللرؤساء، وفي كل مرة لم يكن يضيق بالمعارضة أو النقد أو الحوار.. بل إنه عاش بمنهج وضع تفاصيله فهو يرحب بالحوار.. لكنه يرى أنه ليس من المصلحة أن يكون الحوار في شئون الكنيسة الداخلية في الصحف.. لأن الكنيسة أسرة لها خصوصياتها التي لا يصح أن تتشر

الراهب اليتيم

على الملأ وإذا كان لابد من الحوار فلا مانع من أن يتم في جو من الحب والرغبة في التعاون.

لقد وضع البابا شنودة تقليداً جديداً منذ عدة سنوات ففي كل اجتماع له سواء الاجتماع العام الأسبوعي في الكارتدانية الذي يعقد يوم الأربعاء أو الاجتماعات التي يعقدها لكل الأقباط في الإسكندرية كل أسبوعين يتلقى أسئلة في نواحي مختلفة دينية وشخصية وعائلية ويسود الجو نفسه في لقاءاته مع الآباء والكنهة، بل إنه عندما يختار كاهناً جديداً يعقد اجتماعاً مع شعب الكنيسة ويستمع إلى رأيهم فيه ويوزع عليهم أوراقاً، وكل شخص يذكر رأيه بصراحة وسرية.

ولا يعطى البابا أذنه لأي عابر ففي الوقت الذي يرحب فيه بكل ما يوجه للكنيسة من ملاحظات فإنه يعتقد أنه ليس كل قبطي قادراً على مناقشة قوانين وأنظمة الكنيسة لمجرد أنه قبطي ولكن لابد لمن يريد أن يعارض أن يدرس ويعرف دقائق وتفاصيل وتاريخ هذه القوانين والأنظمة قبل أن تسارع في الحكم عليها.. هذا المنهج الذي تحدث البابا شنودة عن مبرراته أكثر من مرة.. جعل عدداً من متقفي الأقباط يقف على صفة الرأي الآخر التي تخالف رأيه، لا يعتبر هؤلاء خصوماً فهو ليس خصماً لأحد. لكنه يذهب إلى أن الذين يمثلون المعارضة في الكنيسة يقولون إنه ليس هناك بشر معصوم من الخطأ.. ولذلك فهو يسألهم لماذا تعارضون إنن إذا أخطأ أحد الآباء الكهنة وقدم إلى المجلس الأكليريكي فحكم عليه المجلس بالإيقاف من خلال الوقائع.. فهل هؤلاء سلطة فوق الكنيسة، أم أنهم أكثر علماً ودراية بالوقائع التي بحثها وحقق فيها المجلس الإكليريكي؟

وقف البابا شنودة بحسم أمام كل الذين عارضوا الكنيسة ليس لأنه غير ديمقراطي فهو يؤمن بالديمقراطية لكن على طريقته التي يلخصها في عبارة قرأها في طفولته "الجوستاف ليمو" كانت تقول: "تعطى الحقوق للشعب بقدر ما يصل إليه للنضج".. ولذلك فهو يعيب على معارضيهم أنهم لا يعلمون حيث يتجرعون على الكلام.. فهم لا يعرفون الفرق بين الراهب والكاهن.. وهم يريدون أن يجعلوا أمور الكنيسة الداخلية مضغة في الأفواه وحتى يغلق الباب على هذا الملف فهو يجزم بنعومة أنه ليست هناك معارضة للكنيسة.. وكل ما يحدث مجرد مبالغيات

الراهب اليتيم

من أفراد يسعون إلى أهداف شخصية وهم لا أثر ولا تأثير لهم في المحيط القبطي.. وهذا طبيعي فهناك دائماً من يختار لنفسه أن يقوم بدور الشرير! مئات المواقف كان فيها البابا شنودة صلباً لا يلين.. وكلما تعرض لمشكلة وتعامل معها أعاد إلى الأذهان وبصورة مكبرة تفاصيل صراعة مع للرئيس السادات، وهو الصراع الذي بدأ مبكراً للغاية للرواية على نمة هيكل الذي يقول: "بدأ أول احتكاك بين البابا شنودة والسادات بعد سنة أشهر فقط من انتخاب البابا، وكان سبب الاحتكاك هو السبب التقليدي القديم، كنيسة قامت بغير ترخيص في الخانكة وكان قيامها بنفس الطريقة القديمة، قطعة من الأرض اشترت وأحيطت بسور من الدكاكين ثم أصبحت الأرض الفضاء في قلبها ملعب ثم مدرسة ثم ملقى ديني ثم جاء المذبح ذات ليلة وشنها أحد الأساقفة وفتحت لإقامة الصلوات وطبقت وزارة الداخلية أحكام الخط الهمايوني للقديم ومنعت استعمالها للغرض الذي كان مقرراً لها.

لم يسكت البابا شنودة أصدر أمراً في اليوم التالي لتصرف وزارة الداخلية إلى مجموعة من الأساقفة بأن يتقدموا موكباً ضخماً من القسيسين ويسيروا صفاً بعد صف في زحف شبه عسكري إلى ما بقي من مبنى الكنيسة ثم يقيموا قداساً حتى بين أطلاله ، كانت الأوامر أن يواصل الأساقفة التقدم مهما كان الأمر حتى إذا أطلق البوليس عليهم نيران البنادق ، حاول البوليس أن يتعرض لمواكب الأساقفة والقسيسين لكن الموكب مضى حتى النهاية.

غضب السادات من تصرف البابا شنودة واعتبره تحدياً ونكراناً للجميل فقرر أن الموضوع يحتاج إلى مواجهة مباشرة مع البابا، وقال وقتها لهيكل إنني قررت أن أفجر المسألة الطائفية وأن أشرح لأعضاء مجلس الشعب تفاصيل ما يجري وأطلب منهم اتخاذ ما يرونه من قرارات.. ولم يذهب السادات إلى مجلس الشعب لكنه ذهب إلى المقر البابوي وفوجئ هناك بحفاوة بالغة بدأها البابا شنودة بتحيته قائلاً: أهلاً بك أبا لكل الشعب انتهى الاجتماع بأن قال السادات للبابا، إن عبد الناصر وضع تحت تصرف البابا كيرلس تصريحات بفاء ٢٥ كنيسة جديدة وسوف أضع تحت تصرفك أنت تصريحات بخمسين.

سارت العلاقة بين البابا والرئيس على نحو جيد.. ففي عام ١٩٧٨ أهدى مجلس الكنائس الميثودي العالمي بأمريكا جائزة السلام للرئيس السادات وهي

المراتب البيتي

عبارة عن ميدالية ذهبية، احتفل البابا شنودة بهذه المناسبة في حفل حضره ١٢ مسئولاً بينهم رئيس الوزراء ونوابه والوزراء وشيخ الأزهر وبعد الاحتفال قال له السادات هذه الميدالية لم أجد شخصاً يستحقها إلا أنت، احتفظ بها البابا شنودة حتى الآن وإلى جوارها رسالة خاصة من للرئيس جاء فيها: قداسة الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية تحية طيبة وبعد، فقد أهدى المجلس الميثودي العالمي جائزة السلام لعام ١٩٧٨ إلينا تقديراً لجهودنا لإقرار سلام عادل ودائم في المنطقة التي شهدت خطى الأنبياء ورسالات السماء ولما كان شعبنا من مسلمين ومسيحيين قد عاش على أرضنا السمحة نبضاً واحداً وكتيبة نضال واحدة من أجل الحق والعدل والسلام وانطلاقاً من روح المحبة والتأخي التي تجمع بين مسلمي ومسيحيين مصرنا العريقة فبني أهدى إلى قداستكم الميدالية الذهبية الخاصة بهذه الجائزة للاحتفاظ بها في المكان الذي ترونه مناسباً، وبني أدعو الله تعالى أن يسدد على طريق الخير خطانا ليتحقق لشعبنا للعريق كل ما يصبو إليه من حياة حرة كريمة.

رد البابا شنودة التحية بأحسن منها وفي رسالة وجهها إلى الرئيس السادات قال فيها: تلقيت بمزيد من الشكر الميدالية الذهبية التي اهديت إلي سيادتكم من مجمع كنائس الميثوديسنت تقديراً من المسيحيين في الغرب للمجهود الكبير العملي المخلص الذي قمتم به من أجل السلام في شجاعة تستحق الإعجاب وشاعت محبتكم من منطلق روح المحبة والتأخي التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين أن تهديوا إليها هذه الميدالية ولقد وقفت أمام محبتكم ولمساتكم الإنسانية العميقة مبهوتاً مدة طويلة ولا يسعني إلا أن أشكر مشاعركم النبيلة وعملكم لأجل الوحدة الوطنية، كما يفرحني أن أشيد بجهودكم لأجل السلام التي استحققتكم عليها عن جدارة تقدير العالم في جائزة نوبل وتقدير رجال الدين المسيحي التي عبرت عنه هذه الميدالية، إننا نصلي أن يحفظكم الرب وينجح طريقكم ويديمكم لمصر وللحق والسلام وستحفظ هذه الميدالية في قلوبنا وذاكرتنا، كما نحفظها في المقر البابوي رمزاً وتقديراً!

الراهب اليتيم

هذه الصداقة تحولت إلى خصام دفع السادات إلى إصدار قرار جمهوري بعزل البابا شنودة وتحديد إقامته في دير الأنبا بيشوى، كان البابا قد وصل إلى الدير قبل قرار السادات بأسبوع.. لكن فجأة تمت محاصرة الدير بقوات عسكرية ضخمة لمنع خروج البابا ومنع اتصاله بالشعب القبطي.. لم ينزعج البابا من القرار فرغم صدوره فإن الأقباط ظلوا يعتبرونه هو بطريركهم الرسمي ويصلون ويذكرون اسمه في الكنائس وكأن شيئا لم يحدث.

ظل البابا شنودة في دير الأنبا بيشوى حتى ألف ستة عشر كتاباً ، وتمنى أن تطول فترة حصاره حتى ينم باقى كتبه لكن القدر لم يمهله فقد قتل السادات وخرج البابا شنودة منتصراً من الحصار الذى فرضه عليه رأس الدولة ، كان لابد أن يحدث هذا الصراع وكان لابد أن يظل البابا شنودة صلباً لا يتزحزح عن موقفه والعلّة عند هيكل فهو يرى أن الصراع بين الرجلين كان متوقفاً بل محتوماً لأن كلا منهما كان فيه شيء من الآخر على الأقل من ناحية الإحساس بالذات التى كانت بادية فى شخصيتيهما.

هناك زاوية أخرى فى شخصية البابا شنودة ربما لم يرها هيكل بوضوح، فى نظرات البابا عندما تتأمل عينيه حنان عميق.. يريد أن يوزعه على كل من حوله حتى يفيض به عليهم ولعله يعكس بذلك إحساساً غامراً شمله من صغره باليتيم والفقد لحنان الأم.. فى قرية السلامية التابعة لمحافظة أسيوط وبعد ساعات من ميلاد البابا شنودة أصيبت أمه بحمى النفاس وأسلمت الروح إلى الله لم يلتفت له أحد.. تركوه حتى أدوا واجب الفقيدة.. وعندما عادوا إليه بدأوا التفكير فى رعايته كانت أول سيدة ترضعه جارة مسلمة كانت تقدم العزاء.. ثم تولت شقيقته الكبرى المتزوجة إرضاعه حتى دبر والده له بعض المرضعات.

ولد البابا شنودة الذى حمل اسم "نظير جيد" لأسرة ثرية، كان والده جيد روفانيل قد ورث ١٢٠ فداناً فى قرية السلامية مركز أسيوط وكان جده لأبيه عمدة القرية يملك ٥٠٠ فدان من أجود أراضي الصعيد، وكانت والدته "بلسم جاد" من أبنوب الحمام تملك أرضاً ورثتها عن والديها تزيد على ٣٠ فداناً.. ورغم ذلك

الراهب اليتيم

كله فإن الطفل نظير جيد كان يشعر بالحرمان.. لدرجة أنه قال: ظللت أشعر بشعور الفقر في كل مراحل حياتي، فلم ينق حلاوة لن تكون أمه إلي جواره.

لقد حاولت زوجة أخيه الكبير روفائيل وكان اسمها جوليا حلیم أن تعوضه عن فقدان أمه، كانت تسهر إلي جوار سريره إذا مرض ولم تكن تفرق بينه وبين ابنها الصغير عادل.. ولذلك كان ألمه شديداً.. وهمه عميقاً عندما توفيت جوليا عام ١٩٦٧.. فقد شعر وقتها أن أمه ماتت للمرة الثانية..، إلى الآن.. وكما يقول رجب البنا في كتابه الأقباط في مصر والمهجر فإن البابا شنودة عندما يتذكر زوجة أخيه بفيضان مشاعرها وحنانها وتغشى وجهه سحابة من الحزن النبيل.

يتم للبابا شنودة واحتياجه للآخرين الذين رأى أنهم أصحاب فضل عليه، جعله يتعامل مع أشقائه الكبار باحترام ربما يصل إلى حد التقديس فشقيقه الأكبر "روفائيل" كان لا يناديه إلا ويسبق اسمه "بالأستاذ" وحتى شقيقه الثاني شوقي كان يقول له "أخويا شوقي" رغم أن فارق السن بينهما كان خمس سنوات فقط، هذا كان هو تأثير اليتيم على البابا شنودة في بيته، أما خارج البيت فكان الأثر عظيماً.. قرر أن يصبح الأول دائماً.. أن ينظر إليه الآخرون بإعجاب واحترام وتقدير لقد دفع الإحساس باليتيم بطلنا إلى أن يحقق المعجزات.. ولا يتصدى إلا للأعمال العبقريّة.. عندما يدخل في صراع لا يتراجع مهما كان الثمن.. ويصل إلى هدفه حتى لو لاقى في طريقه إليه كثيراً من الصعاب والعقبات.

محطات حياته الكثيرة تقول ذلك فقد تخرج في قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٧ بتقدير امتياز وفي نفس العام تخرج في كلية الضباط الاحتياط وكان ترتيبه الأول في مدرسة المشاة ولما كانت الدراسات الدينية تغالزه منذ صغره، فقد التحق بالكلية الإكليريكية ليتلقى علومها على أسس منهجية سليمة لكنه أدرك أن الوقت طال ولا بد أن يعول نفسه فعمل مدرساً في مدارس ووزارة التعليم صباحاً وقبل أن يلتقط أنفاسه للتحق بالدراسات العليا في الكلية الإكليريكية حتى يؤهل نفسه تأهيلاً علمياً وثقافياً ودينيّاً.

كان للبابا شنودة مدركاً منذ البداية لدوره في الحياة.. كانت حياة الراهبنة تتأديه منذ البداية، ففي الوقت الذي كان يدرس فيه في الكلية الإكليريكية أخذ يتردد على الأديرة القبطية التي وجد فيها راحة نفسية استهوتته فتعمق فيها.. ولذلك ودع

الراهب اليتيم

حياة المدرس والضابط وذهب إلى دير السريان بصحراء وادي النطرون حيث ترهب وحمل اسم انطونيوس السرياني.. ومن بين مآثره أنه قضى في مغارة بالقرب من الدير إحدى عشر عاماً لم يغادرها مرة واحدة منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٦٣ قضاها في التأليف والترجمة ونسخ المخطوطات الأثرية ودراستها وإعادة كتابتها حيث اشترى مطبعة صغيرة مع عدد من الرهبان وقام بنسخ المخطوطات القديمة وبيعها بأسعار التكلفة.

خرج انطونيوس السرياني من المغارة بعد أن صفت روحه.. أصبح روحانياً تغذيه تأملاته في الدنيا والآخرة.. بل إنه خرج شاعراً رقيقاً وكتابياً متمكناً.. رأس تحرير عدة مجلات دينية ودخل نقابة الصحفيين وهو حتى الآن عضواً عاملاً بها.. يعتز بذلك ويداعب الصحفيين كلما تلقى بهم.. فهو صحفي مثلم ويفهم الأعياب وحيلهم للإيقاع بتصريحاته ليخرجوا بعنوان ساخن أو تقرير درجة حرارته مرتفعة.

اختاره البابا كيرلس أسقفاً للتعليم الديني.. وعندما تحمل هذه المسئولية أداها كما يرى هو لا كما كان يراها الآخرون فعقد حلقات دراسية منتظمة حضرها عدد كبير من الشباب كانت تضيق بهم مدرجات الكلية الإكليريكية.. فانتقل بمحاضراته إلى الكاتدرائية التي شهدت نفس الزحام، وفي عام ١٩٧١ اختير بابا وبطريكاً للأقباط الأرثوذكس.. ليصبح اسمه البابا شنودة الثالث وليدين له بالطاعة جميع رجال الدين القبطي الأرثوذكس في مصر والنوبة والسودان والحبشة والخمس مدن الغربية وفي آسيا وفي القدس والكويت وفي أوروبا وأمريكا وأستراليا.. فلأقباط هناك جاليات كثيرة الآن.

على يد البابا شنودة شهدت الحياة القبطية ازدهاراً لم تشهد على أيدي الباباوات الذين سبقوه فقد اقيمت بمباركته الكاتدرائية المرقسية الكبرى بشارع رمسيس بعد أن كانت مجرد قصر صغير متواضع للغاية في كلوت بك، وفي وسطها أقيم المقر الباباوي الذي يعتبره الأقباط بيتاً للشعب، كله كما أعاد البابا تعمير وتوسيع الكنيسة المرقسية بالإسكندرية والتي كانت تعتبر المقر الرئيسي للبابا.

يد العمران لم تتوقف عند القاهرة والإسكندرية.. لكنها حلت على مختلف المحافظات لتشمل كافة الأديرة والإيبارشيات، كان البابا يعرف أن تعمير الأديرة

الراهب اليتيم

ليس بالأمر الهين فأغلبها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي.. لكنه قبل التحدي وبعد أن دخل العمران إلى الأديرة أصبحت مقصداً لآلاف من الشباب الذين تركوا الحياة المدنية وسلكوا طريق الرهبنة.. مفهوم الرهبنة عند البابا شنودة يختلف عنه عند الآخرين.. فالكنيسة عنده لا بد أن تلتحم بالمجتمع تتحاور معه.. تعمل من أجله.. فهي جزء لا ينفصل عن الناس ومشاكلهم.. دفع هذا البابا إلى إنشاء المكتبات العامة داخل الأديرة وحول مساحات واسعة من الصحراء الصفراء إلى أرض زراعية تنتج الخضراوات والفواكه واللحوم والدواجن التي تباع إلى الفنادق السياحية وفق تعاقدات أبرمتها الأديرة مع هذه الفنادق.

ليس هذا فقط ففي الأديرة الآن مستشفيات يعمل فيها أطباء من الرهبان لتقديم خدماتها إلى كل عابر سبيل أو مصاب في حوادث الطرق التي تقع إلى جوار الأديرة.

ما فعله البابا شنودة في مصر فعله خارجها، فعلى يديه تم إنشاء دير على مساحة ستة أقدنه ونصف الفدان في نيوجرسي بأمريكا يضم داخل جدرانه ٣ أبنية أحدها كنيسة والمبنيان الآخران للنواحي الإدارية وأماكن للإقامة، كما تم إنشاء مبنى آخر في نيوجرسي لإدارة ورعاية أقباط المهجر من المصريين.

كان أقباط المهجر قبل تولى البابا شنودة مسئولية رئاسة الكنيسة القبطية يستأجرون كنائس لإقامة صلواتهم داخلها عندما يجنون كاهناً أو قسيساً ليقوم لهم بالصلاة بالصدقة أما الآن فقد استطاع البابا شنودة أن يقيم حوالي ٢٠٠ كنيسة تحتل أماكن مميزة داخل قارات أوروبا وأمريكا وأفريقيا وأستراليا وآسيا وهي جميعها تعتبر أملاكاً مصرية خالصة.

هو بناء عظيم إنن بعث الحيوية في شرايين الحياة في مصر ليس فيما يخص الأقباط فقط ولكن فيما يخص المسلمين أيضاً، لا يهدأ ولا يستريح يعمل بدأب غريب حتى الآن ورغم سنوات عمره الثمانين لكنه يعمل بروح شاب. لا ينسى أنه جاء الدنيا ليضيف إليها حتى ذكره الجميع بخير.. وليسجل الطفل اليتيم الذي حرم من حنان الأم بسمه في كتاب كل من يعرفهم حتى يمسح عن جباههم قطرات الحزن التي تورثها لهم الحياة التي لا ترحم.

العلماء الكبار

21

الغامض الكبير

مثل بنر عميقة لا تبوح بأسرارها لأحد يعيش أحمد رجب.. تقرأ له صباح كل يوم نص كلمة.. التي يلخص فيها المشهد المصري كله.. وصباح السبت تقتحمك "الفهامة" التي يسقط فيها كل الحجب السياسية والاجتماعية ساخراً من حكومة لم تكف بأكل لحومنا لكنها واصلت مصمصه عظامنا.. وقبل أن ترفع عينيك عن صفحة أخبار اليوم ينتظرك فلاح كفر الهنادوة بمكره ودهائه وسخريته الكامنة في كلماته التي تبدو بسيطة.. لكنها بساطة الحكماء وحكمة المطجونين في الأرض.. وفي رحاب أحمد رجب ستجد أيضاً عشرات الشخصيات الكاريكاتورية.. وعشرات الكتب.. بعضها جمع كثيراً من مقالاته.. وبعضها خرج من رأسه إلى المطبعة إلى القارئ.. الذي هو عند أحمد رجب وعند غيره سيد الموقف.

هذا الزخم قد يجعلك تعتقد أنك تعرف أحمد رجب جيداً.. لكن لو فاجأت نفسك وسألتها: ماذا تعرف عن أحمد رجب؟ لن تجد أية معلومات في رأسك عنه.. فلا أحد يعرف من هو.. ماذا يحب وماذا يكره.. كيف يكتب وهل هو ساخر وخفيف الدم في الحياة كما هو على الورق.. أم أنه يفرغ كل سخرياته في كتاباته ويحتفظ بعد ذلك باكتئاب طويل تغذيه حالة وطن راكد.. لا يريد أن تحرك.. ولا يريد له أحد أن يتحرك..

أن أحمد رجب يكتفى بما يكتب.. لا يحرص أن يكون ضيفاً على القنوات الفضائية رغم كثرتها.. لا يرحب بالحوارات الصحفية رغم أنه مطلوب للجميع ومن الجميع.. أخباره تأتينا كما تأتينا أخبار نجوم المجتمع في الفن والسياسة.. يفرض على عمله سياجاً من الخصوصية فجميع العاملين في دار أخبار اليوم يعرفون أنه يدخل الغرفة ٥٣ كل صباح.. لكن ماذا يفعل فيها لا أحد يعرف.. كيف يكتب.. كيف يفكر.. هل يجلس فوق المكتب.. أم يجلس أسفله.. إن ما تنتجه

الغامض الكبير

قريحة أحمد رجب لا بد وأن يتم إبداعه بطريقة خاصة.. ولذلك من حقك أن ترسم أى صورة تريدها للحالة الإبداعية التى يكون عليها أحمد رجب وهو يكتب.. لكن كن على ثقة كاملة أن ما يحدث بالفعل عكس كل ما تصورته..

أحمد رجب فى النهاية ليس كتاباً مفتوحاً.. حتى ملامحه التى بناها خيرى شلبي عبر بورتريه طويل لن نستطيع أن نتواصل معها فهو عند خيرى "عفريت من الجن بلامح مفرطة فى الإنسائية.. وجه مربع متوازن التقاطيع دقيق الملامح.. مريح للعين يشع بطيبة القلب" فالصوره القليلة التى نشرت له نقول عكس ذلك.. فهو حاد الملامح.. لا تستطيع أن تستريح له من النظرة الأولى.. وربما يمنع من يصافح وجهه للمرة الأولى أن يشعر بالراحة له أنه وقور لدرجة تتناقض تماماً مع هزلية ما يكتبه.. فتحدث الصدمة التى تفقدك سيطرتك على تكوين شعور معين وأنت أمام كاتب.. كنت تعتقد أنه لا يكف عن الهزار والضحك والتريقة.. فإذا بك تجده عابساً.. تسيطر على وجهه علامات الاكتئاب وإذا كان الكتاب يظهر من عنوانه.. فالكاتب يظهر من صورته.

اسمه الثلاثى أحمد إبراهيم رجب.. اسكندرانى.. ولد يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨.. دخل أخبار اليوم عام ١٩٥٢ بعد أن حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية قبلها بعلم واحد.. تدرج فى العمل الصحفى من رئيس تحرير مجلة إلى مدير تحرير جريدة حتى أصبح فى النهاية كاتباً متفرغاً فى صحف أخبار اليوم.. كتب سيناريوهات عدد من الأفلام.. وله فى الإذاعة أعمال طريفة للغاية على قمتها "بنت اللى قتلت ببايا" و"شبو فى المصيدة". لم يستيقظ أحمد رجب من النوم فوجد نفسه كاتباً ساخراً.. فحكايته مع الأدب الساخر بدأت عام ١٩٥٠ عندما كان طالباً بكلية الحقوق.. وقتها كان يرأس تحرير مجلة أسمها "أخبار الجامعة".. وكان يقوم بتحرير عمود ساخر اسمه "قاموس" كان يمارس فيه النقد بأسلوب ضاحك على النظام فى الجامعة وعلى الأساتذة والمعيدى، ومن أخبار الجامعة إلى مكتب أخبار اليوم فى الإسكندرية حيث عمل وهو طالب مقابل ٥ جنيهات شهرياً، ولا يمارس أحمد رجب سخرياته من باب هزلى كما يعتقد للبعض، فالمصريون عنده شعب مرح ساخر بطبيعته وللسخرية غير المرح.. فهى تحتوى على الألم ودفع الغير إلى التفكير معك، ولذلك راقب نفسك.. ففى كل

الغامض الكبير

مرة تضحك فيها على ما يكتبه أحمد رجب ستجد نفسك مهموماً.. تحاصرک الأحران.. فأنت تضحك على القفشة.. لكن ضحكك عليها لن يحلها ولن يخلصك منها.

وقد تعتقد أن أحمد رجب الذى يسخر من كل خلق الله رجل هلهلى.. فالساخرون فى الغالب فوضويون.. ينامون فى أى وقت.. ويستيقظون فى أى وقت.. يكتبون عندما يريدون وإذا أفرغوا آراءهم فى جلساتهم الخاصة فلا حاجة عندهم للكتابة.. فقد حققوا ما أرادوا.

أحمد رجب ليس كذلك.. خذ عندك مثلاً "تص كلمة".. يحافظ رجب على كتابتها يومياً من الساعة الثانية عشر إلى الواحدة ظهراً.. ولا يفعل ذلك إلا بعد أن يكون قد قرأ معظم الصحف والمجلات الصادرة فى نفس اليوم.. لينشط بذلك ذهنه.. وخلال كتابته لا يرد على تليفونات ربما يحدث له ما كان يحدث مع أستاذه على أمين.. أن يرن جرس التليفون فيقول: آلو .. مين معايا.. نون أن يرفع سماعة التليفون.

وقبل أن تعكر الغيوم صفو العلاقة بين أحمد رجب ومصطفى حسين - وهو ما حدث عدة مرات خلال السنوات الماضية - كنا يجلسان فى الواحدة ظهراً بالدقيقة والثانية ليضعاً أفكار الكاريكاتير قبل تنفيذها بريشة مصطفى حسين.. كانت هذه الجلسة خاصة للغاية.. لا يسمح لأحد بحضورها، وحدث ذات مرة أن طلب أحد الوزراء حضور جلسة تحضير الكاريكاتير، حاول أحمد رجب أن يعتذر.. لكن الوزير أصر.. حضر الاجتماع وجلس على مقعد فى نهاية للحجرة صامتاً تماماً.. وعلى مدى ساعتين ونصف الساعة جلس الساخران يفكران.. انصرف الوزير زهقاً.. وبعد لحظات من انصرافه مزق أحمد رجب الكاريكاتير الذى رسمه مصطفى حسين.. فالحظات التكوينية التى كانت.. لم يكن لأحد أن يطلع عليها قبل أن تتضح وتصبح جاهزة للعرض.

طقوس أحمد رجب لم تكن فى المواعيد وفرض حصار السرية على جلساته.. لكنه جعل من ضحكة مصطفى حسين فترة إبداعهما طقساً خاصاً.. لقد كانت ضحكة مصطفى حسين هى جواز مرور الكاريكاتير إلى المطبعة.. لم يكن أحمد رجب يقتنع إلا بضحكة حقيقية من مصطفى حسين وقد حدث كثيراً أن

الغامض الكبير

مصطفى يكون مشغولاً أو يريد أن ينهى الرسم بسرعة فيضحك ضحكة مفتعلة..
كى تنتهى الجلسة.. لكن أحمد رجب يقول له: "لا.. أريد الضحكة الحقيقية"..
الآن لا ضحكة حقيقية ولا ضحكة مفتعلة.

لا يتناول أحمد رجب أى منبهات.. يكتفى بفنجان قهوة واحد فى اليوم.. وفى
شهر يوليو وأغسطس يأخذ أجازته السنوية.. كان ذلك عندما كانت الفصول فى
مصر تعرف حدودها جيداً.. لكن عندما أصبح الصيف يشاغب الفصول الأخرى
ويتعدى إلى حدودها تعدت أجازة أحمد رجب الشهرين إلى الشهر الثالث.. كانت
هذه الاجازة تثير بعض القلق فى نظام العمل بين الثنائى "رجب - حسين"..
فعندما يسافر أحمد رجب ينقطع للاستمتاع بوقته تماماً ولا يعمل.. بل يترك
مصطفى حسين يرسم ويكتب أفكار الكاريكاتير بنفسه.. وعندما يسافر مصطفى
كان ينسق مع رجب بالتليفون.. الآن وللمرة الثانية.. لا قلق ولا تنسيق.

فى كتابات أحمد رجب الاجتماعية رؤية نقدية حادة للغاية.. لكن هذه الكتابات
لا تلمع مثلما تلمع كتاباته السياسية التى ينقض فيها على رموز السلطة مهما علت
قاماتهم.. ولعل لذلك أسبابه العديدة.. فالناس وسط الهموم والمصائب التى تورق
منامهم وتقلقهم فى مضاجعهم ليس لديهم قدرة على متابعة السخرية من النساء
والحب والعلاقات الاجتماعية.. فالناس لا تملك رفاهية الابتسام والسلام.. لكنهم
يتألقون مع السخريات السياسية.. يشعرون أن أحمد رجب ينتقم لهم من جلاذيتهم
وسارقى أقواتهم.. يشعرون أن حامى حماهم يزود عنهم بالكلمات التى تتحول فى
أيديه إلى سهام تصيب حيث تضرب.

ليس معنى ذلك أن أحمد رجب عند الجميع هو الفارس الذى لا يشق له
غبار.. فهناك من قرأه للمداومين عليه والذين يبدؤون قراءة جريدة الأخبار
بالصفحة الثانية حيث تسكن نص كلمة.. من يعتبرون أحمد رجب صديقاً حميماً
للحكومة.. بل يبالغون عندما يجعلون منه مدافعاً عنها وسبباً قوياً لاستمرارها.
فأحمد رجب بسخرياته اللاذعة وتجريساته المنتالية للحكومة بداية من رأسها إلى
أقل وزير فيها حجماً وتأثيراً ينزع من الناس شحنة غضبهم وثورتهم وتمردهم
وحنقهم على حكومة غير راشدة.. يضرب بدلاً منهم.. ويعرق دم الحكومة بدلاً
منهم.. ولا يدع لهم شيئاً ليفعلونه إلا المشاهدة عن بعد.. أو المراقبة فى صمت..

الغامض الكبير

لا يمنع هذا أن يحب الناس أحمد رجب ويحترمونه ويوقروه.. فهو على الأقل يفعل شيئاً أى شيء.. وبهذا المنطق يحب الناس عادل إمام عندما ينفذ القانون بيديه ويقتل مغتصبى الأعراض والأقوات.. ويحبون نور الشريف عندما يضرب عساكر الداخلية ويُدحرجهم على السلام.. بل يصفقون له.. فهو يفعل ما يريدونه.. لكنهم يعجزون عن الإقدام عليه.

ليس ذنب أحمد رجب بالطبع أنه يطيل عمر سلبية الناس وكسلهم رغم أنه يريد إيقاظهم. ويبدو أنه فهم ذلك مبكراً.. فرد ساخراً عندما سئل لماذا تكتب قال: هناك عاملان يدفعاننى إلى الإبداع والخلق مصلحة الضرائب وزوجتى.. رد عبثى يصلح تعليقاً لواقع أكثر عبثية يعيشه أحمد رجب.. لكنه يرفض أن يعايشه.

لقد ظل أحمد رجب طول حياته مثيراً للزواجر.. فى الستينات مثلاً فكر فى طريقة لكشف المتحذلقين فى المسرح من نقاد وكتاب ومخرجين فنشر مسرحية "الهواء الأسود" فى مجلة الكواكب على أنها من ترجمته ومن تأليف الكاتب المسرحى السورى الشهير "دورينمات".. وحدثت الفضيحة.. بدأ كبار الكتاب والنقاد فى كشف مواطن جمال نص دورينمات.. وبعد أن قالوا كل شيء.. أخرج أحمد رجب لهم لسانه.. فالمسرحية من تأليفه هو.. ولا عزاء لكبار المتحذلقين.. ولذلك فإن رجب من يومه يعتبر أن جيل المؤلفين الكبار انتهى.. ليظهر النوبغ من عينة عبده جعدار وسلامة الاسترلينى ومحمود دولا.. وكان طبيعياً بعد ذلك أن تظهر الممثلة الأعظم والنجم الأفخم والمغنى الذى لا يشق له غبار.

وفى الثمانينات ومن خلال حديث ساخن فى أخبار اليوم تحدث أحمد رجب عن حلمه بأن يكتب قصصاً للأطفال. كان قد خاض التجربة من قبل عندما بسط عشر قصص من كتاب "كليلة ودمنة" ورسمها له مصطفى حسين.. وبرر ذلك بأن الأطفال فى مصر محرومون من القلم المتخصص فى الكتابة لهم.. فبعد موت كامل كيلانى لم يظهر فى مصر كاتب للأطفال قال رجب كلمته ومضى. أشعل النار ولم يسأل بعد ذلك عن آثارها.. قامت قيامة كتاب الأطفال وعلبوا على أحمد رجب ما قاله.. فهم موجودون.. لكنه قال كلمته وتركها تمارس آثارها فى عرض الطريق.

الغامض الكبير

توقف أحمد رجب منذ سنوات عن مشاغبه الطفولية مع الكتاب والمبدعين.. وتفرغ لمناكفة السلطة.. ولا أدري لماذا أشعر أنه وفي كل سطر يكتبه يسيطر عليه إحباط شديد فهو ومنذ سنوات يؤذن في مألطة أو في أسيرطة لا فرق.. ولا حياة لمن تتادى.. للفساد مازال سيد الموقف.. المصريون من سينى إلى أسوا.. وأراهن أن أحمد رجب يسأل نفسه كل صباح.. لماذا لكتب..؟، حالته مازالت كما وصفه أنيس منصور منذ ثلاثة سنوات فى عموده مواقف قال: سألتنى أحمد رجب: مالك؟ أجبتة: وأنت مالك؟ فصارحنى بأسباب القرف وبرودة الوحدة وقسوة الظلام كل ليلة وعذاب اليقظة كل صباح، سألتنى: وبعدين؟ قلت: ولا حاجة.. اضرب دماغك فى دماغى فى أقرب حائط، سألتنى وبعدين؟ قلت: مفيش بعدين فنحن الآن فى البعدين، فقال لى: طيب نتقابل من حين إلى حين.. قلت.. عشان آيه؟ قال: عشان نضع نهاية لهذه البعدين، قلت: هذه البعدين هى بداية النهاية.. فقد بدأ العد التنازلى لكل شيء.. ونحن نهبط بباراشوت هادئ وعيوننا على السحاب حتى لا نرى لرتظامنا بالأرض.. قال أحمد رجب: يا نهار أسود.. الكلام ده جد!

هل مازال أحمد رجب يقول: يا نهار أسود.. الكلام ده جد.. أم أنه أدرك أنه حتى هذه الكلمة لا تستحق عناء النطق بها.. إن أحمد رجب واحد من الكتاب العظام لا يختلف عليه الكثيرون حتى ما قالته لى صافى نازر كاظم ذات مرة وكتبته بعد ذلك فى معرض حديثها عن عملها فى مجلة الجيل قالت: كان أحمد رجب وسيماً للغاية مثل نجوم السينما الأمريكية يبدو متعالياً متعجباً لكنه مع ذلك لم يكن فتى الشاشة الأول، كنت مضطرة أحياناً أن أتعامل مع أحمد رجب ولم أرتح أبداً مع تعاليه ومعجبانيته وتقمصه أحياناً لدور الأستاذ على أمين صاحب دار أخبار اليوم، وفى مرة من المرات زعق بوجهى وقال لى: أنا مش عاوزك عندى أنت مرفوته.. وضحكت لأن هذه كانت الجملة التى اشتهر بها المرحوم على أمين وهزرت كتفى وقلت له "مش لايق فيها".. لم أتعامل مع كلام صافى بجدية لأنى أعرف أن من هوياتها إلقاء الطوب على الناس بلاسبب؟

إننى أنظر باحترام شديد لتجربة أحمد رجب.. بقمها وسفوحها وإذا كان قد بقى شيء فاسمحوا لى أن أقول: إننا لا نستحق هذا الرجل!

ਗੁਰੂ ਗ੍ਰੰਥ ਸਾਹਿਬ

ਪੰਨਾ ੨੨

22

الوجه الآخر لوحيد حامد

وأنا داخل إلى فندق الميريديان الذى يقضى فيه الكاتب الكبير وحيد حامد معظم وقته، تخيلت للحظة أنى سأقابل رجلاً صاحباً عنيفاً لا يكف عن المشاكسة، يصب جام غضبه على الجميع بلا رحمة.. لكننى عندما جلست إلى مائدته التى اختارها بعناية إلى جوار النيل العظيم انهار تخيلى على صخرة المشهد، وحيد يجلس إلى أحد أصدقائه - عرفت بعد ذلك أنه مدير الفندق - رجل هادئ إلى درجة مذهلة، تذكرت بصورته أحد كبار قريتنا الذى أخذ من إحدى الأشجار المجاورة للنيل مستقراً له يتأمل المارين أمامه فى صمت - وعندما كان يتحدث - لا ينطق إلا بالحكمة.

كان سعيداً للغاية.. قلت "هذا طبيعى، فقد فاز بجائزة التفوق - اللقاء كان عام ٢٠٠٣ -.. لكن المفاجأة أن وحيد حامد كان سعيداً لأن الناس فرحت به وله، يومياً يقابل أشخاصاً لا يعرفهم يقدمون له التهنئة يعتبر هذا انجازه الحقيقى فقد وصل إلى الناس البسطاء الذين عمل طوال حياته من أجلهم، أكثر من أربعين عاماً قضاها وحيد ناسكاً فى مدينة الشعب المصرى يكتب لهم وعنهم.. توارقه مشاكلهم.. وعندما لا يعجبه خالهم كان يدفع بالدم الطازج فى شرايين الناس كي يستيقظوا ويهبوا من غفلتهم.

قررت منذ البداية أن يكون الحديث مختلفاً.. فالناس يعرفون وحيد حامد الكاتب السينمائى الشهير، المفكر المستتير الذى أوقف قلمه ليحارب جيوش الظلام وطبوره، لكنهم لا يعرفون التفاصيل التى تسكن تحت جلد هذا المواطن المصرى الحقيقى، الذى يشعر طول الوقت أنه مدين لهذا الوطن بالكثير.. ويعتبر ما يفعله

الوجه الآخر لوحيد تامر

مجرد سداد لهذا الدين.. وعلى هذه الخلفية بدأ الحوار الهادئ الذى سرعان ما تصاعدت حرارته وأحياناً حدته.

لخص وحيد حامد رؤيته للمجتمع المصرى ببساطته المعهودة، فمنذ فترة قريبة جداً كان لا يمكن أن تجد أحداً يتباهى بالخطأ، الآن الناس يتباهون بالخطأ والفساد، تقول لهم هذا خطأ فيقولون لك "وماله"، ولذلك يتعجب وحيد من حالة الفتونة والبلطجة التى أصبحت سائدة فى المجتمع المصرى - يشعر أن كثيراً ممن يراهم غرباء لا يعرفهم.. فما زال يحتفظ ببيكارته التى حملها من قريته "بنى قريش - منيا القمح - شرقية" التى ولد بها عام ١٩٤٤.

مفتاح وحيد حامد الأساسى الذى من خلاله تدخل إلى شخصيته هو قريته، حتى قعدته الشهيرة فى الميريديان حيث يفكر ويكتب تعود بجذورها إلى القرية يقول: قعدتى فى الميريديان نوع من تأثرى بقريتى.. لم يكن أمامى هناك حواجز.. لم أعرف الكتل الخرسانية، الكون كله كان مكشوفاً أمامى.. للكون كله بتاع ربنا كان ملكاً لى.. وأنا جالس إلى ماننتى فى الميريديان أتذكر هذه الأيام واستنشق عيرها.

كان وحيد حامد حتى يصل إلى مدرسته يمشى ٢ كيلو يومياً.. كان يفكر ويتخيل.. حتى أنه قال لى إنه لولا أحلام اليقظة التى نسجها خلال رحلته إلى المدرسة لما أصبح كاتباً.. ثم إنه لم يكن يتصور مطلقاً أن يصبح كاتباً سينمائياً.. علاقته بالسينما بدأت فى قريته يقول: كانت شركات السماد تعمل دعاية لنفسها، كانوا يرسلون "عربية" عليها ماكينة عرض ١٦ ملى ويعملون إعلانات عن سماد أبو طاقة يعرضون جزءاً من فيلم، عرفت إن فيه سينما.. وكان إلى جوارها للراديو، مسلسل "خمسة وربيع" لعب نورا مهماً جداً فى حياتى، ووقت فراغى كنت أفضيه مع الكتاب ويرجع الفضل فى ذلك للدكتور عبد القادر حاتم.. كان ينتج كتاباً كل ست ساعات، وكان الكتاب بـ ٣ قروش. وفى بلدنا وحتى فى مرحلة المراهقة لم نكن ننظر للستات نظرة خارجة.. كان الاحترام يفرض نفسه، لم تكن هناك وقاحة.. كان من العيب أن تقول مجرد أن هذه البنت حلوة.

الوجه الآخر لوحيده تامر

هذا التأثير الكبير الذي لعبته قرية بنى قريش فى حياة وحيد حامد مازال يلقى بظلاله عليه وعلى إبداعه.. لكنه عندما زارها العام الماضى قرر ألا يعود إليها مرة أخرى، لأن الصورة الجميلة التى عاشها هناك لم يجدها، اختفت تماماً، لم يجد الغيطان التى تربي وسطها، قالها وحيد بأسى: "لما نتوه عن طرق كنت حافظها صم ولا تجد عينك لشيء اتحفرت جوارك.. تشعر أن جسدك تشوه".

هذا الاحساس الطاغى هو الذى يتعامل به وحيد حامد مع خصومه ومنتقديه.. على هامش حديثه عن بداياته ودخوله عالم الكتابة ذكرته بما قاله مصطفى محرم فى مذكراته من أنه قابل وحيد وهو مازال شاباً فقيراً يكتب القصص القصيرة.. ولما كتب أول فيلم سينمائى فوجئ مصطفى أن الفيلم مقتبس. وحيد وبهدوء علق قائلاً: أنا كنت "ساكن" فى درب الجماميز ومصطفى محرم كان ساكناً فى حارة السادات المتفرعة من درب الجماميز، كان كل بتوع للكتب يعرفوننى، وكان مصطفى محرم يخرج كل يوم "مهندم"، أصحاب المكتبات عرفونى عليه.. على أنه كاتب سينمائى، وكنت وقتها أكتب قصصاً قصيرة، بقيت أشوف مصطفى أحياناً وهو راجع من شغله. لا أعرف عنه شيئاً ولا يعرف هو عنى حاجة، وكونه يتكلم عنى بشكل سيئ فهذه مشكلته وليست مشكلتى فليس فى حياتى ما أخجل منه.. ومصطفى فى مذكراته يجرح فى الأمور.. سمح لنفسه بذلك فليس بعيداً عليه أن يجرح فى الأحياء.

هذا التسامح قد يراه البعض غريباً.. لكن وحيد حامد يفصله. هناك أشياء يتسامح فيها وهناك أشياء لا يغفرها على الإطلاق، فهو يتسامح عن طيب قلب عندما تأتبه ضربة من شخص أصغر منه.. أما إذا كانت الضربة من شخص فى مستواه أو أكبر منه فلا يتنازل عن حقه أبداً!

الكلام عن تسامح وحيد حامد يجرنا رغماً عنه إلى خلافاته فى الوسط الفنى.. كل يوم تسقط على رأسه اتهامات.. مرة بأنه يقتبس كل أفلامه.. ومرة هو غاضب من محمد هنيدي لأنه رفض له فيلماً.. ومرة وحيد ينصب نفسه وصياً على الإبداع ويمنع فيلماً سينمائياً.. لم يفعل وحيد وهو يتحدث رغم أنه وبطبيعته شخصية لفعالية.

الوجه الآخر لوديع تامر

هو ليس لصاً للأفكار - وكما يقول - أنا لا أدفع عن نفسي ومثني محتاج أحد يدافع عني، وأنا لن أدخل في معارك، لأننا لسنا في زمن معارك، لقد رفعت على قضايا كثيرة جداً، ففي فيلم "البرئ" وهو أعظم ما كتبت على الإطلاق، كان يعرض في مهرجان القاهرة وكنت "فرحان" طبعاً لكن فجأة ظهر ما سرق فرحتي، خمسة مؤلفين مرة واحدة ادعوا أنني سرقت فكرة الفيلم منهم، وتعجبت فكيف أسرق من خمسة مؤلفين، وفي فيلم "النوم في العسل" رفيق عمري جمال الغيطاني الذي كنا نقسم اللقمة سوا وكان يبسلفني الكتب.. فوجدت به يقول لي: أنت سرقت النوم في العسل من روايتي "حارة الزعفران" فقلت له يا جمال إحنا مش حنعض في بعض.

الحكايات مازالت تنهال.. والكلام مازال لوحيد: واحد كان بيشتغل سكرتير تحرير في مجلة أكتوبر رفع على قضية وقال إني سرقت منه قصة النوم في العسل، جاعني عبد العال الحمامصي وهو حي يرزق، وقال لي نحل القضية بتاعة "النوم في العسل" وديا، نراضى الولد بحاجة، ورفضت وخسر المدعى القضية في الابتدائي، عمل استئنافاً وقلت للحمامصي لو كسبت الاستئناف حارفع قضية تعويض وبلا رحمة.. وكسبت الاستئناف.. لكني لم أفعل شيئاً ولن أفعل شيئاً لأنني أقدر شعور هؤلاء.. فكل واحد منهم يكتب شيئاً يعتقد أن ما فعله أفضل شيء في الدنيا.. وهي لحظة خادعة لا أريد أن أحرم الآخرين منها.

الشيء نفسه حدث مع وحيد حامد في فيلم المنسي، كاتب شاب كتب رواية بطلها اسمه يوسف المنسي، بعد عرض المنسي ذهب إلى اتحاد الكتاب وقدم شكوى ضد وحيد وشكاه أيضاً في نقابة المهن السينمائية، أفلنت أعصاب وحيد للمرة الأولى وقال: معقول أولجه شاباً صغيراً وأحاسبه على رعونته وعدم رؤيته.. أنا كان نفسي حد ينطق ويرفع على قضية ويقول إني سارق منه طيور الظلام.. علشان كان يروح يشيل عني القضايا التي رفعت على بعد عرض هذا الفيلم.

الوجه الآخر لوحيده حامد

وصلنا إلى هندي، قلت له هل أنت غاضب من هندي؟ قل وبسرعة: لا طبعاً ولو عندي فيلم لمحمد هندي حيروح له، ولو عندي خلاف مع أى ممثل وينفع فى فيلم لى هاجيبه، فأنا لست ضد أحد.. لقد أرسلت لمحمد هندي سيناريو.. ولم يرد والتمست له العذر وقدرت حالة النشوة التى يعيش فيها.. فكل للناس تجرى وراءه.. ولا بد أنه والسبب خاص به لم يقرأ السيناريو والحقيقة أننى مش محتاج هندي لكنه لو جاعنى فخير وبركة.

موقف وحيد حامد من الفيلم الذى كتبه ماجد خير الله وقيل إنها استوحيت أحداثه من حياة يسرا كان غريباً، لقد اعتبرت وحيداً يدافع عن قضية خاسرة.. فالفنانات فئة من فئات المجتمع.. ولا مانع أن يصور فيلم يعرض لجانب من حياتهن بمالديهن من عيوب وما عندهن من ايجابيات، كان هذا رأيى ولا يزال.. لكن وحيد حامد له رأيه أيضاً يقول: الموضوع أننى سمعت أن واصف فايز يعمل فيلم يسى فيه للفنانين، اتصلت به وهو صاحبى وقلت له بقى يا راجل أنت سينمائى أنت.. طب سبها لغيرك.. ثم إن الفن يحارب الآن بصراوة شديدة جداً.. وقد انتهى للموضوع عندما أكدت ماجدة خير الله أن الفيلم ليس فيه إساءة لأحد.

يلفت انتباهك فى وحيد حامد أنه يتحدث بتلقائية شديدة.. وكأنه رجل بلا حسابات.. لدرجة أن طريقته فى الحديث تجعلك تعتقد أنه مسنود.. فجراته فى الغالب زائدة عن الحد وعندما تتابع القضايا التى يناقشها فى أفلامه ستقول لقطع ذارعى إن لم يكن مسنوداً.. قلت لوحد عندما يصل الكاتب إلى درجة من النجومية والشهرة.. هل يؤثر ذلك فى علاقته بالجهات الرقابية التى تتعامل مع ابداعه؟ فقال لى أنا حاجيبها لك على بلاطة.. فيه ناس بتقول إبنى مسنود فى الرقابة؟ وأنا أقول أنا مسنود فعلاً.. لكنى مسنود بقانون الرقابة.. اعرف القانون ثم طالب بحقك، المادة ٧ من قانون حق المؤلف تقول إن المؤلف هو صاحب الحق فى مصنفة الفنى ولا يحق لأحد غيره التدخل بالحذف أو الإضافة فالرقابة ترفض العمل أو تقبله لكن تطلب تعديله فهذا غير قانونى وإذا رفضت الرقابة فعندك لجنة تظلمات وإذا رفضت لجنة التظلمات فعندك المحكمة.

الوجه الآخر لوحيد حامد

ما لا يعرفه حتى الرقباء عن وحيد حامد أنه يتعامل مع الرقابة على طريقة الحلوى، فهو يشغل الرقابة بمشهد جنسى تناقشه وتعرض عليه وتصر على حذفه.. ويكون هذا المشهد موضوعاً في الفيلم تحديداً حتى تمر مشاهد أخرى فيها أفكار سياسية ساخنة، وحيد - وربما يفعل ذلك بمكر للفلاحين - يستغل حساسية الرقابة من يوم ربنا ما خلقها بالجنس فأى رقيب يضع تحت كلمة قبلة أو عرى خطأ، حتى ولو لم يعترض عليها.. يقول وحيد.. خلى للرقيب يحط "خطوط" تحت القبل.. فالذى يغضبني أن يضع الرقيب خطأ تحت جملة تحمل فكرة أو رسالة سياسية أسعى إلى توصيلها للناس، ثم إن الرقابة ليست وحدها هي التي تزعج المبدع وتورقه.. فالرقابة كانت قد صرحت بعد فيلم "البرئ" .. لكن الله يخرب بيت للعروض الخاصة، في العرض الخاص للبرئ أحد المثقفين الكبار ما أعرش كان عميلاً لمين قال: يا نهار أسود ده لو كل عسكري أمن مركزي في أيده بندقية غضب تبقى كلرثة.. وتدخلت الأجهزة الأمنية.. وقرر ثلاثة وزراء أن يشاهدوا للفيلم.. المخرج ربنا يسامحه بقى قال قبل ما يقطعوا في الفيلم.. أقطع أنا وجاء الوزراء ليشاهدوا الفيلم وهو منقطع جاهز!

لم يكن وزراء البرئ هم الوزراء الوحيدون للذين عرفهم وحيد.. فهو يعرف شخصيات في مواقع المسئولية.. لكنه لا يرغب في الحديث عنهم.. فالسلطان عنده هو البعيد عن السلطة، يعرف مسئولين كبار لكنه يعرف حدوده جيداً، فهو صديق للشخص وليس صديقاً للمنصب ورغم أن له صداقات ممتدة مع وزراء لكنه لم يطلب أى شيء من وزير.. لم يسع للحصول على خدمة أو مساعدة من أحد، وحتى لو طلب شيئاً لنفسه فلا بد أن يكون مشروعاً وغير مخالف للقانون.. يقول وحيد: كان المهندس سعد شعبان صديقاً لى.. وكان مديراً لمكتب الرئيس مبارك لفترة طويلة، كنت محتاجاً لركب تليفوناً في البيت وكان هذا شيئاً صعباً جداً، ذهبت له وقلت: عاوز "تليفون" ضرورى لأنى كاتب ومراتبى بتشتغل في التليفزيون، قال لى: بص يا وحيد معاك فلوس تدفع التليفون الفورى، قلت له أه

الوجه الآخر لوحيه تامر

فقال لى: ادفع فلوس للتليفون الفورى وبعدهما تدفع أخدمك إذا لم يركب فى موعده.. كنت سعيداً جداً لأنى تعلمت كيف تكون الأمور نقيه وشفافه.

هذه واحده. الحكاية اللثائية عند وحيد حامد بطلها على حسين محافظ القليوبية، فقد رجاه وحيد بصفة شخصية، شرح له حالة سيدة بسيطة جداً عندها بنت تدرس فى كلية الحقوق، بيتها وقع وبناتها فى الشارع، قلت له لازم يتوفر لها سكن مناسب وأمى، وتفضل مشكوراً ومساعد فى توفير سكن، هذا ما أقطه مع المسئولين - لا أطلب شيئاً لنفسى حتى لو احتجت ذلك.

الوزراء على مائدة وحيد حامد.. ندخل بهم إلى علاقته بالرؤساء.. لقد عاش مرحلة تكوينه الأولى فى عصر عبد الناصر.. ونضج فكراً فى عهد السادات.. وشارك بفعالية الأفكار والمواقف فى عصر مبارك.. شاهد هو على العصور الثلاثة.. ولذلك دخلنا به ساحة الشهادات على الرؤساء الثلاثة، كان مفتوناً بعبد الناصر وفى فترات زمنية لاحقة عندما رأى الأمور بعين ناقدة عرف أن هناك سلبيات وقعت.. لكنه عنده فى النهاية صاحب فضل كبير على مصر رغم كل ما حدث من تجاوزات وأخطاء فى عهده.

السادات عند وحيد حامد وفى مرآته الخاصة كان يتعامل مع السياسة بأسلوب حاتم الطائى، لكن حاتم الطائى كان ينبج خروفاً أو جملاً، إنما السادات نبج القضية الوطنية ظناً منه أن هذا فى مصلحة مصر: لقد كان حكيماً.. ورغم ذلك فإننى لم أفكر فى كتابة فيلم عن السادات، فهناك موضوعات لا أكتبها لأنها لا تتفق مع ميولى.. لا أتفاعل معها بدرجة كافية، فانا من طموحاتى أن أكتب فيلماً عن الحاكم بأمر الله فهو شخصية درامية ويمكن أن أناقش من خلاله قضية الحكم.. ويمكن أن أكتب فيلماً عن عبد الحليم حافظ لأننى أحبه.. لكنى لم أفكر فى كتابة فيلم عن السادات.

قلت له وهل تريد أن تتحدث عن مبارك فقال لى: ولم لا.. مبارك مهنته طيار.. وهى مهنة تستدعى ألا تأخذ قراراً فجائياً، كله محسوب، ولا توجد

الوجه الآخر لوحيد حامد

قرارات انفعالية، وهذا في حد ذاته جيد.. لكن تحتاج في لحظة من اللحظات أن تأخذ قراراً حاسماً وهذا يحدث كثيراً.. والمشكلة في مصر الآن أن هناك وجهتي نظر.. الأولى تقول أنه لا يحدث تغيير وفيه "ناس" قاعدة على قلب الشعب المصري الذي هو ملول بطبعه ويحتاج إلى التجدد دائماً ووجهة النظر الأخرى هي أنه لا داعي للتغيير فمادت شايغ شغاك كويس ببقى خلاص.. طالما أن الذي يثبت فسادة يخرج من الحكم، ويجزم وحيد حامد أن حسنى مبارك لو كان يحكم في فترتى عبد الناصر والسادات لكان أفضل منهما بسبب عقلانيته وحسابته التى يراعيها قبل أن يأخذ أى قرار.. لكن الظروف تغيرت الآن.. الصراعات العالمية أصبحت أكبر والمشاكل أصبحت أكثر.. ولا بد أن يكون الحساب على قدر المسئولية.

يحمل وحيد حامد وجهات نظر عديدة فى الناس والسينما والسياسة والحب.. يظهر بعضها فى أفلامه.. لكنه يحتفظ بالعديد منها فى ذاكرته التى تخترن وجوه الناس وملامح الشوارع.. ضبطته وأنا جالس معه وهو يتعامل كأب.. برقة شديدة تحدث مع مروان ابنه.. اعتذر له عن خطأ تسبب فيه وحيد واصاب مروان بحرج.. ابتسمت عندما وجدته يقول لابنه أن ما حدث كان سيناريو فاشلاً منه.. لقد حاول مداعبة مروان ولكن المداعبة قلبت بجد.. مشهد إنسانى رائع.. فالكاتب الكبير الصاخب المشاكس الذى يواجه مئات القضايا المرفوعة ضده فى المحاكم.. يتحول فى لحظة إلى دفقة حنان غامرة.. ويتحول فى لحظة أخرى إلى طفل سعيد بجائزة الدولة للتفوق، حكى لى عن تفاصيل الحفلة التى نظمها له عمال الميريديان.. كان يسأل كل من يمر عليه عن صور الحفل.. كان سهلاً على بعد ذلك أن أعرف سر عبقرية وحيد حامد.. فهو منح نفسه للناس وبخل بها على السلطة.. لأنه يراهن على الجواد الرابع.. والناس دائماً يبقون.. حتى لو أرادت لهم السلطة عكس ذلك.

مَدَائِدُ
مَدَائِدُ

23

مجلات المطعنى للتكفير

أظن وبعض الظن ليس إثماً أن د. عبد العظيم المطعنى العالم الأزهرى الذى يحمل على كتفيه أكثر من سبعين عاماً الآن.. لا يفعل شيئاً فى حياته إلا تتبع ما تنتجه المطابع من كتب وروايات ودواوين شعرية، يتفرغ لها تملأ.. يقرأها بالقلم الأحمر يفتش فى ضمانات أصحابها ونياتهم.. وسرعان ما يكتب تقريراً مفصلاً أو مقالاً ساخناً يعرض فيه بصاحب الكتاب أو صاحبة الرواية مستعدياً عليهم المجتمع وراجماً إياهم بمعصية الله والخروج على الإسلام.

لم يفعل ذلك فقط مع كتاب أحمد الشهاوى "الوصايا فى عشق النساء".. لكن وفى كل مرة كان الغبار يتزايد على المفكرين والمبدعين.. فلا بد أن تجد المطعنى حاضراً بحرابه وسهامه، فبعد أيام من صدور كتاب "فترة للتكوين فى حياة الصادق الأمين" للمرحوم خليل عبد الكريم.. والذى تناول فيه سنوات ما قبل نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم.. قم عنه المطعنى تقريراً إلى مجمع البحوث الإسلامية ختمه بقول: إن هذا للكتاب يمثل عملاً عدوانياً على عقيدة الأمة وينكر مبدأ الرسائل السماوية إنكاراً قاطعاً ويزعم أن جميع الرسل والأنبياء صناعة أرضية بشرية.. فيجب حظر تداوله وجمعه من منافذ البيع بل ويجب إعدامه، والحمد لله أن المطعنى كان يقصد الكتاب وليس كاتبه.

بعد أسبوعين فقط جلس المطعنى إلى مكتبه ليكتب تقريراً عن كتاب "المرأة والجنوسة فى الإسلام" .. وهو كتاب لباحثة مصرية تقيم فى أمريكا منذ سنوات.. صدر بالإنجليزية عن منشورات الجامعة الأمريكية وترجمه المجلس الأعلى

مطعن المطعن والتكفير

للتقافة ضمن المشروع القومي للترجمة.. وهو كتاب يبحث في وضع المرأة في الإسلام عبر المراحل التاريخية المختلفة وعلاقة الثقافة الإسلامية بقضايا "الجنوسة" وتعنى للتمييز في الأوضاع الاجتماعية والسياسية حسب الجنس، للمطعن كان له رأى آخر وفي تقريره لمجمع البحوث الإسلامية قال: إن الهدف من الكتاب هو إعلان أن الإسلام لم يأت برؤية ولا بحضارة جديدة بل هو مزيج من حضارات الأمم والشعوب الأخرى والعقائد الوضعية والدينية لشعوب الشرق الأوسط. لم يكتف المطعن بذلك بل اتهم الكاتبة بأنها تشكك في سماوية القرآن وتحرف وقائع السيرة النبوية متعمدة.. وكالعادة طالب بإعدام الكتاب.

وعندما عقدت وزارة الثقافة مؤتمرها الأخير الذى وضعت مناقشاته تحت عنوان "تحو خطاب ثقافى جديد" لم يتردد المطعن فى إعلان الحرب.. وبقلب بارد عبر زاويته فى الجريدة الإخوانية اعتبر المؤتمر حرباً على الإسلام.. والمدهش أنه صاغ بعض القرارات مدعياً أنها صدرت عن المؤتمر ومنها: القرآن لم يعد صالحاً لإدارة شؤون الحياة لأنه منته أى ضيق محدود ووقائع الحياة غير منتهية فكيف يصلح المنتهى (القرآن) لحكم غير المنتهى؟! الأحاديث النبوية مكنوبة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عشرة أحاديث فلا يجوز العمل بهذه الأحاديث المكنوبة، لا يجوز الاقتداء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هو الذين زوروا الأحاديث النبوية، إلغاء الحرام والحلال ولكل إنسان أن يفعل ما يشاء.

ولا أدرى ماذا كان شعور د. المطعن وهو يكتب هذا الكلام.. وهل كان يعتقد أن أحد سيصدقه أو يثق فى كلامه.. فكل ما قاله المطعن عن مؤتمر وزارة الثقافة مخلق ولا أساس له من الصحة.. ولن أكون مبالغاً إذا اعتبرته يدخل فى باب الخرافات والخزعبلات. وما لطمئن إليه الآن أن د. المطعن الذى حمل راية التكفير لسنوات طويلة كبر وبلغ من العمر عتياً فبعد أن كان يجلس ليقراً ويبحث

مدارات المطعنى للتكفير

أصبح يكفر سماعياً.. نون أن يتأكد هل حدث ما يقوله أم لا.. ولذلك فقد وقع فى خطأ فاضح أثناء تحريضه على كتاب الشهوى الذى فشل للمطعنى فى أن ينال منه فلم يسمع له أحد.. ولم يستجب لتحريضه أحد.

فى مقاله الذى نشرته نفس الجريدة الإخوانية والذى شبه فيه "لوصايا" ببروتوكولات حكماء صهيون "ويدعو إلى الفسق للنساء" استخدم المطعنى مفردات ليست موجودة فى الكتاب ونسبها إليه كما اسقط علامات التصييص التى استخدمها الشهوى عند استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات للشعر القديمة وأقوال السلف.. وقد فعل ذلك كله كي يلصق بالشهوى تهمة ليست فيه.. وليصدر للأوساط التى تتابعه ضحية جديدة يحاول من خلالها أن يثبت أنه يرضى الله.. ويبعث له رسالة يقول له فيها أنه وكيله فى الأرض.

إصرار عبد العظيم المطعنى على إشعال نار الفتنة بين وقت وآخر.. قد يكون فى اعتقاده نوع من التقرب إلى الله.. لكنه أمر فى اعتقاده يحتاج إلى تحليل نفسى، لقد عاش المطعنى حياة عادية للغاية.. ولد فى أسوان عام ١٩٢٢.. حصل على الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٩٥٧.. والثانوية عام ١٩٦٢.. ثم حصل على الماجستير فى البلاغة والنقد عام ١٩٦٨.. وفى نفس التخصص حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٣.. وفى هذه الأثناء عمل مدرساً بالأزهر.. وظل بها حتى أصبح أستاذاً وفى عام ١٩٨٨ عين نائباً لرئيس قسم البلاغة والنقد بالكلية.. حتى الآن ليس فى حياة المطعنى ما يلفت الانتباه.. فهو أستاذ جامعة عادى له مؤلفاته ومذكراته ومحاضراته ويكتب للصحف من آن لآخر بعض المقالات.. ولا يبخل على محرر برأى يطلبه منه فى أى موضوع وأى وقت.

النقلة الضخمة التى حدثت فى حياة المطعنى كانت عندما أعير عدة مرات إلى جامعات فى السعودية فمئذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٩٥.. أى على مدى ستة عشر عاماً أعير المطعنى إلى جامعات الملك عبد العزيز وأم القرى والتربية

مخالفات المطعني للتكفير

للبنات.. وكلها في مكة المكرمة.. هذه الفترة تجعلنا لا نتعجب مطلقاً من التشدد الذي يبديه عبد العظيم المطعني في آرائه.. فقد تمت تغذيته بفكر وهابي متشدد.. ولم تكن هذه التغذية مجردة من المكاسب المادية.. ولذلك ليس غريباً أن يخلص المطعني لهذا الفكر.. الذي يقف بعداء ملحوظ لكل ذي فكر لو فن أو إبداع.. حتى لو ادعى أصحابه غير ذلك.

لقد تغيب عبد العظيم المطعني فترة طويلة عن مصر.. وعندما عاد قرر أن يصبح اسمه معروفاً ومشهوراً، كتب المقالات في مختلف الصحف وكانت صورته تنشر إلى جوارها. ولم يلتفت له أحد فاختر الطريق السهل.. وهو "كفر كاتباً تصبح مشهوراً.. أطلق سهامك النارية على أعناق المبدعين يصبح أسمك على كل لسان.. لا تتردد في أن تجعل نفسك وكيلاً لله في الأرض.. فلا بد أن يعرفك الناس".. لقد نصب المطعني نفسه قاضياً ومفتشاً في ضمائر الناس وأدعى أنه يفعل ذلك من أجل حماية الإسلام.. ويأليته فعل ذلك بأخلاق إسلامية.. لكنه كان بعيداً كل البعد عن روح الإسلام السمحة.. فهو لا يتورع عن استخدام ألفاظ نابية وشتائم صريحة لخصومه.. ولا يتردد كذلك في أن يدس على من كتب عنهم كلمات وعبارات و فقرات لم ترد في كتبهم كل ذلك ليحقق غرضه.. بأن يستأثر بأكبر كم من الأضواء التي أصبح أسيراً لها.. ولم تجعله سنوات عمره العديدة يهدأ.. وكان لما قاله جابر عصفور أمين المجلس الأعلى للثقافة دلالة واضحة.. فعندما سمع أن الطلقة الأولى في معركة الشهاوى أطلقها للمطعني قال: هو الرجل ده مش هيتهد بقي!

لن يهدأ المطعني بالطبع.. فهو لن يصبر على ابتعاد الأضواء عنه.. حتى ولو كان الثمن ضحية جديدة أو رقبة أديب أو كاتب.. يضعها تحت سكين الجهل المطبق الذي يعتبر كل اجتهاد خروجاً على الإسلام.. وكل إبداع كفراً صريحاً.

رسالة

إلى

24

رسائل عائلة عبود الزمر السرية

منذ عدة شهور جاعنى محمد الزمر.. قال لى أنا ابن خالة عبود الزمر.. ومعى رسالة كتبتهأ أمه تناشد فيها المسئولين أن يفرجوا عن ابنها الذى قضى فترة عقوبته بعد أن حكم عليه بـ ٢٥ سنة سجنأ فى قضية اغتيال الرئيس السادات، كانت كلمات الأم حزينة.. مستعطفة، ورغم عدم قناعتى بما فعله قتلة السادات إلا أنى ومن مساحة إنسانية بحثة نشرت الرسالة ليتحمل بعد ذلك من بأيديهم مصير عبود الزمر المسئولية.. لم تكن رسالة أم عبود الزمر شيئاً مهماً بالنسبة لى.. كان المهم هو مجموعة من الشرائط أعطاهأ لى محمد الزمر سجلها بصوته.. وقال وقتها إن بها اعترافات كاملة.. وإذا أردت أن تعرف من هى عائلة الزمر فاسمعهأ.. لم أهتم للأمر كثيراً.. فواحد من العائلة ماذا سيقول عنها إلا كل خير.

نسيت موضوع الشرائط تماماً.. لكنى تذكرتها منذ أيام فقط.. بعد أن أصبح اسم عبود الزمر مادة متداولة على خلفية الإفراج عن عدد كبير من أفراد الجماعة الإسلامية الذين شاركوه فى قتل السادات.. فمرة تتسرب الأخبار عن مفاوضات يجريها عبود ليعلن توبته وتراجعته كما فعل قادة الجماعة الإسلامية.. ومرة يخاطب وزير الداخلية بأن يمنحه فرصة ليؤدى فريضة الحج هذا العام.. ومرة ثالثة تخرج شائعة سرعان ما تجهض وهى أن عبود للزمر تم الإفراج عنه وقد وصل إلى بيته فى "ناهايا".

الذين ينتظرون الإفراج عن عبود الزمر يبنون اعتقادهم أنه مادام تم الإفراج عن كرم زهدى فمن الممكن أن يتم الإفراج عن عبود، فالإثنان كلنا فى مركب

واحد.. وكل ما أعلنه كرم عن أن السادات مات شهيداً أو أنه أخطأ وجماعته في حق المجتمع المصري يوافق عليه عبود ومستعد أن يبصم عليه بالعشرة.. لكن يفوت هؤلاء أن عبود غير كرم.. كرم كان شاباً طائشاً كل ما فعله أن خطط ومساعد في سرقة محلات الذهب لتمويل خطة اغتيال السادات وقبض عليه بعد أن فشل في الهرب أثناء محاولة الاستيلاء على مديرية أمن أسيوط.. أما عبود فكان له شأن آخر.

لقد ولد عبود في الإمام الشافعي ودرس بالثانوية السعيدية وبعد أن تخرج في الجامعة أصبح ضابطاً وتولى رعاية أسرته بعد وفاة والده.. وقد تزوج مرتين الأولى طلقها بعد ثمانية شهور والثانية "وحدة" وهي ابنة خالته وشقيقة طارق الزمر.. فكر عبد السلام فرج صاحب كتاب "الفريضة الغائبة" بعد أن بارك خطة خالد الإسلامبولي لاغتيال السادات في استشارة عبود الزمر باعتباره المسئول عن الجناح العسكري في تنظيم الجهاد.. وهناك من يقول إن عبود اعترض في البداية على اغتيال السادات لأن التنظيم ليس مستعداً لتحمل المزيد من الفشل.. لكن عاد ليوافق في النهاية.

كان عبود خلال الفترة التي سبقت اغتيال السادات مطلوباً من كل أجهزة الأمن السرية والعلنية وقد وجه له السادات بنفسه إنذاراً في خطاب ألقاه قبل اغتياله بحوالي عشرة أيام قال فيه: إنني أعرف أن هناك ضابطاً منهم هارباً وربما يكون يسمعى الآن.. لقد اعتقلنا كل الآخرين في خمس دقائق وإذا كان هو قد تمكن من الفرار فإنتى أقول له إننا وراءه هو الآخر.. ولعل هذا الإنذار كان للسبب في تردد عبود فبعد أن قال لطارق الزمر الذي كان رسولا بينه وبين عبد السلام فرج: إننى لا اعترض على قتل السادات من حيث الشرعية ولكن اعترض لأننا لم نستعد للقيام بثورة شعبية تعم البلاد ككل.. أمامنا امان او أكثر ونحقق ذلك ولا أدرى لماذا يصمم محمد عبد السلام على قتل السادات الآن؟ هل نسى أننى فشلت في قتل السادات في المنصورة منذ ساعات قلائل وقبضوا على الكثير من زملائنا..

رسائل عائلة عبود الزمر المصرية

عاد عبود بعد ذلك واعتبر أن مقتل السادات هو الخطوة الأولى التي يمكن أن تعقبها خطوات أخرى يقومون هم بها بمساعدة الجماعات في القاهرة والصعيد بقلب نظام الحكم وإعلان الثورة الإسلامية.. فمصر بعد تنفيذ عملية الاغتيال ستكون في حالة خوف وفوضى يسهل معها ومع تصاريح مزيفة دخول ماسبيرو والسيطرة على الإذاعة وإعلان الثورة التي يبدو أن عبود كان متأكدا أن جموع الشعب المصري كانت ستخرج إلى الشوارع لتأييدها.

كان عبود إذن على رأس التنظيم الذي خطط لاصطياد رقبة السادات.. لكن كرم كان مجرد شابا عاملا أوكلت له مهمة محددة ولذلك فكان من السهل أن يتراجع عن أفكاره القديمة التي لم تكن في الحقيقة أفكاره هو.. ولكن كانت أفكار تنظيم يسير في ركابه.. وكان من السهل كذلك أن يقتنع رجال الأمن بتوبة زهدى ويقومون باستيعابه وتقويمه وإعادة تأهيله تمهيدا لدمجه في نسيج المجتمع دون نظرف أو إرهاب.. شىء من هذا لن يستطيع أن يفعله عبود الزمر لأنه كان صاحب الفكرة.. فلا هو سيتراجع عنها.. ولا هو سيجد من يقتنع أنه تراجع عنها بالفعل.. ولذلك فإن مصيره سيظل بيد الله وحده.

في انتظار هذا المصير لا يستطيع أحد ولا حتى عبود الزمر نفسه أن ينكر أنه ليس وحده ضحية ما فعل.. فقد انهارت أسرته، لقد أشفقت على محمد الزمر بشدة بعد أن استمعت إلى شرائطه التي سجلها بنفسه.. إنه واقع تحت أوهام لا حصر لها.. فهو يعتبر أن شرائطه مثل شرائط أسامة بن لادن التي تحمل الوعيد للحكام.. وهو يعتبر نفسه مسئولاً عن كل الحوادث الإرهابية التي شهدتها مصر في العشرين سنة للماضية بداية من ثورة الأمن المركزي التي اندلعت في منتصف الثمانينيات ونهاية بمنبحة الأقصر في نهاية التسعينيات.. بل إن عدم الاتزان قاد محمد الزمر ليعتبر نفسه مسئولاً عن أحداث ١١ سبتمبر فهي وقعت في شهر ٩ واسمه مكون من تسعة أحرف.

ما لفت انتباهي في شرائط محمد الزمر هو التحول للدرامي في تاريخ هذه الأسرة التي كان يخطط أحد أبناءها لقلب نظام الحكم في مصر، فقد بدأوا برسائل

رسائل عائلة عبود الزمر السرية

سرية لها شفرة خاصة.. للانتقام من الحكومة التي قبضت على عبود.. والتخطيط لتخليصه من قيوده وانتهت برسائل علنية يعلوها الاستعطاف وتبطنها الأحزان ويقودها الضعف إلى مكاتب المسؤولين الذين لا يلتفتون إليها.. إن العائلة الآن تحاول أن تصدر الرسائل على لسان الأم مظهرين حاجتها لرؤية ابنها عل المسؤولين يرفون لحالها ويعطفون على ضعفها فيطلقون سراح ابنها.

الرسائل السرية كانت في البداية يقول محمد الزمر: عندما اغتيل السادات كنت في ليبيا وعرفت أن عبود قبض عليه.. وبدأت الخطابات تصلني من أبي إبراهيم الزمر وأمي نعيمة عبد المجيد الزمر شعر أن الأمر ليس طبيعياً بالمرّة.. لاحظت أنني تحت مراقبة شديدة وعرفت أن الجوابات التي تصلني تفتح ليعرفوا ما فيها.. فأرسلت لأمي أحذرها ألا تقول شيئاً في الخطابات وقلت لها إن صواني الرقاق المبعوتة وقعت وبلت الجوابات.. وفي وسط هذه الضجة أرسلت شريطاً عليه أغان أجنبية كان بعضها تعطي معنى أن هناك حرباً محتملة خاصة وأنه كانت على حدود ليبيا استعدادات حربية. ومن بين الرسائل التي أرسلتها وكنت أعلم أنها ستفتح رسالة وضعت فيها إشارة إلى أن مصر ستدفع الثمن غالياً إذا حصل أي مكروه لابن خالتي عبود الزمر. ويبدو أن عائلة الزمر كانت في حاجة لابنها محمد ولذلك أرسلت له رسالة عبر أغنية للمطربة وردة هي "بنده عليك بالحب تجيلي" وفهم من الرسالة أنه لا بد أن ينهي كل أعماله في ليبيا ليعود إلى مصر مرة أخرى.. لكنه كان قد قرر أن يعمل من خلال وجوده في ليبيا.. وعندما تم الحكم على عبود الزمر بالسجن.. ترك محمد الزمر إلى مكتب بريد في طرابلس عند ميدان السواحل.. كان يشعر أن المخابرات الليبية تراقبه.. لكنه أكمل خطته، يقول محمد الزمر: مسكت للجواب وكتبت العنوان على القاهرة ونحن نسكن في ٥٥ شارع عبد الخالق وصفي.. طيب التكرار والعكس فيكون الشارع يمكن أن يكتب شين أو يكتب شارع شين ألف راء عين، وكتبت أنا شين وفوقها شارع عبد الخالق وصفي وساعتها وجدتها مكشوفة.. قطعت الجواب وكتبت بعدها شين شارع فوقها عبد الخالق وصفي وكملت العنوان ووجدتها كده تمام

رسائل عائلة عبود الزمر العموية

ووضعتة في الظرف وأرسلت الرسالة. وكان الهدف من الرسالة أن أقول لهم: لو أنتم "حتظلعوا" عبود.. اعتبروني تحت أمركم من الصباح.. ويؤكد الزمر أنه عندما وصل الجواب انقلبت الدنيا في مصر وأعلنت حالة الطوارئ.. وكانت المشكلة كيف سيعود إلى مصر.. فوض أمره إلى الله وانتظر الفرج.

لقد تعرض محمد الزمر إلى هزات نفسية عديدة خلال حياته داخل السجن وقضى فترة طويلة في الحبس الانفرادي أثناء وجوده في ليبيا، حاول الانتحار أربع مرات.. قطع شريان يده اليسرى لمسك مسلك كهرباء قوته ١١٠ فولت.. وبعد أن خرج من السجن حاول أن ينتحر مرة خامسة حيث ألقي بنفسه أمام أتوبيس كي يتخلص من حياته.. لكن تم إنقاذه في اللحظة الأخيرة وتم إيداعه في مستشفى "جرجارش" وهي مستشفى أمراض نفسيه مثل مستشفى للعباسية عندنا، ظل محمد الزمر في المستشفى حوالي شهر.. وعندما نزل مصر ووجد أن عبود الزمر مازال محبوساً أيقن أنه كان يعيش في وهم كبير.. وكل الشفقات التي كان يرسلها لم تكن لها أية نتيجة فقرر كما يقول أن يشتغل شغل مخبرات.. ويبني على ذلك أنه كان وراء كل العمليات الإرهابية التي هزت أمن وأمان مصر، بل أرسل رسالة مطولة إلى أحد المسؤولين في الداخلية بعد مذبحه الأقصر وقال له أنسى ولا تقول بلد الأمن والأمان.. خلاص أنا هاخذ حقي بدراعي وملكش دعوة".

بن اعترافات محمد الزمر ليست على مسئولية عبود الزمر.. فهو مسئول عنها وحده.. وصلت إلى ٦ ساعات وفي بعض مسطورها إشارة إلى أن هناك شرائط أخرى واعترافات أخرى، فلدى ٣ شرائط فقط من سبعة سجلها محمد الزمر.. عن طفولته والعلاقات المتشابكة والمعقدة بين بيوت عائلة الزمر.. عن علاقتهم بالجيش ورغبتهم في الانتقام لواحد منهم.. ورأيه في السلطة في مصر من ثورة يوليو وحتى الآن.. وهي آراء لا يمكن نشرها.. فهي من جهة مجروحة.. ومن جهة ثانية ليس لها ما يسندها من منطق أو عقل.. فطوال شرائطه

رسائل عائلة عبود الزمر السرية

نسمع شائعات تتردد في الشارع للمصري.. ونكتأ تلقى على المقاهى ونواصى للشوارع.. ولا مانع كذلك من وضع مقاطع عديدة من أغنيات أشهر المطربين والمطربات المصريين بداية من أم كلثوم.. ونهاية بشاهيناز مروراً بعصرو دياب وهانى شاكر.

لقد استقر عندي أن كل ما قاله محمد للزمر مجرد فضفضة.. ومحاولة استعراض قوة في غرفة مغلقة عليه، لأنه فشل أن يفعل شيئاً إيجابياً من أجل عبود الزمر الذى قضى مدة عقوبته كاملة ومازال سجيناً حتى الآن.. ويبدو أن المرارة زادت في حلقه عندما وجد نفسه يحمل رسائل استعطف واسترحام يمر بها على الصحف لتنتشرها عل أحدًا يسمع له.. وهو الذى كان يعتقد لفترة قريبة أنه قادر وبشدة على فعل المستحيلات.. فهو وفى مواطن كثيرة من اعترافاته يخاطب الشعب المصرى ويقول له.. قل لى ماذا تريد وأنا أنفذه لك فوراً.. ولا أعرف كيف سينفذ وهو يعانى حتى الآن نفسياً ويتلقى لذلك علاجاً.

إن هناك من الأحداث التى تقضى على أسر بكاملها.. وما فعله عبود الزمر قضى على أسرته وها هى تجنى مازرعت يدها.. لقد حلم بأن يصل إلى الحكم بقوة السلاح.. حاول تنفيذ ذلك.. لكنه فشل.. ولا بد أنه ما زال حتى الآن ورغم السنوات التى مرت عليه يعتقد أنه الأحق بكل شىء ولولا أن الظروف عاندته لكان حقق ما يصبوا إليه.

ليس لدى موقف محدد من الإفراج عن عبود الزمر.. فالأمر بيد أصحابه.. لكننى أرى فقط أن الأخطاء الكبرى يدفع أصحابها ثمنها حتى النهاية.. ولا يسامحهم المجتمع فيها ومهما قدموا من اعتذارات أو طلبوا من رحمة.. إن ما يفعله عبود الزمر الآن ليس إلا حلاوة روح كما يقولون حاول أن يدخل فى معمة المراجعات.. لكن لم يسمح له أحد.. حاول أن يحدث قلقاً وضجة حتى يلتفت له أحد دون فائدة.. والآن ليس أمامه إلا أن يتذكر رسائل الأوهام السرية التى تبادلتها عائلته لإتقائه فى البداية.. و ينتظر رسائل أمه العنوية التى تطلب فيها الرحمة بابنها.. وهى الرسائل التى أعتقد مجرد اعتقاد أنه لن يستجيب لها أحد.

تولدة

الشيخ صالح

25

دولة الشيخ صالح

يعتبر مریدو الشيخ صالح أبو خليل حياة شيخهم الشخصية أمراً خاصاً به، لا يشغلون أنفسهم بكم يبلغ من العمر.. وهل هو متزوج أم لا.. فمن آداب الصوفية ألا يسأل المرید أين يذهب ولية بعد أن يسلم عليه.. ولذلك كان من الصعب للغاية أن نقض غلالة الأسرار التي تحيط بالشيخ صالح.. وحتى أوصافه الشكلية التي تبدو من صورته يأبى المریدون أن يتحدثوا عنها.. فالوصف لا يجدى.. لو لا يوجد كلام يمكن أن يصفه، لأنه من ذاق عرف.

لم بمنعنا هذا أن نحاول الدخول إلى عالم الشيخ صالح أبو خليل.. نتجول في دولته التي لا تضم مریدين فقط ولكن تضم أولياء أيضاً.. والبداية من نسبه الذي ينتهى عند على زين العابدين بن الإمام الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.. اسمه محمد أحمد الشافعى محمد أبو خليل ويعرف بين مریديه بالشيخ صالح أبو خليل.. مناصبه كما يعرفها الجميع.. رئيس للجمعية الخليلية الإسلامية فى الشرقية وهى جمعية خيرية مشهورة برقم ٦٠٢ لسنة ١٩٨٥ وتعمل فى مجالات الخدمة الاجتماعية والثقافية والدينية وتقيم الاحتفالات والندوات الدينية كما أنه وكيل نقابة الاشراف عن بندر الزقازيق وهى النقابة التي يرأسها أحمد كامل يس، أما شيخ الطريقة الخليلية فهو الشيخ محمد محمود إبراهيم أبو خليل.. وتولى مشيخة الطريقة خلفاً لوالده بقرار من المجلس الأعلى للطرق الصوفية فى ٩ ديسمبر عام ١٩٨٨ وهو يمارس مهام منصبه طبقاً للقانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ بشأن تنظيم الطرق الصوفية.

محبة الشيخ صالح

وليس هناك ما يمنع أو يضر من وجود طريقة خيلية وجمعية خيلية، فهذا التنوع هو تعدد في وسائل التعبير عن الحب الإلهي وتعدد في أساليب التدريس والتعليم والتعبير وهو أمر لصالح الصوفية وليس عليها، فالصوفية سبع طبقات: الطالبون والمريدون والسالكون والسائرون والطائرون والواصلون.. وهؤلاء ستة والسابع هو القطب الذي قلبه على قلب رأس الله، وهو وارث العلم الذي خص به الله رسوله دون غيره، والانتقال من طبقة إلى طبقة أعلى في الصوفية لا يحتاج قراراً إدارياً، بل يحتاج إلى منحة سماوية، يخص بها الله من يشاء من عباده دون تفسير أو تبرير، فإله سبحانه وتعالى حر فيما يملك ولا اعتراض على مشيئته.

ويبدو الشيخ صالح أبو خليل من السابقين في نور الله، يمشى في طريقه منذ عام ١٩٧٦ ملايين من المريدين والأتباع وهم في مصر وخارجها من كافة رموز المجتمع وطبقاته سياسيون وفنانون.. مهندسون ومستشارون.. أثرياء وبسطاء.. بعضهم يقصده لحاجة دنيوية فلا يرد.. وبعضهم ترتفع حاجته إلى ما هو أكبر وأثمن، تهدئة النفوس وهدايتها وتمنى الحصول على حفنة من نور الله، وفي كل الأحوال هناك تأكيد لسماحة الدين وصفاته.. مدده وبركته، وللشيخ كذلك مؤلفات يحرص عليها أتباعه منها كتب "كشف الغطاء عن أهل البلاء" وكتيب "الصدق مع الله" وكتيب "الطريق إلى الله".

وما يجذبك إلى للطريقة الخيلية أن كل الطرق الصوفية جميعها في مصر وخارجها تقوم على خلفاء.. أما هذه للطريقة فهي الوحيدة التي تقوم على شيخ حتى.. موجود بين الناس يراهم ويرونه.. وهو ليس واعظاً تقليدياً.. يفضي لمريديه بموعظة سرعان ما تتبخر في الهواء.. لكنه مؤثر للغاية.. فهو يتعامل مع مريديه بقاعدة من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.. فإله يهدي أتباعه إليه كولي.. ثم يقوم هو بهداية المرید على يديه إلى طريقه.. ولذلك فليس غريباً أن يسيطر الشيخ صالح على آلاف الناس من مختلف الطبقات فلاحين وفنانين ورجال أعمال وعلماء أزهري.. كلهم يتلقون كلامه بنفس الدرجة ويحدث فيهم جميعاً نفس التأثير.

مدونة الشيخ صالح

ويخص الشيخ صالح مرديه بجلسات متنوعة يخصص لها يومى الاثنين والخميس وهى جلسات تبدأ من الساعة الواحدة ظهراً وتنتهى فى الرابعة عصراً يدخل عليه المرید الذى تكون عنده مشكلة.. وتستغرق المشكلة ما تقتضيه المشكلة، فبعض الجلسات لا تستغرق سوى دقائق معدودة وبعضها يمتد لساعات.. وفى مجالس الذكر التى يعقدها الشيخ صالح مع مرديه تبدأ بقراءة بعض المدائح النبوية وقراءة أجزاء من بردة البوصيرى ثم قراءة بعض مدائح الشيخ أحمد الشافعى والد الشيخ صالح أبو خليل ثم يبدأ أحد المنشدين فى الإنشاد الدينى ثم يقوم أحد علماء الأزهر بإلقاء كلمة أو موعظة.. وهى مهمة يتولاها عادة علماء الأزهر.. فالشيخ صالح لا يقدم لمرديه مواعظ ولكنه يتعامل معهم بمنطق المربي الذى يربى أبناءه الذين أصبح منهم الآن أولياء.

غير الجلسات العامة التى يعقدها الشيخ صالح أبو خليل لمرديه كل اثنين وخميس فإنه يعقد جلسات خاصة عادة ما تكون يوم الأحد وتكون فى الغالب للشخصيات العامة ونجوم المجتمع ونادراً ما ينتقل الشيخ صالح أبو خليل إلى الآخرين لكنه فى المناسبات الدينية مثل الإسراء والمعراج يعقد جلساته خارج الزقازيق وحدث هذا فى احتفاله بالإسراء والمعراج عام ٢٠٠٢، حيث حضره فى فيلا بالهرم يملكه أحد مرديه وحضر الاحتفال عدد كبير من أبناء الشيخ.

ولأن لكل ولى كرامات فلا بد من الحديث عن كرامات الشيخ صالح أبو خليل.. وهى كرامات لا يتحدث عنها الشيخ بنفسه.. بل يتحدث عنها مريدوه، والغريب أن السائد بين هؤلاء المریدين أن لكل ابن كرامة أو أكثر.. ولا يحرص الشيخ صالح أبو خليل على أن يؤكد أن الغطاء مكشوف عنه.. رغم أن ما يحدث منه أحياناً يؤكد ذلك.. دخل عليه أحد مرديه هو وزوجته فقال له: مبروك عليك ولى العهد.. وبالفعل بعد أقل من أسبوع اكتشف المرید أن زوجته حامل.. ولا تخلو كرامات الشيخ صالح أبو خليل من بعض الطرافة.. دخلت عليه سيدة مريضة بالضغط قالت له هل أخذ دواء الضغط أم لا.. فقال لها أنت بتمشى..

محنة الشيخ صالح

فقلت له نعم فقال لا . فلا تأخذى الدواء .. خرجت للمرأة لتقول أن بامشى كثير
ولذلك فلا داعى للدواء .. لم يكن الشيخ أبو خليل يقصد للمشى العادى الذى يمشيه
الناس .. ولكنه كان يقصد المشى فى طريق الله .. ولكن المرأة فهمت خطأ .

إن الصوفية تقوم على ذكر الله والصلاة على رسوله وحب آل البيت وكلها
فرائض اضافية مكلف بها للمؤمن حتى وإن لم يسم صوفياً .. والصوفية محبة
والمحبة لتباع والحب لمن تحب طاعة والاتباع ليس عبادة، فالمحبة ليست عبادة ..
لكنها الأساس الذى يقوم عليه الإيمان .. ولذلك كان طبيعياً أن يرى أحد مریدی
الشيخ صالح أبو خليل أن أكبر كرامة للشيخ هى تغيير حياة مریدیه والخروج بهم
من حياة الضيق الشديد التى يعيشونها إلى حياة أرحب وأوسع .



26



ငံ့ မိဂုဏ်
သေ့သု ငါး

عواصف على جمعة

كان ما حدث مجرد مصادفة ، أرسل لى قارئ رسالة قال فيها: شاهدت يوم السبت ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٣ د. على جمعة فى برنامج "لنيا ودين" يرد على سؤال من أحد المشاهدين.. كان السؤال: هل يجوز للمسلم بيع الخمر ولحم الخنزير لغير المسلمين؟.. وكانت الإجابة التى أفرغت للقارئ هى: نعم يجوز للمسلم شراء الخمر ولحم الخنزير وبيعهما لغير المسلمين، وذلك بقصد التجارة وليس لاستخدامها الشخصى! صعق القارئ من كلام د. جمعة واستغاث بالمفتى د. أحمد الطيب الذى أصبح الآن سابقاً أن يدلى برأيه فى هذه الفتوى الخطيرة وهو ما لن يفعله د. الطيب الذى كان يحب الصمت وهو مفت.. فما باللنا وقد أصبح الآن رئيساً لجامعة الأزهر!

الآن أشفق على من استغاثوا بالمفتى السابق ليتصدى لآراء على جمعة.. بعد أن أصبح هو نفسه المفتى الجديد.. وكأنى بهم الآن يقفون تحت مظلة من استجاروا من الرمضاء بالنار.. لكن ما لا يعرفه الكثيرون أن على جمعة ليس ناراً ولا رمضاء.. ولكنه واحد من العلماء المجددين ويمكن أن نعقد عليهم الأمل إذا ما سلم من متطلبات منصبه أن يجدد روح الإسلام كما فعل قبل ذلك علماء عظام مثل محمد عبده ومحمد أبو زهرة وعبد الحليم محمود ومحمد الغزالي..

لكن هذا حديث سابق لأوانه.. فعلى جمعة مازال يخطو خطواته الأولى فى أرض قلقة تجبر من يقتحمها أن يتحسس خطواته وأفكاره قبل أن يفتح فمه بشيء.. الآن أمامنا الرجل بما تعلمه وبما قدمه..

قبل أن يصل إلى دار الإفتاء كان يعمل أستاذ لأصول الفقه فى كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر.. ورغم أنه أصبح أستاذاً فى جامعة الأزهر فإنه لم يبدأ دراسته فى الأزهر، فهو حاصل على بكالوريوس للتجارة من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢.. ثم التحق بعدها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية فى الأزهر

عواصف علي جمعة

وحصل منها على الدكتوراه عام ١٩٨٨ .. ومن بين ما أنجزه خلال رحلته العلمية تأليف ٢٠ كتاباً كلها في أصول الفقه والاجتهاد وعلاقة أصول الفقه بالفلسفة وتجديد أصول الفقه والتعامل معه من جنوره.. وهو صاحب ثقافة موسوعية.. يجيد اللغة الإنجليزية كتابةً ونطقاً.. ساعدته في المشاركة في مؤتمرات عالمية عديدة.. ولأنه يؤمن بأن كل إنسان يجب أن يفعل ما يحبه.. عملت بنقله الثلاثة في تخصصات بعيدة عن الدراسات الإسلامية.. فالكبرى دعاء متخصصة في اللغة الإنجليزية التي حصلت على ليسانس من كلية الآداب.. والوسطى إيمان درست في كلية التجارة متتبعه خطوات أبيها الأولى، أما الصغرى أميرة فحصلت على دبلوم في رياض الأطفال.. زوجته اسمها عفاف وحاصلة مثله على بكالوريوس تجارة.. لكنها اتجهت بعد ذلك إلى دراسة الشريعة فحصلت على ليسانس فيها ثم على دبلوم في أصول الفقه.

لم يكن د. علي جمعة اسماً مجهولاً قبل أن يصبح مفتياً.. وهو ما لم يحدث مع سابقه. فلم يكن أحد يعرف شيئاً لا عن د. نصر فريد واصل أو د. أحمد الطيب قبل هبوطهما على دار الافتاء.. فكل منهما كان مجهولاً تماماً.. لكن د. علي جمعة ومنذ فترة ليست طويلة أصبح نجماً تستضيفه البرامج على القنوات الفضائية والأرضية، بل إنه قدم برنامجاً على قناة دريم الثانية هو "الكلم الطيب".. واستمع له للناس كثيراً خطيباً من على منبر جامع السلطان حسن.. وجهه كذلك مألوف للغاية.. ويبدو أن د. علي جمعة كان يعرف أن التطور الطبيعي لنشاطه وفتاواه ولقاءاته أن يصل إلى دار الافتاء فقد تخلى منذ فترة عن زيه الأفرنجي (البدلة الأنيقة للغاية).. إلى الزي الأزهرى الذى يعرفه الناس ورغم أنه ليس شرطاً أن يرتدى المفتى لو حتى شيخ الأزهر الزى الرسمى.. فإن الناس تستريح أكثر في هذا الزي على علماء الدين.. ويبدو أن د. جمعة يبحث بالفعل عن راحة الناس ليس في المضمون فقط ولكن في الشكل أيضاً.

من اللحظات الأولى جعلنا د. جمعة ندرك أنه سيكون مفتياً مختلفاً عن سابقه.. فقد بدأ بنزع الألبام من طريقه.. كل من سبقوه اصطدموا بجهات الافتاء المختلفة التي يسحب بعضها البساط من تحت أقدام دار الافتاء ويضعونها في حرج.. د. نصر فريد واصل تعامل مع هذه القضية بعنف شديد.. وأصر في البداية على توحيد كل جهات الافتاء في يده لكنه فشل.. وتراجع أمام ضغوط من

عواصف علي جمعة

سخرُوا منه واعتبروه يريد أن يحكم مصر لا أتى تولى الإفتاء فيها.. د. أحمد الطيب لم يتطرق إلى هذه للقضية من قريب أو بعيد فاعتبره المتابعون للشئون الإسلامية ضعيفاً وغير قادرة على المواجهة.. د. علي جمعة كان نمطاً مختلفاً فلم يصطدم ولم يتجاهل.. فقد دعا غير المؤهلين للفتوى إلى عدم الخوض فيها حتى لا تحدث بلبلة في أفئدة الناس وعقولهم.. وهو ما يعني أن تضعف المشاعر الدينية لديهم وتهتز العقيدة في عقولهم.. وذلك لأن أهل الفتوى هم العلماء للمدركون لمقاصد الشريعة وأدلتها من الكتاب والسنة والمعرفة بقواعد اللغة العربية.. ولم يمنع هذا أن يحمل د. علي جمعة على من يتصدى للفتوى بغير علم.. بل وصف من يفعل ذلك بأنه مجرم.. لم يعاد المفتي الجديد أحد إذن.. يعرف أنه لن يستطيع أن يوحد الإفتاء في جهة واحدة.. فاختار أن ينسق معهم، فإذا كان يستطيع أن يكسبهم فلماذا يخسرهم؟!

اللغم الثاني الذي انتزعه د. علي جمعة من طريقه.. هو ما كان يقال دائماً عن الصدام بين شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي وأى مفت قائم.. وصل الصراع إلى ذراه بين د. فريد واصل ود. طنطاوي بل كان هناك من أكد أن هذا الخلاف كان من بين الركلات التي دفعت د. واصل إلى خارج دار الإفتاء.. فقد كنا مختلفين دائماً.. ولم يكن اختلافهما من هذا النوع الذي يمكن احتواؤه فتفجرت العلاقة بينهما أكثر من مرة.. مرت فترة د. أحمد الطيب بسلام.. فهو لم تكن لديه طاقة لا للاتفاق ولا للاختلاف.. د. علي جمعة من اللحظة الأولى أعطى لشيخ الأزهر حقه كاملاً.. فهو أستاذه ليس بالمعنى المعنوي فقط ولكنه كان عميداً لكلية أصول الدين التي كان يعمل بها على جمعة معيداً.. ليس هذا فقط.. بل أعطى علي جمعة موافقة علي بياض لكل ما سيقوله شيخ الأزهر.. أو ما قاله سابقاً.. وهو ما يعني أن الصدام بين القائمتين ليس وارداً.. إلا إذا جاءت المقادير بما لا يتوقعه أحد وانتهى أداء علي جمعة في دار الإفتاء بترشيحه ليكون شيخاً للأزهر.. وهو ما يمكن أن يحدث بسهولة.. فالمفتي الجديد يحمل سمات خاصة لا تؤهله لدار الإفتاء فقط.. ولكن تؤهله لما هو أكثر.

هذه الأزمات استطاع علي جمعة أن يحتويها ويطويها تحت جناحيه.. لكن هذا لن يمنع أن تحيط به العواصف – وساعتها لا بد أن يتخلى عن منطقته الذي تحدث به عن علاقته بشيخ الأزهر وجهات الإفتاء.. العواصف ستأتي تحديداً من

عواصف على جمعه

موقف على جمعة من إسرائيل والعمليات الاستشهادية.. ولا أتوقع ذلك بعد سؤال سيأتيه.. فقد قال رأيه بالفعل.. حدث ذلك في حوار أجراه معه موقع "حقلق مصرية" الذي يشرف عليه الإخوان المسلمون.. قال على جمعة كلاما كثيرا.. هذا بعضه وبالنص:

من يتسال من الشباب متجها للجهاد على أرض فلسطين دون إذن الحاكم ويسقط قتيلًا هو شهيد لأن فلسطين حالة خاصة وليست هي الحالة الموجودة في الأرض، لأن فلسطين فيها عدو استولى على أرض وهذا الاستيلاء جرمته الموثق والقرارات الدولية ومع ذلك لم يتبع للصهاينة إلا منطق القوة والأمر الواقع، وترك العالم اليهود يسعون في الأرض فسادًا، فاستطاعوا أن ينتزعوا الشريعة الدولية إلى الآن للأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ والتي ينشئون بها المستوطنات ويكون فيها البلاد ويرتكبون المذابح وينتهكون المقدسات خاصة مدينة القدس الشريف، فإسرائيل إذن حالة خاصة لا وجود لها في الأرض فنحن أمام احتلال مجرم وهذا هو أصل الإرهاب.

ومن يقوم بعمليات فدائية ضد الصهاينة ويفجر نفسه هو شهيد دون شك لأنه يدافع عن وطنه ضد عدو محتل وتؤيده الدول الكبرى مثل أمريكا وبريطانيا. الصهاينة لم يفرقوا بين المدني والعسكري وجعلوا الشعب كله تحت طلب الجيش والمستوطن المدني الذي يحتل الأرض في حالة حرب هو حربي، ثم إنهم جميعاً سواء عسكريين أو مدنيين يحملون السلاح أي أنهم من أهل القتال، والصهاينة أيضاً لم يفرقوا بين الحدود فاحتلوا جميع الأرض .

يجوز قتل الإسرائيلي للمسافر خارج حدود دولته لأنه حربي.. والحربي هذا مفسد في الأرض، ويجوز قتل الإسرائيلي حتى لو كان يرتدي زيا دبلوماسياً كما يشاء.. لكنه مهدر الدم.. إلا أن مسألة هدر الدم هذه لا توجب قتاله إنما تجيز قتله فقط.

هذه الآراء ستجلب على المفتي الجديد عواصف عاتية ومن متابعتي له أعرف أنه رجل قوى الحجة يقف خلف رأيه ولا يتراجع عنه؟.. أعرف أنه سيتعرض لضغوط.. سيقفون على بابه يطالبون منه للتخفيف.. فهل يستجيب على جمعة لذلك؟!.. أنا في الانتظار.. أقلامنا معه تسانده.. ونقف خلفه.. وليس من حقه أن يخذلها.

ماہنامہ الطیور

27

صائد الطيور

هل أصف لكم ما حدث؟.. أم أن الحزن ملأ آذانكم فلا تريدون أن تسمعوا شيئاً جديداً؟.. وهل أحدثكم عن مدى الذل والهوان الذي وصلنا إليه؟.. أم أن بقايا الشيخ أحمد ياسين وهي لقاءه على الأرض تكفى للإجابة وتفيض؟.. وهل أحدثكم عن مستقبل المنطقة بعد عملية الاثنيين الحزين؟.. وماذا يفيد المستقبل إذا كنا نتلقى الضربات الموجعة ولا نجرؤ حتى على إعلان الألم.. لقد أحاطنى الحزن ومشاهد اغتيال الشيخ ياسين والذي كانوا معه تتوالى أمامنا.. ولا نستطيع سوى مصمصمة الشفاء.. وبعض الهتافات والمسيرات الهزيلة.. ولذلك تركت كل ذلك خلف ظهري.. لم ألتفت لأبطال الحناجر الفارغة.. ولا للغارقين في بحر التحليلات الرومانسية.. ولا للصامتين قليلى الحيلة.. فقط قررت أن أروى لكم مسيرة هذا الرجل.. فعملها تقنع الصامتين العرب أن الخلاص فى الكفاح وليس فى النواح.

فى طفولته البعيدة - ولد عام ١٩٣٦ بقرية الجورة - كان للشيخ أحمد ياسين بهوى اصطياد الطيور.. كانت متعة لا تدانيها متعة.. يقضى وقته من الصباح إلى المساء فى مطاردة الطيور والعصافير.. يجرى خلفها مغرباً إياها بالقرابين مرة.. وبالفخاخ مرة أخرى.. وفى كل مرة كان الطفل أحمد ياسين يحصل على ما يريده.. ويبدو أن صائد الطيور فى شخصية الشيخ ياسين ظل ملازماً له طوال حياته.. فبعد أن كبر ووجد أن الأرض محتلة والحقوق ضائعة والتبجح الصهيونى يتزايد أصبح صائد للأعداء.. الذين ضجوا به ولم يكن أمامهم إلا اغتياله.. اعتقاداً منهم أن أبناء المجاهدين سيتوقفون عن استلهاهم روحه ووصاياهم فى جهادهم وصعودهم إلى النجوم.. حيث سماء الحرية وفضاء الاستقلال.

سائق الطيور

كان أسرته فقيرة للغاية.. أمه امرأة بسيطة وهي حامل فيه جاءها هاتف في المنام وقال لها: أنت حملت، فإذا وضعتيه فسميه أحمد، احتفظت الأم بما أسره الهاتف لها لنفسها وعندما وضعته أخبرت نساء العائلة بأنها ستسميه أحمد.. اعترضن عليها.. رفضن الاسم.. فقد كان في العائلة رجل غليظ القلب.. شديد للبطش يكرهه الجميع اسمه أحمد.. وقد خشيت نساء العائلة أن يكون للطفل حظ من الاسم والصفة.. لكن الأم أصرت فما كان لها أن تخالف هاتفاً جاءها في المنام.

لم يكن أحمد ياسين يذكر شيئاً عن والده، فقد مات وهو مازال ابن خمس سنين.. لا يتذكر شيئاً من ملامح وجهه ولا تفاصيل حياته ولا شيئاً عن صفاته.. وضع القدر تربية أحمد ياسين في يد أمه فأحسنت تربيته بما يليق بأسرة فقيرة يتعب أبناؤها ليحصلوا على قوت يومهم بشق الأنفس. في مدرسة الجورة الابتدائية بدأ أحمد ياسين طريقه مع التعليم.. لكن الحرب التي تنهى كل شيء حرمته من مدرسته. فبينما كان يدرس في الصف الخامس الابتدائي وقعت كارثة ١٩٤٨. جاءت الهزيمة على كل شيء ولم ترحم الطفل للصغير.. حرمته من مراتع الصبا، إذ وجد نفسه يرحل مع أسرته إلى غزة.. وفي غزة ضاقت الأحوال على الأسرة الصغيرة.. ضاقت الحياة وعانت الأسرة مرارة الفقر والجوع والحرمان.. كان لابد للعائلة أن تاكل.. فلم يتردد أحمد ياسين في الذهاب إلى معسكرات الجيش المصري المرابطة في غزة ليأخذ ما يزيد على حاجة الجنود ليطعم به أهله.. توقف أحمد ياسين عن الدراسة لمدة عام كامل كان يدبر فيه مع أخوته أحوال الأسرة حيث كان يعمل في محل فول بغزة.. لكنه عاود الدراسة بعد ذلك.

عندما وصل أحمد ياسين إلى السادسة عشرة من عمره كان على موعد عنيف وقاس مع القدر، كان يلعب مع بعض زملائه عام ١٩٥٢. يحكى هو عن ذلك: "كنت نازل البحر لعب ومعى بعض الأصدقاء.. في حركة معينة وأنا

صائب الطيبر

باتشقلب على الأرض صار عندي للتواء فى العنق.. وكسر.. ولم أتمكن من الحركة نهائياً.. نقلت إلى المستشفى من هناك.. عملوا اجراءات طبية.. جبس على العنق استمر ٤٥ يوماً.. كنت لا أتحرك نهائياً.. بدأت الحركة خطوة بخطوة.. بدأت أقف على قدمي.. لكن طبعاً مشى الضعيف، قلو وقتت أى حاجة فى طريقي أقع على الفور.. بعد الـ ٤٥ يوماً خرجت من المستشفى.. فكيت الجبس عن عنقي وعدت إلى المدرسة.. كنت وقتها ضعيفاً جداً.. كنت إذا جئت لأمسك بالقلم لا أستطيع.. مرت الدراسة وأنا على هذا الحال".

كانت الحالة محزنة للغاية.. أصيب الرجل بشلل تام.. وخلال سنوات عمره زادت عليه الأمراض.. عانى من فقدان البصر فى العين اليمنى.. وكانت قد أصيبت بضربة أثناء التحقيق معه أثناء سجنه.. وبعد العين اليمنى أصيب بضعف شديد فى قدرة العين اليسرى على الإبصار.. هذا غير التهاب مزمن فى الأذن وحساسية فى الرئتين.. وبعض الالتهابات المعوية.. كل ذلك لم يضعف عزيمة أحمد ياسين.. فقد ظل حتى النهاية مجاهداً بالكلمة.. لأنه لم يكن يملك سواها.

فى عام ١٩٥٨ أنهى أحمد ياسين دراسته للثانوية، بدأ فى البحث عن فرصة علم.. كادت ظروفه الصحية القاسية تقف أمام مستقبله.. لكنه حصل على فرصة علم فى التدريس.. وكان معظم نخله من العمل يصب فى الإنفاق على أسرته.. ظروفه الصحية التى لم تقف أمام عمله.. لم تقف أيضاً أمام مشاركته فى المظاهرات التى اشتعلت بها شوارع غزة احتجاجاً على العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦.. فى هذه المظاهرات وضحت قدرات أحمد ياسين الخطابية.. وقتها كان يرفض الاشراف الدولى على غزة.. وأكد مطالب الفلسطينيين بعودة الإدارة المصرية إلى أرضه.

انتمى أحمد ياسين إلى جماعة الإخوان المسلمين مبكراً للغاية.. وكان هذا الانتماء سبباً لاعتقاله فى المرة الأولى من حياته.. كان ذلك عام ١٩٥٦، فقد اعتقلته المخابرات المصرية.. لكن اعتقاله لم يدم سوى شهر واحد تاكبت خلاله

سائف الطيور

المخابرات المصرية أن ياسين ليست له أية علاقة تنظيمية مع جماعة الإخوان المسلمين المصريين.. وهو ما أكده ياسين بنفسه بعد ذلك في برنامج "شاهد على العصر" الذي يقدمه أحمد منصور على قناة "للجزيرة" يقول: لنا لا أذكر في تاريخ حياتي أنه كان بيننا وبين إخوان مصر أى علاقات ، ولا أذكر في تاريخ حياتي أنى رأيت قيادة من قيادات الإخوان فى مصر إلا مرة واحدة كنت ذاهباً إلى القاهرة وفى مكتبة وهبة كنت أتجول بين الكتب ففوجئت بهم يقولون لى: هل تعرف من هذا؟ قلت لهم: لا، قالوا: هذا الاستاذ محمد قطب.. لكنى وحتى فى زيارتى الأخيرة إلى مصر كان من طلباتى أن أزور المرشد العام للإخوان لكن ذلك لم يتحقق .

بعد هزيمة ١٩٦٧ وقعت كافة الأرضى الفلسطينية فى قبضة إسرائيل.. كان لأحمد ياسين أن يقوم بدور.. فقام بما يستطيعه.. ومن فوق منبر مسجد العباسى قاوم الاحتلال بكلماته.. ودعا من خلال خطبه إلى جمع التبرعات لمساعدة المجاهدين وأسر الشهداء.. وواصل دعوته تلك من خلال رئاسته للمجمع الإسلامى فى غزة.. وظل على هذا الحال حتى عام ١٩٨٢.. كان إزعاجه للسلطات الإسرائيلية متواصلاً، فتم اعتقاله وكانت التهمة التى علقته فى عنقه هى تشكيل تنظيم عسكرى وحيازة أسلحة.. وصدر عليه حكم بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاماً.. لكن وبعد ثلاث سنوات فقط أطلق سراحه فى عملية لتبادل الأسرى بين إسرائيل والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

بعد عامين فقط وضع أحمد ياسين مع مجموعة من رفاقه حجر الأساس لحركة المقاومة الشعبية التى عرفت إعلامياً باسم حماس.. كان هدفها الأساسى هو تحرير فلسطين.. وأشعلت هذه الحركة الانتفاضة الأولى التى بدأت عام ١٩٨٧ وعرفت وقتها باسم "انتفاضة الحجارة".. ومن وقتها كان ينظر للشيخ ياسين كزعيم روحى لتلك الحركة.. فى عام ١٩٨٨ اقتحمت السلطات الإسرائيلية منزل الشيخ ياسين وفتشته وهددته بالنفى إلى لبنان إن لم يتدخل لإيقاف

صائم الطيور

الانتفاضة.. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.. فاعتقل الشيخ ياسين عام ١٩٨٩.. ودخل معه السجن المنات من أعضاء حركة حماس.. ظلت التحقيقات معه حتى عام ١٩٩١.. حتى أصدرت إحدى المحاكم العسكرية حكماً عليه بالسجن مدى الحياة.. وفي حيثيات الاتهام.. تمت الإشارة إلى أن الشيخ ياسين يحرض على اختطاف وقتل جنود إسرائيل وتأسيس حركة حماس بجهازها العسكري والأمني.

كان لابد أن يطلق سراح الشيخ ياسين.. حاولت ذلك كتائب عز الدين القسام وهي الجناح العسكري لحركة حماس. قامت الكتائب بخطف جندي إسرائيلي قرب القدس عام ١٩٩٢ وعرضت على إسرائيل مبادلتة مقابل الإفراج عن معتقلي حماس، لكن إسرائيل رفضت وخططت لإطلاق سراح الجندي فشنّت هجوماً على مكان احتجازه.. وبدلاً من أن تطلق سراحه قتلته في عملية الاقتحام.. وقتل في العملية كذلك قائد الوحدة الإسرائيلية وقائد مجموعة الفدائيين.

ما فشلت فيه حماس عام ١٩٩٢ نجح عام ١٩٩٧.. ففي عملية تبادل أسرى أخرى جرت بين الأردن وإسرائيل في أعقاب المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل في عمان، كانت الأردن قد ألقت القبض على اثنين من عملاء الموساد سلمتهما لإسرائيل مقابل إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين.. وبالفعل خرج الشيخ من السجن وبدلاً من أن يرتاح واصل عمله وتحريضه على قوات الاحتلال الإسرائيلي.

لم تنس إسرائيل للشيخ ياسين ما فعله بها ومعها.. حاولت التضيق عليه.. دفعت السلطة الفلسطينية للتعامل معه.. فرضت عليه السلطة الفلسطينية الإقامة الجبرية أكثر من مرة.. لكن كل ذلك لم يمنع من أن يصل صوت الشيخ ياسين إلى كل المعارضين للاحتلال.. وفي كل المظاهرات التي كانت تشهدها البلاد العربية احتجاجاً على الاحتلال الإسرائيلي.. كان الشيخ ياسين يتحدث إلى المتظاهرين عبر الهاتف.. وكان صوته الواهن يبعث في المتظاهرين حماساً.. فشتعل الهاتفات وتتواصل المظاهرات.

كائن الطيور

في سبتمبر ٢٠٠٣ حاولت إسرائيل اغتيال الشيخ أحمد ياسين.. استهدفت طائرات إسرائيلية شقته في غزة.. لكن محاولة الاغتيال فشلت ولم يصب الشيخ إلا بجروح طفيفة في ذراعه اليمنى، وقتها اتهم الشيخ ياسين وبشكل مباشر الرئيس الأمريكي جورج بوش بإعطاء الضوء الأخضر لإسرائيل باغتياله وذلك بالتحريض عليه.. وقال وقتها الشيخ ياسين أيضاً: هذا العدو الصهيوني إذا كان يعتقد أنه بطائراته ودباباته سيرهبنا فإنه واهم.. هذا الشعب لن تكسر إرادته أبداً بإذن الله تعالى، فهو المدافع عن كرامة الأمة وعزتها، لقد حاول العدو أن يفرض علينا الاستسلام إلا أنه فشل في ذلك، وها هي المرأة الفلسطينية تدخل المعركة الآن، لتلقن العدو الصهيوني درساً في المقاومة والتحدى.

ومن جانبها أعلنت حماس أن إسرائيل ستدفع ثمن محاولتها اغتيال الشيخ ياسين غالباً، فجميع أبناءها مشاريع شهادة.. وإذا أراد القتل من هذه المحاولة وقف مقاومة حماس للاحتلال فهم واهمون، فإن حماس تجود بقادتها وأبناء قادتها ولا تجود بشبر واحد من فلسطين، كما ان قادتها ليسوا أقل طلباً للشهادة.. ثم أن الذي يستحق القتل هم قادة العصابات الصهيونية الذين اغتصبوا فلسطين عام ١٩٤٨ وقتلوا أبناء الشعب الفلسطيني وشردوهم في منافي الأرض.

الآن .. قتلت إسرائيل الشيخ ياسين بالفعل ثم قتلت بعده خليفته عبد العزيز الرنتيسي.. فماذا ستفعل حماس؟.. أعتقد أنكم تنتظرون كما أننا جميعاً ننتظر!!

تَمَامُ

بَطْرِسُ عِلْمِ السَّرِيَّةِ

28

صفات بطرس غالى المصرية

بعد سنوات طويلة من الغياب عاد د. بطرس غالى ليستقر فى مصر لا يستمتع بأيامه بعيدا عن العمل الرسمى ومشاكله ، ولكن ليبدأ عملاً شاقاً يواصل به جهوده التى قضى فيها أكثر من ثلاثة أرباع عمره ، د. بطرس غالى يحمل على كتفيه اثنين وثمانين عاماً - ولد عام ١٩٢٢ - أتفق منها ما يزيد على خمسة وخمسين عاماً فى العمل السياسى والأكاديمى ورئاسة المنظمات الدولية ، دخل الأمم المتحدة كأمين عام لها عام ١٩٩١ وخرج منها عام ١٩٩٦ ، والآن هو يرأس ست مؤسسات عالمية مهمة منها مجمع القانون الدولى واللجنة الدولية لليونسكو ونادى موناكو ومركز الجنوب .

عاد بطرس غالى ليكون رئيساً للمجلس القومى لحقوق الإنسان.. وهو المجلس الذى يعول عليه المصريون أملاً كبيرة.. عودة بطرس غالى لم تكن هادئة.. فقد حمل معه معلومة ونبؤة ومحاولة لتصدير نفسه كراع لحقوق الإنسان.. والثلاثة أفصح عنها فى حوار مع مكرم محمد أحمد نشرته مجلة المصور.

المعلومة أن الرئيس مبارك اتصل به فى باريس فى منتصف يناير ليسأله إن كان لا يزال يحافظ على الرجيم ونصائح زوجته ؟ فقال له إن للبرد قارس فى أوروبا هذا العام ويتطلب بعض الطاقة والخروج عن الرجيم ، فرد الرئيس ضاحكاً : إنن لماذا لا تعود إلى دفاء القاهرة ، ثم أخبره الرئيس بتعيينه رئيساً للمجلس القومى لحقوق الإنسان ، شكا بطرس غالى للرئيس من كثرة مشاغله وكبر سنه ، فقال له الرئيس : ولكنك لا تزال نشيطاً يا بطرس ومع ذلك فسوف يكون د. كمال أبو المجد الذى اخترته نائباً لرئيس المجلس خير عون لك .

صفقات بطرس غالى السرية

لما النبوة فكانت كالتالى : فى عام ١٩٩٥ كان بطرس غالى ينهى فترته الاولى - التى كانت الاخيرة ايضا - فى منصبه كامين عام للأمم المتحدة.. كان واضحا أنه لن يستمر فالخلافات بينه وبين الولايات المتحدة وصلت إلى ذروتها بعد أن نشر تقرير لجنة قانا الذى أكد أن إسرائيل قصفت مخيم القوات الدولية فى جنوب لبنان عمدا رغم عدم علمها بوجود لاجئين لبنانيين من شبيعة الجنوب داخله.. وأن المذبحة لم تحدث دون قصد أو عن طريق الخطأ.. كان د. بطرس غالى فى زيارة إلى الهند.. وفى دلهى نصحه بعض أصدقائه أن يذهب إلى أحد العرافين الهنود المشهود لهم بالقدرة المتميزة على قراءة الطالع ، فاعله يكشف بعضا من نيات واشنطن تجاهه ، جلس بطرس غالى أمام العراف الهنودى الذى قال له : لن تتمكن من أن تكون سكرتيراً عاما للأمم المتحدة لفترة ثانية ولن يعاد لنتخابك.. لكنك ستظفر بعد القمر الألف من حياتك بنجم ساطع يقودك إلى مجد جديد.. وقد جاوز د. بطرس غالى هذا العام القمر الألف.. وليس بعيدا أن يكون المجد الجديد هو رئاسته للمجلس القومى لحقوق الإنسان !

نصل إلى المهم.. إلى المحاولة التى لم يتأخر د. بطرس غالى عن بذلها ليؤكد أنه أهل للمنصب الجديد.. كان يتحدث مع مكرم محمد أحمد عن الدبلوماسية الهادئة التى سيتمتع من خلالها أن يحقق كل المطلوب من المجلس القومى لحقوق الإنسان قال : عندما كنت سكرتيراً عاما للأمم المتحدة أستطعنا بهدوء وبدون ضجة أن نجنب نيجيريا حربا أهلية كان يمكن أن تندلع عام ١٩٩٤ بسبب القبض على عدد من الزعماء السياسيين ، كان من بينهم الرئيس الحالى أباسونجو، صحيح أننا لم ننجح فى الإفراج عن الجميع لكننا نزعنا فتيل الحرب الأهلية وخرج الكثيرون من السجون من خلال الدبلوماسية الهادئة .

كان يمكن أن يمر كلام د. بطرس غالى دون أن يستوقفنا.. وكان يمكن أن نتى على إنقاذه لنيجيريا من حرب أهلية.. لكن هناك إشارة واضحة إلى أن بطرس غالى وقف بصورة غير مباشرة وراء إشعال الحرب الأهلية فى رواندا..

الإشارة كاملة يحمل تفاصيلها كتاب عنوانه "شعب مضلل.. دور الغرب فى الإبادة الجماعية فى رواندا" مؤلفته هى ليندا ملفرن وهى صحفية وكاتبة.. استمرت كمراسلة لصحيفة الصنداى تايمز لمدة أربع سنوات ، لها محاضرات عن القضايا الدولية وكانت عضواً زائراً فى قسم السياسات الدولية بجامعة ويلز . كتاب ليندا صدر عام ٢٠٠٠ والمفاجأة أن الهيئة العامة للاستعلامات هى التى قامت بترجمته ولم تنس الهيئة أن تصدر للكتاب بعبارة طويلة قالت فيها: "لم تمتد الهيئة بالحذف أو التعديل فى المادة التى جاءت بين دفتى الكتاب التزاماً بسياستها العامة التى تحترم حرية الرأى والتعبير وعدم الحجر على أفكار المؤلفين والكتاب أو بتبديل الحقائق وبتغيير المفاهيم وغير ذلك مما لا يتفق ومصداقية الهيئة وأمانتها" .. وبهذا التويه تكون الهيئة قد برأت ساحتها مما جاء فى هذا الكتاب ووضعت المسئولية فى عنق المؤلف ودار النشر للصادر عنها الكتاب ، وهى بالمناسبة دار زد للنشر . تنويه الكتاب حاول التخفيف من التفاصيل المفزعة التى نقلها لكم كما وردت وبتفاصيلها ، فبعد عامين من وصول هايبير يمانا إلى الحكم فى رواندا وكان ذلك عام ١٩٧٧ وقعت رواندا اتفاقية تعاون عسكرية مع باريس.. لتصبح فرنسا وعلى امتداد خمسة عشر عاماً حليفاً رئيسياً لرواندا ، وقد فعلت فرنسا ذلك لخوفها من حدوث تعديلات أنجلوفونية فى أفريقيا.. ولم تكن أهمية رواندا فى أن لغتها الثانية هى الفرنسية.. ولكن لأنها تقع فى خط فاصل سياسى بين الفرنكفونية والأنجلوفونية فى شرق أفريقيا .

كان هايبير يمانا مقرباً للغاية من الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران.. لكن هذه الصداقة لم تضمن الاستقرار الكامل.. فقد ظهر للنور فى رواندا حزب جديد باسم "الجبهة الوطنية الثورية من أجل التطوير" .. وصل الحزب إلى مكان فى رواندا.. وعندما هجمت الجبهة الوطنية الرواندية على رواندا فى أكتوبر عام ١٩٩٠ اتصل هايبير يمانا هاتفياً على الفور بقصر الإليزيه فى باريس.. وعلى الفور أرسل ميتران قوات فرنسية لرواندا.. وبعد ثلاث أيام فقط من الغزو..

سفقات بطرس غالى السرية

تحديداً في ٧ أكتوبر قام ٣٠٠ جندي فرنسي من جنود المظلات بتأمين مطار كيجالى.. وبعد أيام وصل إلى رواندا ما يزيد على ٦٠٠ جندي فرنسي آخرين لحماية وترحيل المواطنين الفرنسيين ، اعتمدت رواندا على فرنسا في إمدادها بالسلاح .. وبذل نظام هاوير يمانا جهوداً يائسة لزيادة قوات الجيش وشراء الأسلحة..

حتى الآن.. ما هي علاقة بطرس غالى بكل ما حدث في رواندا تقول ليندا مؤلفة "شعب مضلل" : بعد أسبوعين من الغزو في ١٦ أكتوبر ١٩٩٠ ذهب سفير رواندا بمصر سلميتم كابيندا لحضور اجتماع بوزارة الخارجية بالقاهرة ، وكانت مصر طوال سبعة أعوام ترفض بيع الأسلحة لرواندا ، اجتمع كابيندا في ذلك اليوم مع بطرس غالى الذى لم يكن قد بدأ وقتها حملته ليصبح سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة.. وكان في ذلك الوقت- كما تقول ليندا- دبلوماسياً محترفاً غير مشهور ومحامياً ومؤلفاً للكُتب والمقالات في القانون الدولي والعلوم السياسية ، وكان وزير الدولة للشئون الخارجية .

بصراحة قال كابيندا لبطرس غالى إنه يحتاج مساعدته وسلمه قائمة بالأسلحة المطلوبة ، كان وقتها لدى مصر إنتاج ضخم من الأسلحة رخيصة الثمن للبيع.. طلب كابيندا أن يتدخل بطرس غالى لدى الحكومة المصرية لصالح رواندا وقال له : إن بلجيكا ألغت مساعدات عسكرية كانت سترسلها لنا ، كانت رواندا يملؤها اليأس من أن تحصل على الأسلحة المصرية لدرجة أن بعض المسؤولين من رواندا ألمحوا في إحدى المرات أن الأسلحة يمكن أن تكون هدية من مصر إلى رواندا.. لكن مصر كانت دائماً ما ترفض ، وكانت الهدية الوحيدة التي أهدتها مصر لرواندا هي تمثال فرعونى وضع مع بوق في وسط أحد الطرق الملتوية الاستراتيجية في كيجالى .

أبلغت مصر رواندا بشكل قاطع أنها لا يمكنها أن تمنحها السلاح الذى تريده، لكن بعد لقاء كابيندا مع بطرس غالى تغيرت الصورة بعض الشيء ، بل أن كابيندا

صفقات بطرس غالى المصرية

أرسل رسالة عبر التلكس إلى وزير خارجية بلاده يخبره فيها أن بطرس غالى وعد بتقديم المساعدة كما أكد أنه سيتعامل مع الطلب شخصياً .

كان بطرس غالى يتصرف من موقع ثقة.. ففي ٢٨ أكتوبر ١٩٩٠ وقعت كل من مصر ورواندا على أول عقد للسلاح بمبلغ ٥٠٨٨٩ مليون دولار أمريكى ، وتضمنت صفقة السلاح ٦٠ ألف قنبلة يدوية وحوالى ميلونى طلقة من الذخيرة الحية و ١٨ ألفاً من قنابل مدفع الهاون ٨٢ ملمتراً و ١٢٠ ملمتراً و ٤٢٠٠ بندقية هجومية وصولريخ وقاذفات وصولريخ ، وصفت هذه الشحنة الأولى من السلاح بأنها مواد إغاثة وتم شحنها من مطار القاهرة وأرسلت إلى كيجالى فى ٢٨ أكتوبر على متن طائرة بوينج ٧٠٧ عل الخطوط المصرية بتكلفة ٦٥ ألف دولار أمريكى ثمناً للرحلة كلها وأعطى هابير يمانا الحق بدفع المال عن طريق البنك التجارى الدولى المصرى .

بعد ثلاثة أيام فقط كتب بيزيمو نجو وزير خارجية رواندا لبطرس غالى ليشكره على تقديم المساعدة فى سرعة إنجاز اتفاق السلاح ، وبعد عام من هذه الصفقة وعندما اختير بطرس غالى سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة تلقى برقية تهنئة من بيزيمو نجو.. قال له فيها : أنت الشخص الذى لى معه ذكريات لا تنسى حول تعاوننا الواضح والمفيد فى تعزيز أواصر الصداقة بين بلدينا .

المفاجأة التى يكشفها كتاب ليندا أن الاتفاق على السلاح بين مصر ورواندا ظل سراً ، وقد جاء ذلك فى الوقت الذى بدأت فيه الجهود الدولية النشطة لمنع حدوث حرب أهلية بين الجبهة الوطنية الرواندية وقوات الحكومة الرواندية ، وفى يوم ٢٦ أكتوبر أى قبل يومين فقط من توقيع أول اتفاق سلاح بين مصر ورواندا.. وافقت كل من الحكومة والجبهة على وقف إطلاق النار عقب الجهود الدبلوماسية التى بذلتها الحكومة البلجيكية .

فى أبريل عام ١٩٩٤ أصبحت رواندا ثالث أكبر دولة مستوردة للسلاح فى إفريقيا ، وجاءت بعدها نيجريا وأنجولا ، وقد أنفقت رواندا وهى فى النهاية دولة

صفقات بطرس غالى السرية

صغيرة على السلاح أكثر من ١٠٠ مليون دولار أمريكى.. وقد ظل السلاح فى الفترة من ٩٠ إلى ١٩٩٤ يتدفق على رواندا بداية من الأسلحة الصغيرة والخفيفة ونهاية بالمعدات العسكرية الثقيلة .. لم يصمت بطرس غالى ففى واحد من حواراته الكثيرة وصف دوره فيما حدث فى رواندا بأنه كان دورا محفزا وقال انه كان وزيرا للشئون الخارجية وكانت مهمته هى المساعدة فى بيع إنتاج بلاده من السلاح ، وكان سيساعد أية حكومة تريد للسلاح من مصر ، خاصة وأن الأسلحة المصرية رخيصة والمصريون يتفخرون بأنفسهم لسرعة التسليم.. اقترب بطرس غالى أكثر مما حدث قال : كابندا فاتحنى لأنه لم يكن يعرف شخصا آخر فى الحكومة المصرية يعقد معه الصفقة.. وعندما تمت المواجهة مع غالى.. فكيف يجرى صفقات سلاح أثناء جهود السلام الدولية قال : انه لم يكن يعتقد أن عدد البنادق الألف القليلة قد تغير الوضع .

مؤلفة الكتاب الذى ترجمته الهيئة العامة للاستعلامات أكدت أنها لا تعلم أبدا الحقائق الكاملة للتغيير المفاجئ فى الموقف المصرى فى أكتوبر ١٩٩٠ وتحول سياستها الخارجية "عدم بيع السلاح لرواندا" ومن غير شك فإن المبيعات ساعدت فى زيادة الأرباح الخارجية ، وفى الوقت الذى طلب فيه كابندا مساعدة بطرس غالى تم تخصيص ٢١٦ مليون دولار لرواندا بعضها من الاتحاد الأوروبى مع إسهامات ثنائية الحجم من فرنسا وألمانيا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية ، وتغير وضع رواندا حيث أصبح لقتصاد الدولة فى أيدي أقوى المؤسسات الدولية فى العالم كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، كل الدلائل أشارت إلى أن جزءا من المال المقدم لرواندا لم يستخدم فى تجنب انهيار الاقتصاد الرواندى.. ولم يساعد فى تجنب المجاعة الرواندية أو علاج ضحايا الحرب.. لكن أجزاء كبيرة من هذه القروض تحولت من قبل النظام الرواندى للحصول على المعدات العسكرية وشراء الأسلحة والرشاشات والمدافع.. كان هذا بالطبع غير المساعدات العسكرية التى كانت تقدمها فرنسا لرواندا.

مفتحات بطرس غالى المصرية

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم.. وهو لماذا بطرس غالى بالذات ؟ لم تترك مؤلفة الكتاب السؤال يمضى بلا إجابة.. فقد استعرضت ملامح العلاقة بين بطرس غالى ورواندا ، فقد بدأت العلاقة الوطيدة بين د. بطرس غالى والنظام الرواندى مع أول زيارة رسمية له إلى كيجالى عام ١٩٨٣ ، كما كان يقوم بمعظم المحاورات الدبلوماسية المصرية - الرواندية.. وبطرس غالى يعرف رواندا جيداً فهي الدولة التى ينبع منها النيل ، وقد وصف بطرس غالى رحلاته إلى إفريقيا وكيف اتجه مرات عديدة نحو الجنوب فى أعماق وسط القارة الإفريقية حتى منبع هذا النهر العظيم الذى كثيراً ما أثر فيه وهو طفل.. ويقول : إفريقيا هى أمنا جميعاً ومصر هى أقدم بنت لإفريقيا وهذا هو السبب الذى أحب من أجله إفريقيا وأحاول جاهداً طيلة حياتى مساعدتها .

عندما ذهب بطرس غالى فى أول مهمة رسمية إلى رواندا وكان ذلك فى الثمانينيات كانت سياسة مصر هى تكوين جبهة بلدان حول حوض النيل ، ولما كان نائباً لوزير الخارجية أرسل لوزير الخارجية الرواندى خطاباً يعرض عليه تعاوننا وطيداً وانتهز فرصة حضور رواندا فى مؤتمر إقليمى كعضو فى مجموعة الدول الإفريقية الرئيسية المتوسطة ، وتم الاتفاق على تدريب مصر للجنود الروانديين ، ولكن الاتفاق فشل بسبب تكاليف نفقات معيشتهم ، وقد زارت مجموعة من المسؤولين فى الجيش الرواندى عام ١٩٨٥ القاهرة.. وفى عام ١٩٨٨ فشلت زيارة وزير الخارجية الرواندى إلى القاهرة وأثناءها اجتمع بطرس غالى بالسكرتير العام لوزارة الخارجية الرواندية جين دماسين بيزيمانا.. وفى العام نفسه زار بطرس غالى رواندا مرة أخرى .

فى عام ١٩٨٩ أبلغت مصر المسؤولين فى رواندا أنها ستدرس بعناية طلبهم إمدادها بالأسلحة لكن لم يعقد اتفاق وفى ٩ سبتمبر من نفس العام وقعت مصر ورواندا على اتفاقية بتعاون تجارى وثقافى وعلمى ، ومن بين فقرات الاتفاقية اتفقت مصر على توفير ١٢ طبيباً ومهندساً كهربائياً لصيانة معدات المستشفيات.. وفى بداية عام ١٩٩٠ طلبت رواندا من مصر معدات للحفاظ على النظام العام

صفقات بطرس غالى السرية

وهى غازات مسيلة للدموع وعصى وخوذات بالقطع الامامية المتحركة التى تغطى الوجه واقنعة الوقاية من الغازات ، تلقى هايبير يمانا وهوفى عاصمته كيجالى تقريراً مفصلاً عن علاقات رواندا بمصر ولم يكن لرواندا أن تحصل على اى قطعة سلاح من مصر دون تدخل بطرس غالى الذى كان المسئولون الروانديون يعرفونه جيداً .

لقد كان لبطرس غالى دوراً مهماً فى بيع الأسلحة إلى رواندا.. ولم ينكر هو ذلك.. وقد كان بطرس غالى واضحاً للغاية فلم ينكر ما فعله.. بل اعتبر ذلك جزءاً من مهامه ومسئوليته.. لست هنا فى وضع تقييم لتجربة بطرس غالى.. ولكنى هنا فقط أنقل شهادة وردت فى كتاب مهم ترجمته الهيئة العامة للاستعلامات وهى هيئة رسمية.. صحيح أن الهيئة حاولت أن تبرا نفسها مما ورد فى الكتاب ووضعته فى عنق المؤلفه والناشر.. لكن الوقائع موجودة ولا يستطيع أن ينكرها أحد حتى بطرس غالى نفسه .

كان أولى ببطرس غالى أن يتحدث عما فعله فى رواندا حتى ولو على سبيل التطهير والاعتراف بذنوب وساطة وقفت وراء تأجيج حرب أهلية فى دولة إفريقية كان بطرس غالى يحبها كثيراً لكنه اكتفى فقط بالحديث عن دوره فى إخماد الحرب الأهلية فى نيجيريا.. وكأنه يريد أن يقدم للناس مؤهلاته وقدراته وكفاءته ليقود المجلس القومى لحقوق الإنسان .

د. بطرس غالى كفاءة دولية وشخصية عالمية.. وخبرة هائلة.. ومؤكد أن مجلس حقوق الإنسان سوف يستفيد منه خاصة أن لديه أفكاراً واضحة ورؤية شاملة.. ولا بد أنها ستأتى ثمارها.. قد يكون لذلك شرط واحد.. وهو أن يتخلى د. بطرس غالى عن عقلية الموظف التى يمكن أن تحكم عمله.. فهو ليس موظفاً عند الحكومة.. بل هو الآن شخصية عامة يضع الناس على كتفيه مهام الحفاظ على حقوقهم.. والوقوف أمام الحكومة حتى لا تتماذى فى حصار المصريين بداية من الشوارع وحتى أقسام الشرطة.. فهل يستجيب د. بطرس غالى لذلك.. ليس أمامنا سوى أن ننتظر !

مسار الجنة

29

سماوات الجنة

يريد كرم زهدى زعيم الجماعة الإسلامية أن نصدقه في كل حالاته ، نصدقه عندما كان يرى أن المجتمع المصري كافر وحكامه في ردة عن الإسلام ويجب قتالهم وقتلهم ، وأن أموال المسيحيين حلال له ولجماعته متى تأكد أنهم يساعدون الكنيسة ويمولون نشاطها ، ونؤمن على كلامه بعد أكثر من عشرين عاما عندما يقول أن السادات مات شهيدا وأنه يبدى أسفه الشديد لهذه العملية وأنه لو عاد الزمان بالجماعة وبه لما لجازها ولعمل على منعها.. ولا يكتفى كرم بذلك.. بل يعتبر أن كل من سقط من أعضاء جماعته أو أفراد الشرطة في المواجهات بينها وبين أجهزة الأمن شهداء.. وحتى تكتمل الصورة.. فكرم زهدى يرى أن الحاكم إذا قصر في تطبيق حكم أو أكثر من أحكام الشريعة الإسلامية فإنه لا يكفر.. ما دام لا يرى أن حكمه أفضل من حكم الله.. ويضيف دون حرج أن الظروف الدولية والواقع العالمي الحالي يحولان بين كثير من الدول وبين تطبيق الشريعة الإسلامية .

الكلام الأول قاله كرم زهدى عمليا في السنوات الأخيرة لحكم السادات.. شارك في قتل الأبرياء.. سرق بنفسه محلات الذهب التي يملكها الأقباط.. أما الكلام الثاني فقد انفردت به جريدة الشرق الأوسط عبر حوار أجراه عبد اللطيف المناوى مع كرم في سجن العقرب شديد الحراسة بمنطقة سجون طره جنوب القاهرة ، قد نعتبر ما قاله كرم زهدى مؤخرا تحولا إيجابيا في منطق جماعة كان العنف منهجها والقتل دينها والسرقة هدفها.. وقد نعتبره كذلك تمهيدا ليندمج أفراد

سماوات الجنة

هذه الجماعة فى المجتمع.. ويصبحوا مواطنين صالحين.. وقد نعتبر ذلك نصرا يستحق الاحتفال.. كما فعلت جريدة الشرق الأوسط.. وكما فعلت مجلة المصور عندما انفرد رئيس تحريرها مكرم محمد أحمد بالحوار مع القيادات التاريخية للجماعة الإسلامية.. وهو الحوار الذى قالوا فيه : سنصدر اعتذارا علنيا عن جرائم جسيمة ارتكبتها فى حق مصر.. لكنه كان اعتذارا مشروطا بأن تعتذر الدولة للجماعة عما ارتكبته فى حقها !

هذا التحول الحاد لا يحتاج إلى احتفاء به بقدر ما يستوجب التأمل والحذر.. فنحن نتعامل مع جماعة سياسية فى المقام الأول.. ولا تقدم على شىء إلا إذا أخذت مقابلا له.. ولذلك فمن الاستخفاف أن يقول كرم زهدى أنه لم يحصل على شىء لجماعته لا عندما أعلنوا مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧ فى المحكمة.. ولا عندما تراجعوا وأصدروا أربعة كتب- يستعدون الآن لإصدار ثلاثة أخرى - تراجعوا فيها عن أفكارهم.. ولا عندما خرج كرم ببساطة يحسد عليها ليعتبر أن جميع من قتلوا فى الصراع بين جماعته وبين الأمن شهداء.. بل أن السادات نفسه الذى قتلوه مع سبق الإصرار والترصد اعتبره شهيدا.. والكلام غير مقبول.. لأن كرم يعلم جيدا الثمن المبدنى الذى حصلت عليه الجماعة.. فقد تغيرت المعاملة مع أفراد الجماعة فى السجن ١٨٠ درجة.. وخرجت أعداد كبيرة منهم خلال الفترة الماضية.. صحيح أنهم تحت المتابعة.. لكنهم فى النهاية خرجوا.. ويبدو أن كرم زهدى أدرك فضل ما فعلته كتب المراجعات الأولى ، فبادر بعطاء أكبر وخرج ليتراجع عن كل شىء.. بل ويزيد على ذلك بأن يدين تنظيم القاعدة وهجمات الرياض وتفجيرات الدار البيضاء.. وكله كما يقول أولاد البلد بحسابه .

لكن لماذا يتصدر كرم زهدى المشهد وحده الآن؟ ، رغم أنه فى حوار مكرم محمد أحمد مع الجماعة حضر عدد كبير من قياداتها.. كانوا إلى جوار كرم.. ناجح إبراهيم مفكرها وصفوت عبد الغنى المتهم الأول فى قضية اغتيال رفعت

سما، الجنة

المحجوب وعلى الشريف أحد أقطاب الجماعة وأسامة حافظ وبدري مخلوف وهشام عبد الظاهر وممدوح يوسف.. وإلى جانب هؤلاء حضر أربعة يرتنون بدلة الإعدام الحمراء وهم حسن الخليفة وأحمد يكرى وغريب الشحات وشعبان هريدى .. لكن هذه المرة ومع عبد اللطيف المناوى احتل كرم زهدى الصورة بكاملها. صال وجال.. وقد يكون هذا طبيعيا لأنه رئيس الجماعة الآن .. وقد تعهد لأجهزة الأمن أن يستمع له كل أفراد الجماعة.. فهم يدينون له بالسمع والطاعة.. وهو كلام ليس صحيحا الآن على الأقل. فلم يعد كرم زهدى بالقوة الكافية والنفوذ الكبير ليلزم كل أفراد جماعته بأرائه الجديدة.. خاصة وهى آراء تختلف مع ما كانت تؤمن به الجماعة من قبل فقط.. لكنها تتناقض معها.. ولأن القائمين على مراجعات الجماعة الإسلامية كانوا يعرفون حجم الصدمة التى ستقع على أعضاء الجماعة.. فقد اختاروا كرم زهدى وحده ليلعبوا به لعبة القائد والزعيم الذى له شعبية طاغية فى الجماعة.. ولا بد أن لكل ما سيقوله صدى واستجابة .

من حقاك بالطبع أن تعرف من هو كرم زهدى وماذا فعل.. وكيف وصل إلى موقعه الحالى- بل كيف تحول وجه القاتل والسارق الذى بدأ به حياته إلى قناع من البراءة يرتديه الآن ويريد أن يقتعنا أو بمعنى أدق يخدعنا به.. ولد كرم زهدى فى بندر المنيا عام ١٩٥٣.. أى أنه يقف الآن على مشارف العقد السادس من حياته.. حصل على بكالوريوس معهد التعاون بأسسوط.. وخلال فترة سجنه التى بدأت عام ١٩٨١ عندما قبض عليه فى قضية تنظيم الجهاد.. حصل على ليسانس الحقوق ، كان واحدا من المؤسسين لتنظيم الجماعة الإسلامية فى أواخر السبعينيات .. حصد كرم زهدى شهرة طاغية بعد نجاح عملية اغتيال السادات.. وهى العملية التى ساعدت على زيادة انتشار الجماعة الإسلامية.. حيث أن المنتسبين للجماعة كانوا طوال الثمانينيات والتسعينيات يفتخرون دائما بقتل السادات وكانت أحاديث كوادرم تؤكد ذلك.. وهو ما دفعهم إلى استئناف العنف طوال الثمانينيات

سمعة الجنة

والتسعينيات.. وحتى بعد أن أعلنت الجماعة مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧ فإن أفراد من الجماعة نفذوا مذبحة الأقصر التي جعلت سمعة مصر السياسية في الأرض وضربت الاقتصاد في مقتل .

والغريب أن كرم زهدى اعترف ببساطة أن جماعته هي التي ارتكبت مذبحة الأقصر ، بل إنه التمس العذر لمن ارتكبوها.. ففي حوار مع الشرق الأوسط يقول : لم تقع أي حوادث عنف تتحمل الجماعة مسئوليتها ، باستثناء حادث الأقصر الذي يبدو والله أعلم أنه كان بتكليف سابق على المبادرة بعدة أعوام نفذته عناصر كانت هاربة بالجبال والزارعات ولقيت حتفها في موقع الحادث ولم تكن على دراية بما يحدث في الداخل وصدور المبادرة عن القيادات التاريخية.

كان من الممكن أن نقبل ما يقوله كرم زهدى الآن.. خاصة وهو لم يبق على شيء من أفكاره التي كانت لو كانت يدها برئيتين من دم الأبرياء.. ولو لم يعتد على أموال وحرمت الآخرين.. كان يمكن أن نسمع له لو كان أحد أفراد الجماعة الإسلامية البعيدين عن العنف والبطش والتدمير.. لكنه ومن واقع أوراق قضية تنظيم الجهاد.. يظهر كرم سفاحا لا يتورع عن فعل شيء.. فأثناء حصار مديرية أمن أسيوط صباح عيد الأضحى يوم ٨ أكتوبر ١٩٨١ أي بعد يومين فقط من اغتيال السادات ، استقل كرم زهدى وعصام دربالة وغيرهما سيارة فيات ١٢٨ يقودها خالد حنفي وتوجهوا إلى منطقة الجمعية الشرعية حيث شاهدوا التحاماً بين بعض جماعات التنظيم ورجال الشرطة فانضموا إلى زملائهم ، وحاول عصام دربالة إلقاء قنبلة فانفجرت في يده وتناثرت شظاياها في جسده فنقل إلى السيارة وتوجهوا إلى طريق الغنايم ولجأوا إلى الجبال ولكن السيارة غرزت فحاولوا البحث عن وسيلة أخرى لإنقاذ زميلهم إلا أن للشرطة شعرت بوجود السيارة فجاء النقيب وقبض على كرم زهدى وعصام دربالة وأرسلهما إلى المستشفى .

سماير الجنة

لم تقتصر مشاركة كرم زهدى على معركة أسيوط فقط.. ولكنه كان وراء فكرة سرقة محلات الصاغة التى يملكها الأقباط ولذلك قصة تستحق أن تروى : فقد خطرت فكرة جهنمية على رأس على الشريف عرضها على جماعة وجه قلبى أثناء لاجتماعهم ذات مرة فى مدينة أسيوط ، قال على الشريف : ليس أمامنا سوى مهاجمة محلات الصاغة للمسيحيين وقتل من فيها والاستيلاء على محتوياتها ، كانت الفكرة مفاجأة فساد الصمت قليلا ثم قال ناجح عبد الله : هذا والله وحى السماء، فقال كرم زهدى : إبنى أقترح أن نهاجم محلات الصاغة للمسيحيين الذين يتأكد لنا أنهم يساعدون الكنيسة ويمولون نشاطها .

وافق الجميع على الفكرة - والجميع هنا تعنى على الشريف وكرم زهدى وناجح عبد الله وفؤاد حنفى وعصام درباله وعاصم عبد الماجد وحمدي عبد الرحمن وأسامة حافظ وطلعت قاسم - سافر كرم زهدى وفؤاد حنفى إلى القاهرة وهما يحملان هذا القرار إلى محمد عبد السلام فرج قائد التنظيم الذى قال لهما : على بركة الله فبدأ التنفيذ ، توجه كرم زهدى وعاصم عبد الماجد إلى بلدة الدلنجات بصحبة عبد السلام فرج واشتروا بمعرفة السائق على زكى ناصر بندقيتين بمبلغ ٢٧٠٠ جنيه ومسدسين بمبلغ ٦٠٠ جنيه وألف طلقة ، وفور عودتهم بالأسلحة والذخائر التقى كرم زهدى بعلى الشريف وكلفه بوضع خطة سرقة المحل الأول من محلات الصياغ المسيحيين .

حدد على الشريف بعض المسيحيين فى نجع حمادى يتاجرون فى الذهب وأختار يوم ٢٦ يونيو ١٩٨١ للتنفيذ وفى هذا الموعد أرسل كرم زهدى من المنيا سيارة بيجو يقودها إسماعيل البطل لينقلهم فيها إلى مسرح الحادث بنجع حمادى ، وفى الطريق وضعوا على وجوههم جوارب نسائية للتخفى وقفازات فى أيديهم لتلافى ترك البصمات.. وبالفعل سرقوا محلات فؤاد صادق غالى وفوزى اسكاروس ونبيه اسكاروس ، انتهت عملية نجع حمادى بنجاح ودون خسائر

سमार الجنة

وأحست قيادة التنظيم أن تكرار هذه العملية سيأتى لهم بالمال الوفير فكلف محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر نبيل المغربى بجمع التحريات اللازمة عن محلات الصاغة المسيحيين فى شبرا الخيمة ، ونفذ التنظيم خطته بالفعل فى محل روما بشبرا الذى تملكه ميرفت شكرى راغب وهربوا بما سرقوا بعد أن قتلوا الموجودين فى المنطقة التى يقع فيها محل ميرفت شكرى .

كانت المفاجأة أن ضباط المباحث الجنائية فى بعض الأقسام الذين تلقوا بلاغات عن هذه السرقات لم يخطر ببالهم أن اللصوص من نمط غير عادى ، وعندما فشلوا فى الوصول إليهم أقفلوا محاضرهم بتليبس بعض المجرمين المعروفين لديهم هذه القضايا ، وعندما اتضح فيما بعد من هم الجناة الذين ارتكبوا السرقات فعلا أصبح أمام المحكمة أكثر من اعتراف على جريمة واحدة فلم تأخذ المحكمة بأى من الاعترافات ، معنى ذلك أن كرم زهدى خرج من القضية ليس لأنه كان برنيا .. ولكن لأن الأدلة تضاربت وأصبح الاعتراف الذى هو سيد الأدلة بلا قيمة .. والغريب أن هدف كرم زهدى ورفاقه لم يكن السرقة فقط .. لأنه لو كان هدفهم السرقة فلماذا قتلوا كل من كان يقابلهم أثناء سطوهم على المحلات .

بعد هذا التاريخ الدموى لكرم زهدى يعود إلينا بعد أن قضى اثنين وعشرين عاما فى السجن ليقول إنه نادم على ما جرى .. وأن من قتلهم وعلى رأسهم الرئيس السادات شهداء يدخلون الجنة ، وقبل أن نسأل كرم زهدى بعد أن ارتدى عباءة الإفتاء .. وما هو جزاء الذى يقتل شهيدا .. استدرك بأن من قتل من جماعته أيضا شهداء .. وهو كلام يحول الحوار إلى منطقة أكثر سخونة .. فطالما أن الجميع أصبحوا شهداء .. فمن الذى يتحمل الكوارث التى واجهتها مصر منذ رفعت للجماعة الإسلامية السلاح وراح ضحيته الآلاف .. ثم من الذى يتحمل عمر آلاف الشباب الذى ضاع فى المعتقلات والسجون .. وحرموا من أن يعيشوا أجمل سنوات عمرهم .. فقدوا مستقبلهم ولا أمل لديهم الآن . فحتى ولو خرجوا .. فمن الصعب أن يندمجوا بعد أن محيت شخصياتهم !

مسار الجنة

ثم وهذا هو المهم.. من هو كرم زهدى هذا.. ما هو قدره للفكرى والعلمى؟! ما هي مؤهلاته العلمية حتى يجلس مستريحا يوزع البركات ويمنح من يشاء التوبة ويحرم من يشاء من المغفرة؟! : ثم ما الذى يضمن للحكومة التى ترعى كرم ورفاقه وتمرر أفكارهم للناس الا يتراجع كرم زهدى عن أفكاره التى يريدها الآن.. ثم ينقلب فينشر الفساد فى الأرض.. كما نشره قبل ذلك؟! إن هذا التحول الجذرى مقلق للغاية.. فلم يترك كرم شيئا قاله قبل ذلك إلا وتراجع عنه.. حتى علماء الأزهر الذين رفضهم قبل ذلك واعتبرهم علماء للسلطة وخائنين وخارجين عن الدين.. أصبحوا الآن قذوة ومرجعية..

لقد كان كرم أيام شبابه طائشا.. ورغم أنه يؤكد الآن أنه قرأ واجتهد وفكر.. وعاد إلى رشده وصوابه فإنه لا يزال طائشا.. كلامه يؤكد ذلك.. فقد تحول من النقيض إلى النقيض من الفكر الدموى إلى فكر النفاق والممالة.. من الحدة إلى اللين للمبالغ فيه.. من سرقة أموال الأقباط واستحلال مائتهم إلى التودد إليهم.. والهمس فى أذانهم بأنه تغير وتبدل.. فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ..

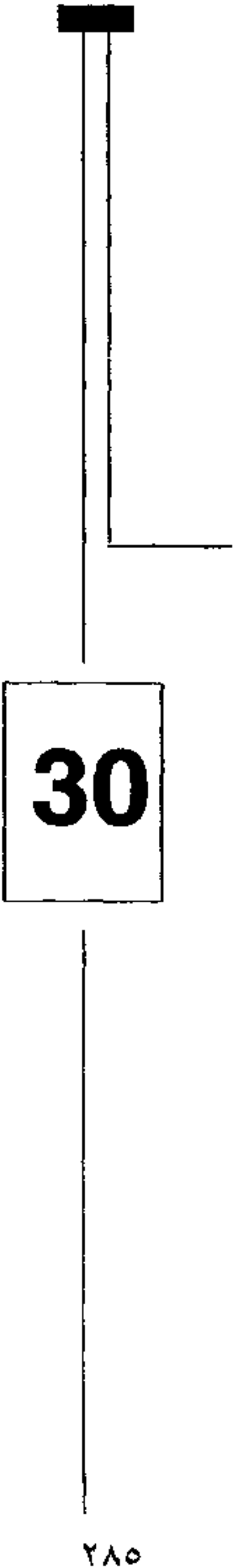
إننا لسنا فى موقع من يقبل أو يرفض توبة كرم زهدى ومراجعات جماعته.. لأننا نعرف أقدارنا جيدا.. بالنسبة لله الذى يحاسب العباد وحده على أعمالهم.. فكلنا مذنبون بدرجات متفاوتة.. نحمل أوزارنا على أكتافنا ونمضى بها لا فارق فى ذلك بين إمام وداعية ولص سارق.. ويوم القيامة نقف جميعا بين يدي الله ليعطى كلا منا ثوابه أو عقابه.. ولذلك فلن نناقش حقيقة توبته.. نتركه فقط لله.. لكن ما نستطيع أن نقوله أن كلام زهدى ليس ملزما لأحد.. ومن حقنا أن نرفضه أنه ليس من حق أحد أن يكفرنا فى الوقت الذى يشاء.. ثم يعود ليعفو عنا فى الوقت الذى يحدده!

إن كرم زهدى يرسى بما فعله قاعدة لن يستطيع أن يتنكر لها.. فمن حق كل شاب أن يعتنق الأفكار التى يريدها.. يخرج بها إلى حيز التنفيذ يقتل ويسرق.. ثم

سماز الجنة

بعد أن يقتنع بأن أفكاره كانت خاطئة يعود ليعتذر.. ويا دار ما دخلك شر.. وما دامت الحكومة صدقت والصحف هالت فلماذا لا يقطعها الآخرون ، إن كرم زهدى يكذب- والكذب ليس جديدا عليه عندما يحاول أن يوحى لنا أن الجماعة خاضعة.. فهناك من تمرد على كلامه وهؤلاء لن يلتزموا بمراجعاته.. وإذا خرجوا سنكون وقتها مضطرين إلى مواجهتهم مرة أخرى .

كان لابد أن يحاسب كرم زهدى بأقصى عقوبة وهي الإعدام لأنه قاتل.. لكن بسبب الثغرات في القضية لم يحدث ذلك.. فليس من حقه الآن أن يصدر نفسه لنا بصورة الشيخ النائب.. لأن للنائب هذه المرة قاتل.. والقاتل لابد أن يدفع الثمن أولا.. ثم يمكن أن نسمع له !



အချက် အခင်းများ

ضحايا كرم زهدي

ليس لدى موقف مسبق من المراجعات الفكرية الجذرية التي أعلنها كرم زهدي زعيم الجماعة الإسلامية ، فأنا لا أومن لا بالمواقف المسبقة ولا بالأفكار المعلبة .. فكل شيء عندي قابل للمناقشة والحوار والمراجعة .. وربما الهم أيضاً .. لكن ما أخشاه هو المناورة .. لأن أعصابنا لم تعد تتحمل كوارث جديدة .. ومصائب تأتينا على أيدي الذين يصادرون الحقيقة ويعتقدون أن الله ملكهم وحدهم .. يصدرونه للناس وقتما يشاءون ويحجبونه عنهم عندما يريدون !

وضعت مانه علامة استفهام على توبة كرم زهدي وإعلانه التراجع التام والحاسم والجذري عن كل مواقفه السابقة .. وتبرئه من كل أفعاله السابقة التي وصلت في جرمها إلى أن الشياطين نفسها تتورع عن ارتكابها .. لقد قتل بنفسه .. وشارك في سرقة محلات الذهب التي يملكها الأقباط .. وبارك اغتيال السادات .. وكان يخطط لتحويل مصر إلى مقبرة جماعية يدفن فيها مع جماعته كل من يقول له لا .. أو يخرج على الخط الذي رسمه بعناية .. على ضوء آراء ضالة .. توصل إليها بعد قراءة بعض الكتب دون أن يكون مؤهلاً للاجتهد .. كل ذلك يجعلنا نضع أيدينا على قلوبنا ونحن نستمع إلى اعترافاته .. وننظر بريبة إلى ملامح وجهه التي يحاول جاهداً أن يرسم عليها علامات البراءة .

لم يمنع هذا أن نقدر الجهود التي بذلت لتخرج هذه المبادرة إلى النور .. فلم يتراجع كرم زهدي لمجرد أنه أراد ذلك .. فقد كان هناك تمهيد نفسي له وإعداد علمي خضع له لجو عام توافر له ولرجال جماعته في السجن .. حتى يقرأوا

ضحايا فكر زهدى

بروية ويبحثوا بهدوء.. ليخرجوا بعد ذلك بأراء سليمة معتدلة تستقيم مع صحيح الدين وتتناغم مع مقاصد الإسلام السمح كما جاءت من السماء.

لكن يظل أمامنا سؤال مهم للغاية ، فهل تكفى توبة كرم زهدى وحده حتى تستقر الأمور.. هل تراجع عن أفكاره السابقة وتأكيداته أن السادات مات شهيداً في قتال الفتنة وأن كل من سقط من أعضاء الجماعة أو أفراد الشرطة في المواجهات التي دارت بينهما شهداء.. هل يكفى هذا ؟ وهل يمكن أن نعتبر أن كل شيء انتهى لمجرد أن كرم زهدى صرح أن التحديات العالمية التي يواجهها الحاكم حالياً قد تجعله معذوراً في عدم تطبيقه لبعض أحكام الشريعة وأنه لا قدسية لشيء سوى القرآن والسنة ؟ . وهل أن لنا أن نستريح لمجرد أن كرم زهدى قال إن الأقباط لهم ما لنا وعليهم ما علينا !؟

لقد تحدث كرم زهدى في حديثه إلى جريدة "الشرق الأوسط" السعودية الذى انفرد به عبد اللطيف المناوى فى سجن العقرب شديد الحراسة بمنطقة طرة بجنوب القاهرة عن رد فعل مراجعته وتوبته على الجماعة.. وأكد أنه لن تحدث أية إنشاقات بسببها.. بل قال : لم يحدث قبل ذلك أى إنشاق داخل للجماعة ولن يحدث لأن الجماعة كلها على قلب رجل واحد ولأننا نصل إلى الدليل الصحيح على ما نقول من الكتاب والسنة بل إن عبد اللطيف المناوى نفسه حاول أن يؤكد هذه الصورة وأن هناك إجماعاً من أفراد الجماعة على كرم زهدى وذلك عندما كتب.. دخل زهدى وفى يده مجموعة من الأبحاث التى أعدها ، ويجرى الانتهاء من اجراءات طبعتها ، وعقب لحوار اصطحبنا ضباط السجن فى جولة داخل عنابر المساجين التى يتوسطها ملعب لكرة القدم وآخر للسلة كان يلعب به فريقان من المساجين ، ولدى اقترابنا منهم سواء فى الملعب أو داخل الزنازين وكذلك فى ورش العمل لاحظنا بوضوح علامات الاحترام الشديد والتوقير لزعيم الجماعة .

ما يؤسفنى أن كلام المناوى قد يكون صحيحاً فى جزء منه فقط.. فليس معنى أنه رأى عدداً من أعضاء الجماعة يحترمون ويوقرون كرم زهدى أن هذا موقف

ضحايا كرم زهدى

أعضاء الجماعة كلهم وهم ينتشرون فى عدد كبير من سجون مصر.. وحتى تكون الصورة واضحة.. فقد زلزت مراجعات كرم زهدى الأرض تحت أقدام مئات الشباب من أعضاء الجماعة.. أحسوا أنهم أضاعوا زهرة شبابهم هدراً فى ظلمات السجون .

لقد تعاملت الحكومة مع الجماعة الإسلامية طوال الثمانينيات والتسعينيات بفكرة تجفيف الينابيع ، فحصدت بذلك عدداً كبيراً من الشباب الصغار الذين لم تتجاوز أعمارهم اثنا عشر أو ثلاثة عشر عاماً.. كان يمكن أن يصبحوا فى غمضة عين بروفات لقيادات فى جماعة تقتل وتسرق باسم الله ، دخل هؤلاء السجون وتربوا على فكر الجماعة داخلها.. رفضوا كل محاولات إقناعهم بخطأ توجههم وبأنهم على باطل.. وأن فى الإسلام وجهاً رائعاً وجميلاً يمكن أن يركنوا إليه.. كانوا ينظرون إلى كرم زهدى ورفاقه على أنهم القدوة والمثل الذى يجب أن يحتدوا به ويسيروا على خطاه .

كانوا يتبادلون أفكاره فى جلساتهم الخاصة.. مرت عليهم أكثر من عشر سنوات فى السجن وهم ينتظرون لليوم الذى يخرجون فيه كى يحققوا الحلم الذى أوهمهم به كرم زهدى ورفاقه ، لكن وفى غمرة أحلامهم. وجدوا كرم زهدى يقول لهم.. لقد كنت مخطئاً وكانت أفكارى السابقة مجرد طيش شباب.. لم أكن مدركاً ولا مستوعباً ما أقوله .

لست متعاطفاً مع هؤلاء الشباب فقد منحوا عقولهم على بياض لكرم زهدى ، ولكل من حاول خداعهم باسم الدين.. لكن أرصد فقط ما حدث.. كانت الصدمة شديدة للغاية.. خلعتهم من الثقة التى يعيشون بها ويقطعون من خلالها أن نصر الله قريب.. وأنهم سيخرجون يوماً ليحكموا ويتحكموا.. ولذلك لم يكن غريباً أن تتغير سلوكيات عدد كبير من أعضاء الجماعة الشباب.. لقد بدأ بعضهم فى التخخين وشرب السجائر بشراهة.. وأصبح معتاداً أن تجد أحد أعضاء الجماعة يسب ويلعن رفاقه بألفاظ نابية.. بل إن الكارثة الكبرى أن بعض جلسات أعضاء

ضحايا كرم زهدى

الجماعة تحولت بقدرة قادر من الحديث عن أحوال الأمة الإسلامية ودارسة القرآن والسنة إلى الحديث عن الأحلام الجنسية والرغبات المكبوتة.. فعلوا ذلك ويقتلهم شعور أن كرم زهدى خاتمهم.. وباع أحلامهم بثمن بخس !!
والمصيبة أن كرم زهدى فشل في استيعاب هؤلاء الشباب.. خرجوا من حظيرته بسلوكياتهم.. ولم يستطيع أن يعيدهم إليها ، فبعد مراجعات الجماعة التي أعلنها قائدها.. قاموا بجولة ضخمة على كل المسجون.. التقوا فيها بشباب الجماعة حتى ينقلوا إليهم الأفكار الجديدة لتصبح دستوراً جديداً يدينون به دون مناقشته.. حاول قادة الجماعة أن يكون جو اللقاءات ديمقراطياً.. كل شاب يقول ما يريد.. يسأل الأسئلة التي يرغبها.. وبالفعل كتب شباب الجماعة مئات الأسئلة.. أجاب كرم زهدى عن الأسئلة التي أرادها فقط.. وتجاهل كل الأسئلة التي أفلقت وأرقت.. سأله شاب قائلاً : لقد قضيت في الجماعة أكثر من خمسة عشر عاماً من عمري خدمتها بكل ما أملك.. خرجت عن طاعة أبي وأمي لأن الأمير أمرني بذلك.. هجرت منزلنا.. نفذت كل ما طلب مني بأمانة ودقة.. لم أتوان عن تقديم أي شيء حتى لو كان مرهقاً.. كنت أنظر إلى قيادات الجماعة بإحلال وتوقير.. وفي لحظة قلت لينا إن كل ما كنا نؤمن به باطل.. فكيف لنا أن نصدقكم بعد ذلك.. وماذا سيحدث لو غيرتم رأيكم مرة أخرى وقتم أن الآراء التي توصلتم لها الآن خاطئة.. هل ستطالبوننا أن نقنع بما تقولونه وقتها؟

شباب آخر من الجماعة كان أكثر صراحة كتب لكرم زهدى يسأله عن سيدفع ثمن عمره الذي راح.. لقد قبض عليه وهو في الخامسة عشر من عمره.. قضى في السجن حتى الآن اثنا عشر عاماً.. أي أن عمره الآن سبعة وعشرون عاماً.. حرم من كل متع الحياة.. افتقد أهله وأصدقاءه.. هذه السنوات التي ضاعت.. من سيدفع ثمنها.. وكيف سيحاسبه الله عليها يوم القيامة.. هل ستكون في ميزان حسناته.. أم ستكون وبالاً عليه ؟ هذه عينة فقط من الأسئلة التي رأى كرم زهدى أنها ستثير على مبادرته غباراً كثيفاً فتجاهلها بشدة.. وكان تجاهله

ضحايا مكر زهدى

خطأ شديداً.. فقد أضاف بذلك إلى صدمة الشباب فيه صدمة جديدة ، فقد شعروا أنه يتعالى عليهم ويسخر من أوجاعهم التي يشعرون بمنتهى الصدق والألم.

لقد أصدر كرم زهدى كتاباً هو "نهر الذكريات" تناول فيه الأسئلة العديدة والحائرة التي تلقاها من شباب الجماعة.. كما ركز فيها على تفاصيل ووقائع ما جرى في جولاته في السجون.. وهى الذكريات - كما يقول - إلى الطريق الذى أعده ورفاقه وجماعته إلى القرار الشرعى الصحيح .. لكن هل سيجرؤ كرم زهدى على تضمين كتابة الأسئلة التى لم يجب عنها .. هل سيحدثنا عن الأفكار الحائرة التى طرحها الشباب عليه ولم يتطرق إليها .. وهل سيكون شجاعاً ويقول لنا لماذا لم يقترب من هذه الأسئلة .

دعونى أقول إن كرم زهدى الذى حصد الأضواء وحده.. واستحوذ على الاهتمام الإعلامى بمفرده ليس مؤهلاً بما يكفى ليقود الجماعة الإسلامية إلى الاندماج فى المجتمع.. فلم يعد بالتأثير الكافى والقوى الذى يجعل آلاف الشباب يقتنعون بأفكاره الجديدة .. لأن التحول كان حاداً لم يستوعبه هؤلاء الشباب.. لم يعد القائد الملهم الذى ينظر له الشباب بمهابة ووقار ليسمعوا كل ما يقوله.. بل أصبح كرم زهدى فى مرمى الهدف.. يخضع كلامه كله للمناقشة والحوار والاعتراض .. ولا مانع فى النهاية أن يرفض كله .

لقد لنقسم شباب الجماعة الإسلامية على سبيل المثال فى سجن استقبال طره إلى ثلاثة أقسام.. قسم اقتنع تماماً وأيد كله ما قاله زعيم الجماعة لأن مبدأ السمع والطاعة تمكن منهم ، وقسم أخذ يناقش ويفسر ويحلل وفى النهاية تحفظ على كثير مما قاله كرم زهدى لكنهم فى النهاية لم يستطيعوا أن يخلعوا عباءة الجماعة عنهم.. وهم الآن فى انتظار المكاسب التى سيجنونها ولتى لن تقل عن خروجهم وحصولهم على حريتهم والعودة مرة أخرى إلى الحياة الطبيعية يواصلون تعليمهم ويعملون ويتزوجون وينجبون ويفتحون بيوتاً بعد أن بدأوا حياة جديدة.. لما القسم الثالث فقد حسم القضية مع نفسه تنازل عن سنوات عمره طواعية وخلع رداء

ضحايا فكر زهدى

الجماعة .. وراوا أنهم كانوا مخدوعين ولا بد أن يأخذوا قراراً ليحافظوا به على البقية الباقية من حياتهم قبل أن تضيق.. الأقسام الثلاثة على اختلاف توجهاتهم ضحايا لكرم زهدى ورفاقه.. فى المرة الأولى كانوا ضحايا لأفكار العنف والتطرف التى أوردتهم السجن.. وفى المرة الثانية كانوا ضحايا الهزة النفسية التى اقتلعتهم من أفكارهم التى آمنوا بها وجعلتهم مترددين وغير قادرين على اتخاذ أى قرار ولو بسيط .

وهنا تحديداً تاتى ضرورة المصارحة والشفافية فيما حدث.. فالمراجعة فى حد ذاتها أمر مطلوب وجهد لا نستطيع أن ننكره.. ومن المؤكد أن الذين وقفوا وراءها كانوا يضعون فى أذهانهم وهم يعملون أن عودة الجماعة الإسلامية والجماعات الأخرى التى رفعت الإسلام شعاراً لتحقيق أهدافهم السياسية.. لو عادوا مواطنين عاديين وصالحين فسوف نربح جمعياً فتصرفاتهم الهوجاء العشوائية كانت وراء خسارة مصر مادياً ومعنوياً ، وما زالت آثار عدوانهم على كل مظاهر الحياة تمثل عقبة فى طريق تقدمنا نعالجها طامعين أن تتغير صورتنا.. وأن نمحو عن إسلامنا أنه دين عدوان وعنف وقتل ، وهذا هدف نبيل فى حد ذاته.. لكن مازال يحتاج لبعض الجهود التى ليست بعيدة عن قاموا بدفع مراجعات الجماعة الإسلامية إلى نهاية الطريق الأمن.. وعبروا بها من خانة الأحلام والأمنيات إلى الواقع .

إن الشباب الذى تخلفوا كضحايا لمراجعة كرم زهدى وتوبته أولى بالرعاية الآن.. لقد خلع بعضهم رداء الطاعة لزعيم الجماعة.. ولا بد أن يتم استيعاب هؤلاء.. أن تعقد لهم لقاءات يطرحوا فيها أفكارهم ولا يتم الاقتصار فى هذه اللقاءات على علماء الدين وشيوخ الأزهر الذين يحملون فى عقولهم خطاباً ثابتاً متجمداً لا مرونة فيه.. ولكن لابد أن يحتكوا بمفكرين وكتاب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية.. الفكرة تقابلها فكرة .. والرأى يقابله رأى.. حتى

ضحايا فكر زهدى

يصبح الجميع مقتنعين تماما بالفكرة الجديد والرؤية المعاصرة.. بدلا من ان ينقادوا وراء رأى شخصى فى كلامه كثيرا من الريبة .

إن الخطأ أن يتم التعامل مع شباب الجماعة الإسلامية بمنطق القطيع.. فليس عليهم إلا أن يسمعوا ثم يعلنوا الطاعة.. لقد تغيرت الأحوال ، والقهر الفكرى ليس له مكان الآن إن شباب الجماعة الإسلامية يتابعون ما يحدث بالخارج ويعرفون التغيرات التى طرأت على الجميع.. وليس من السهل أن يقال لهم.. كونوا معتدلين.. فيصبحوا معتدلين بإشارة واحدة.. وقد جعلتهم سنوات السجن الطويلة يفكرون فى حياتهم وأفكارهم ومسلكهم ، فقد كثير منهم الثقة فى القيادات التى أصبحت تاريخية للجماعة.. ولذلك فليس من المنتظر أن يحدث كلام كرم زهدى أو غير كرم زهدى تأثيرا هائلا ، كما يتصور البعض ، والخوف أن يظهر بعض الأعضاء اقتناعا ظاهرا حتى يخرجوا من السجن.. وبعد أن يخرجوا بسنوات نفاقاً أنه علينا مواجهة كارثة جديدة.. يقودها شباب جديد.. وتدور الدائرة من جديد ويصبح مطلوباً منا أن نواجه بقوة وعنف وننفق الملايين ثم نجاهد من أجل إعادة هؤلاء الشباب إلى حظيرة المجتمع مرة أخرى .

الحل سهل للغاية ونستطيع أن نقوم به وسيوفر علينا ما لا طاقة لنا به مادياً ومعنوياً .. إن الأجيال الجديدة سواء داخل السجون أو خارجها يحتاجون لمن يسمعهم .. لمن يتعامل معهم على أنهم شخصيات لهم آراء وأفكار وأحلام.. شباب الجماعة الإسلامية فى السجون تحديداً لهم شأن خاص ، فهم حريصون كل الحرص على مواصلة تعليمهم.. وبعضهم يحصل على الماجستير والدكتوراه.. وهو ما يؤكد أن لديهم رغبة فى الاستمرار والمشاركة.. ويمكن لنا أن نتجح فى تحويل طاقاتهم هذه من طاقات مدمرة ومرعبة وكارهة للمجتمع.. إلى طاقات بناء وفعالة ومساهمة فى ترقية المجتمع. كفانا ما أحدثه كرم زهدى.. تاب فليقبل الله توبته ويحاسبه كيفما يشاء فى الآخرة.. فهو وحده القادر على الغفران وقبول المذنبين.. لقد كان مستقراً أن يتم تصدير كرم زهدى على أنه حارس لباب الجنة

ضحايا كره زعماء

يمنح من يشاء مقعداً فيها .. ويطرد من يرغب من نعيمها .. لقد ظهر خطابه السياسي وبه كل عيوب خطاب الجماعة الإسلامية السابق .. يتحدث بيقين كامل لا يتزعزع .. لا احتمال عنده للخطأ .. ولا قبول للنقاش .. فكل ما سيقوله يطاع .. لن تحدث انشقاقات .. ولن يخرج أحد عليه .. وهو كلام غير منطقي عفا عليها الزمن .. فلا شيء الآن غير قابل للنقاش .. ولا شيء يمكن أن يمر دون أن نقف عنده .. نتأمله ونراجعه .. ويكون لدينا الحق بعد ذلك لنقبله أو نرفضه .. فليس مفروضاً علينا أن نصبح عبيداً في سوق الأفكار .. يقودنا فيها من صادروا الحق في الكلام والفتوى لأنفسهم !

إننا لا نرفض مراجعات الجماعة الإسلامية .. بل على العكس كنا ننتظرها .. لم نكن لنحتفل بها كما فعل الآخرون ، ولكننا تحفظنا عليها عندما جاءت .. لأننا مع من يعملون كجنود مجهولين نخاف على هذا الوطن ، ونعمل له ألف حساب ونخشى عليه من للهواء الطائر ، كما يقولون ، ولأن ما فعله أعضاء الجماعة الإسلامية وقادتها لم يكن هواءً طائراً .. ولكن تفجيرات وقتل وسرقة وسحل أبرياء .. وقضاء على اقتصاد .. وتشويه سمعة في كل مكان في العالم فكان من حقنا أن نتردد في قبول كل ما يصدر عن هذه الجماعة ، إننا لم نتحمس أسلحتنا ونحن نتعامل مع الجماعة الإسلامية .. لأنه ليس معنا أسلحة .. بل طرحنا أفكارنا .. وهي أيضاً قابلة للمناقشة والحوار والرفض .. فأنا - كما قلت ضد المواقف المسبقة .. والأفكار المعيبة .. ومحاولات خداعنا باسم الدين .

أيسام
الكنور يونس

31

أيام الدكتور يونان

فى عام ١٩٩٥ أصيب يونان لبيب رزق بجلطة فى القلب ، دخل مستشفى عين شمس التخصصى للعلاج ، وكانت المفاجأة أن تلاميذه من كل الأجيال والمدارس الفكرية توافدوا عليه لزيارته والاطمئنان عليه ، يومها قالت له زوجته "يا سلام لم أكن أعرف أن الناس تحبك إلى هذه الدرجة" ما لم تصدقه زوجة يونان هو الواقع فعلا .. فالرجل الذى يعيش حاملا على كتفيه سبعين عاما- مولود عام ١٩٣٣ - لا ينقطع سؤال تلاميذه عنه ، أنجب بنتين فقط.. لكنه يملك مئات التلاميذ.. يعيش بهم وبسؤالهم عليه.. أو كما يقول هو نفسه ، أنا رجل مريض بالقلب الآن.. وعندما يتصل بى واحد من تلاميذى ويقول لى كلمة واحدة.. أشعر أن معنوياتى أصبحت فى السماء"

يونان لبيب رزق ابن لأسرة متوسطة جاهدت من أجل أن يصبح أبناؤها محترمين.. ولما كان التعليم هو الطريق الوحيد لكسب هذا الاحترام ، فقد تعلم يونان حتى أصبح اليوم واحدا من المفكرين الكبار فى مصر ، مات أبوه وهو ابن ست سنوات ، انكفأت أمه التى لم يكن يتجاوز عمرها الرابعة والثلاثين على تربيته هو وأخوته ، ورغم أنها لم تكن قد حصلت على أية شهادات.. لكنها كانت تترك قيمة الشهادة فى أيدى أبنائها.. وعندما أصبح يونان على باب الجامعة ، لم تكن تهتم بأية كلية سيدرس ، لكنها اهتمت فقط بأن يدرس فى الجامعة .

يوزع يونان وقته الآن بين مكتبه فى كلية بنات عين شمس.. ومكتبه فى جريدة الأهرام التى يكتب لها ديوان الحياة المعاصرة التى وصل فى حلقاته إلى ٥٠٠ حلقة من حلقة سجل خلالها تاريخ مصر السياسى والاجتماعى من واقع صحيفة "الأهرام" التى يمتد عمرها لأكثر من قرن وربع القرن جلست معه بعد أن راجع الحلقة ٥٠١ وسلمها للمطبعة فى تمام الساعة الواحدة.. وبعدها امتد بيتنا

أيام الدكتور يونان

الحوار الذي شهدته د. لطيفة سالم أستاذ التاريخ الحديث بأداب بنها ، التي قدمت للدكتور يونان لتراجع معه بروفات الكتاب التذكري الذي تشرف على إعداده مع مجموعة من تلاميذ د. يونان والذي صدر بمناسبة وصول الرجل إلى سن السبعين من عمره المديد .

على خليفة حجب جائزة مبارك للتفوق عنه عام ٢٠٠٣ حصل د. يونان على هذه الجائزة في العام التالي ٢٠٠٤ ، كان الحديث ساخنا قال لي : حصلت على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٥ وكان مرشحا معي وقتها د. عائشة عبد الرحمن ووقتها كتبت مجلة الهلال بالنص على غلافها.. عادت الجوائز إلى مستحقها.. وقد كتبت ذلك لأنه في عام ١٩٩٤ كان د. فتحي سرور رئيس مجلس الشعب ود. عاطف صدقي رئيس مجلس الوزراء قد حصلوا على جائزة الدولة التقديرية واعتبرت الصحف أنهما لا يستحقانها - أنهما في مناصب رسمية ، وفي هذا العام كان مرشحا للجائزة د. فتحي سرور وإبراهيم نافع رئيس تحرير "الأهرام" بالإضافة إلى ثلاثة عشر مفكرا من بينهم د. إسماعيل صبرى عبد الله ود. أحمد كمال أبو المجد ، مع الأسف الشديد فالدكتور سرور مارس ضغوطا شديدة على لجنة التصويت ، وقد أشارت بعض الصحف إلى ذلك ، فهذا الضغط كان له رد فعل عكسي على اللجنة.. ولذلك حجبت اللجنة الجائزة لأنني ود. سرور ونافع تمت المساواة بيننا في الأصوات.. ولأول مرة تصفق اللجنة كلها رغم أن للجائزة حجبت.. على الرغم من للضغوط للضخمة التي مارسها د. سرور.. فإن اللجنة لم تخضع..

البعض يرى أن د. يونان حجب الجائزة عن د. سرور والبعض الآخر يرى العكس وهو أن د. سرور هو الذي حجب الجائزة عن د. يونان ، وفي الحالتين فإن د. يونان سعيد للغاية رغم أنه لا يملك سوى قلمه فإن الرؤوس جمعيا تساوت ، فالمتفقون أخذوا منهم رمزا رفضوا من خلاله منح الجوائز للسلطة .

قلت الدكتور يونان لكن لماذا في رأيك يصر بعض العاملين في السلطة والمسيطرون على مناصبها على حصد جوائز الدولة ؟ قال بسخرية.. ما يحدث أشبه بما قاله نجيب الريحاني في فيلمه "أبو حلموس" شيء لزوم الشيء ،

أيام الدكتور يونان

فالمسياسى عندما يصل إلى السلطة يشعر أن كل شيء أصبح عنده سهلا ، ومن الضروري أن يحصل عليه ، ولو كان فتحى سرور خارج للسلطة الآن لكان حصل على الجائزة من باب أنه استاذ فى القانون ، لكن وهو فى السلطة ما كان يجب أن يناهس الذين لا يحملون سوى أقلامهم فاستخدام النفوذ بالشكل الذى جرى على يد د. سرور فى الضغط على أعضاء اللجنة لساء جدا لصورة السياسى.. ولست أرى ذلك وحدى.. فكثير من المثقفين المصريين يرون ذلك أيضا .

الحديث عن الجوائز ام يشغل ديونان عن عمله الأساسى.. فهو مؤرخ من طراز رفيع.. وضع بصماته على التاريخ عندما قدمه للقارئ العادى.. وقد ظهر هذا فى حلقات "الأهرام" .. ديوان الحياة المعاصرة" .. الذى له هو الآخر قصته.. فعندما عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ اكان د. يونان عضوا فيه ، قابل هناك لطفى الخولى الذى فاتحه فى تحرير صفحة تاريخية للأهرام ، لم تكن معالمها واضحة، رحب يونان بالفكرة فعلاقته بالصحافة كانت قديمة للغاية بدأها وهو طالب فى الجامعة ، كان أمله أن يصبح صحفيا ، كتب أول مقال نشرته له مجلة الهلال عام ١٩٦٥ ، ثم تعامل مع الأهرام من خلال مجلة السياسة الدولية عام ١٩٦٩ ، ولا يعرف د. يونان حتى الآن لماذا تعامل مع الأهرام والهلال دون غيرهما.. قد تكون المصادفة وقد يكون القدر .

كان د. يونان لبيب رزق قد أصدر كتابا عن طباطبا عام ١٩٨٩ عن مركز التأليف والترجمة والنشر ، وضع فيه خلاصة تجربته فى اشتراكه فى لجنة التحكيم المصرية الخاصة بطاطبا ، نشرت الأهرام الكتاب على حلقات.. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتعامل فيها يونان مع القراء بشكل أسبوعى.. وكانت تجربة مهمة تعرف من خلالها على رد فعل القراء بسرعة ، وهو ما حدث مع يونان أيضا عندما كتب مع لطفى الخولى فى صفحة الحوار القومى.. فبعد فرج فودة كتب يهاجم تسييس الدين.. فهاجمته الجماعات المناصرة للتيار الإسلامى.. وفرضت عليه الحراسة لمدة عامين.. بل وضع اسمه على قائمة اغتياالات الجماعات الأصولية .

أيام المصكتور يونان

ولأن "الأهرام" حباله طويلة فلم يدخل اقتراح لطفى الخولى حيز التنفيذ إلا عام ١٩٩٣ أى بعد عامين من حديثه مع يونان فى مدريد ، اتصلوا بـ "الأهرام" من اليونان وعملوا معه عقداً فى أول أبريل ١٩٩٣ ونشرت أولى الحلقات بعد حوالى شهرين ونصف الشهر وتحديدًا فى ١٥ يوليو ١٩٩٣ ، بدأ العمل فى غرفة واحدة مع بعض الباحثين والآن يجلس د. يونان فى غرفة مستقلة بينما يجلس المساعدون له فى حجرة أخرى ، لم يكن هناك تخطيط مسبق لشكل ديوان الحياة المعاصرة ، بل إنه مع الحلقات الأولى لم يكن لدى د. يونان تصور أن يتم هذا التداعى للحلقات حتى تصل إلى ٥٠٠ حلقة .

يرصد د. يونان أعداد "الأهرام" عاما بعد عام.. يضع الباحثون معه أيديهم على أهم الموضوعات والصفحات والقضايا.. يرصدون معالجة الأهرام لكل قضية.. يصورون الصفحات كاملة.. ثم يصب ذلك كله عند د. يونان الذى يقرأه بعناية ويراجعه ثم يكتب الصيغة النهائية للحلقات التى يقرأها الناس صباح كل يوم خميس فى جريدة "الأهرام".. ورغم أن هناك من يهاجم د. يونان باعتباره يدافع عن الأهرام فى كثير مما يكتبه . فإنه يقول : أنا أتعامل مع الأهرام بصفتى أستاذ تاريخ وقد دخل فى روعنا خطأ أن التاريخ هو تاريخ الملوك.. لكنى أراه حركة البشر.. فى الحوادث والإعلانات.. والتفاصيل الصغيرة وهذه أحرص عليها وأنشرها.. والغريب أن بعض من يتابعون ما اكتبه تصوروا فى البداية اننى جئت لأجامل الأهرام لكنهم فوجئوا أننى أهاجمها فى مواطن ومواقع كثيرة !.

ولأن الكلام عن التاريخ يجر بعضه بعضا.. وجدتنى أسأل د. يونان عما يكتبه جمال بدوى عن تاريخ مجلة "المصور" فى مجلة "المصور" وهى شىء ما يفعل د. يونان فى الأهرام.. لكننى وقبل أن أكمل وجدته يقول لى : بلاش نتكلم عن جمال بدوى حتى لا نغلط.. طويت صفحة جمال بدوى بسرعة وحولت دفة الحديث إلى من يكتبون التاريخ فى مصر.. وتركته يتحدث قال : مشكلة التاريخ أنه يكتبه هواة كما يكتبه المحترفون.. وهى مشكلة قديمة من أيام عبد الرحمن الراقى الذى كان يعمل محاميا وكتب التاريخ وكأنه مرافعة فى قضية وكلته فيها

أيام المحكمات يونان

مصر باعتبارها مننبة ، والمشكلة أن الطبيب لو كتب فى التاريخ فهو شيء عادى ، لكن المؤرخ لا يستطيع أن يفتح عيادة مثلا .

وما يلفت الانتباه - والكلام مازال مع يونان - أن الهواة الذين يكتبون للتاريخ فى الغالب دمهم خفيف فهم رجال قانون ومحامون وصحفيون ، فجمال بدوى مثلا يكتب فى التاريخ كصحفى وغلب عليه الطابع للصحفى مما أبعد قليلا عن روح المادة العلمية ، وهناك بعض المؤرخين الذين كتبوا فى الصحف وكان ما يكتبونه مقبولا ومنهم د. محمد أنيس ود. عبد العظيم رمضان ومحمد صبرى السربونى وشفيق غربال ، واعتبر نفسى من هذه الفئة ، وكل واحد من المحترفين كان يجتهد من خلال رؤيته الخاصة للتاريخ ، فأنا اجتهد من خلال الصحف.. ومحمد أنيس اجتهد من خلال المذكرات.. والسربونى وغربال عالجا القضايا العامة .

هذه الرؤية جعلتني أطلب من د. يونان أن تركز سويا فيما كتبه المؤرخون الهواة وهم كثيرون منهم صلاح عيسى ومحمد عودة ورفعت السعيد وطارق البشرى.. ظل حذرا ، ففى رأيه أن الكتابات التى أيدعها هؤلاء تحظى باحترام.. ويمكن للقارئ العادى والمؤرخ أن يستفيد منها.. وإن كانت هناك بعض الملاحظات فطارق البشرى أجهد نفسه فى كتابه "الحركة السياسية فى مصر من ١٩٤٥-١٩٥٢" وخرجت الطبعة الأولى منه بوجهة نظره اليسارية ، لكنه عندما أصدر الطبعة الثانية من الكتاب ضمنها وجهة نظرة الإسلامىة التى تحول إليها ، بل أنه خصص ٧٠ صفحة كاملة فى بداية الطبعة الثانية ليفسر تحوله ، احترام د. يونان لكتابات الهواة ليست مطلقة.. فهناك كتابات لا تحظى باحترامه.. لأنها ليست تاريخا.. قدر ما تعبر عن سرقة وأصوصية .

حاول يونان رزق طوال حياته أن يكون بعيدا عن السياسة ، فبحكم نشأته فى أسرة تنتمى للطبقة الوسطى الصغيرة وبحكم تأثره بكتابات سلامة موسى انحاز للفكر اليسارى ، وقد بدا هذا الانحياز واضحا فى كتاباته حتى الآن ، لكن الانحياز لم يتحول فى أى وقت إلى الانخراط فى العمل التنظيمى لأى من الجماعات

أيام الصداقة يونان

السياسية علنية أو سرية ، ربما كان ذلك بسبب خوفه من الاعتقال أو التعذيب الذي كان يتابع أخباره.. أو ربما كان موقفه السياسي ذلك رغبة منه في الاحتفاظ بحريته في اتخاذ المواقف تبعاً لما تمليه عليه أفكاره دون الخضوع لقيود تنظيمية قد تحد من حريته .

هذا الموقف السياسي جعلني أدخل د. يونان إلى حكمه على رؤساء مصر.. لم يسهب في الكلام خطوط عريضة فقط أشار بها دون تفصيل قال : جمال عبد الناصر جاء في ظرف حركة تحرر وطني في العالم كله ، مد عربي هائل.. ولأنه كان نكياً فقد تفهم كل هذه الحقائق واستثمرها فاكسب كاريزما هائلة ، أما السادات فقد جاء وجزء من الوطن محتل.. كفة الميزان كانت عند أمريكا بعد أن انتهت الحرب الباردة ولم يكن في استطاعة السادات أن يصبح نسخة مكررة من عبد الناصر لأن الظروف كانت مختلفة تماماً.. وما يؤكد كلام ديونان ما قاله بنفسه : سمعت الرئيس مبارك مرة يقول لو كان عبد الناصر مكنتي لم يكن ليأخذ إلا القرارات التي أخذتها ، ولذلك فإن تصور أن يأتي عبد الناصر مرة أخرى في ظل الظروف الحالية ويتبع نفس سياسته هو تصور مستحيل.. فالآن لا حركات تحرر ولا قادة كبار ولا زعماء يملكون كاريزما.. الدنيا بحالها تغيرت! .

الشيء الذي لم يتغير عند يونان هو علاقته بتلاميذه.. الذين بهم بدأنا وبهم تنهى حديثنا معه ، لقد تتلمذ يونان على يد د. أحمد عزت عبد الكريم .. كان رجلاً ربع القامة يرتدى نظارة سميكة يبدو من خلفها صارماً أشد الصرامة .. ولكنك بمجرد أن تقترب منه تشعر أنه أب حنون.. يقول عنه : لقد مارس معنا د. عبد الكريم أساتذتيه بأسلوب رائع وعندما كنا نشكره كان يقول لنا إن ما يفعله هو أداء لدين أساتذته في رقبته يؤديه لتلاميذه.. ولذلك فإن كثيرين من تلاميذه عندما أعطاهم بلا مقابل.. لا يدركون أنني أيضاً أودى ديناً في رقبتي لأستاذي أحمد عزت عبد الكريم .

الفهرس

- مقدمة ٣
- خريف عمر موسى ٥
- حكايات من هيكل ١٩
- نهاية وبداية ٢٩
- اعترافات علوية ٤٩
- نساء فى غربه ٦٣
- بيكار أبانا الذى فى الزمالك ٧٣
- فارس آخر الزمان ٨١
- اعترافات صافى ناز كاظم ٨٩
- أيام فتحية العسال ١٠٥
- أنتحار قاسم أمين ١١٣
- الأستاذ عودة ١٢٣
- المحامى قائد التنظيم ١٣١
- الضمير الحى ١٣٧
- الهروب من الدير ١٤٥
- العمامة والكاريكاتير ١٦٥
- ضحية جمال عبد الناصر ١٧٣
- الفيومى ١٧٩

- الولي والمرید ١٨٧
- الكفيل ١٩٧
- الراهب الیتیم ٢٠٣
- الغامض الكبير ٢١٣
- الوجة الآخر لوحید حامد ٢٢١
- محلات المطغنی للتکفیر ٢٣٧
- دولة الشيخ صالح ٢٤٥
- عواصف علی جمعه ٢٥١
- صائد الطيور ٢٥٧
- صفقات بطرس عالی السرية ٢٦٧
- سمسار الجنة ٢٧٥
- ضحایا كرم زهدی ٢٨٥
- أيام الدكتور یونان ٢٩٥



محمد الباز

كي ما بسبر وقدره بين عينيه ..
 بحمل أخطائنا وندفع ثمن رلائنا .. يقابل في هذه الحياة كثيرا
 من الملائكة وكثيرا من الشياطين .. نحلم بعالم بلا شرور
 لكنها أمنية مستحيلة .. ومن خلال مئات الشخصيات التي تعرض
 لحياتها وأفكارها الكاتب الصحفي محمد الباز في هذا الكتاب ..
 يمكن أن نرى بعضا من الغار هذه الحياة التي نعيشها ..
 ليس لدينا حكم سابق على أحد ..
 أنت نفسك تستطيع أن تحكم على أبطال هذا الكتاب
 من مهم يسكن ساكن الملائكة .. ومن مهم يعيش بين الشياطين

